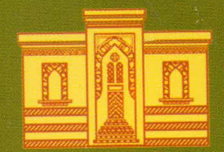


دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تاريخ مصر المعاصر

سلسلة
أوائل المطبوعات المصرية

كتاب
في الزوايا خبايا
أو
كشف أسرار اليهود

٢



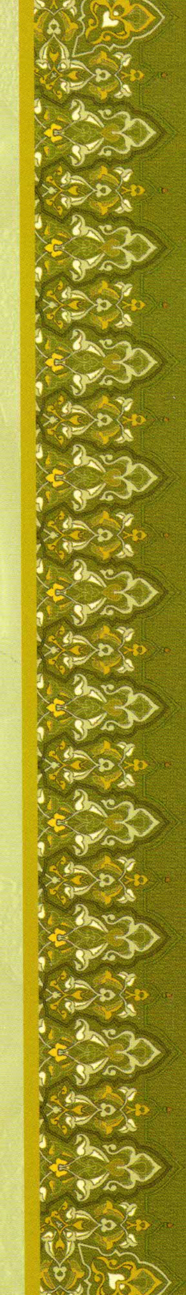
تأليف
جورج كورنيليان

تعريب
نجيب الحاج



هذا الكتاب

اقتربت الذكرى المئوية الأولى لصدور وعد بلفور المشئوم، ومن هنا يأتى أحد أسباب إعادة طباعة هذا الكتاب بعد مرور ١٢١ سنة على طباعته، فى وقت لايزال الفلسطينيون والعرب في حاجة للمزيد من الدراسات المتعمقة لتاريخ الصهاينة، بدلاً من إعادة استهلاك دراسات أنتجت من قبل. ولانبالغ أن قلنا بأن هذا الكتاب هو الأول، فى بابه ونوعه، الذي أخرجته المطبعة المصرية للمكتبة المصرية والعربية في سنة ١٨٩٣م، في وقت لم يكن المشروع الصهيونى قد تبلور تمامًا تجاه فلسطين. ومع هذا كان تعريب الكتاب يعكس هاجسًا مبكرًا لدى قطاع من المصريين آنذاك، وعيًا بخطورة الصهاينة/ اليهود. ومن هنا لايبدو غريبًا أن تصدر طبعتان من الكتاب فى عام واحد، ثم تتوقف طباعته بعدها، ربما بسبب ما تضمنه، خاصة وقد كان من المستحيل أن يقبل يهود/ صهاينة مصر - وأعوانهم - بما ورد فيه. أرجو أن يكون العدد الثانى من سلسلة «أوائل المطبوعات المصرية» من الكتب التى تستحق أن تقرأ في تلك اللحظة المهمة - بل العصيبة - من لحظات التاريخ الفلسطينى والعربي.



تصميم الغلاف / محمد عماد

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة

كتــاب

في الزوايـا خبايـا

او

كشــف أســرار اليـهـود





كتاب
في الزوايا خبايا
أو
كشف أسرار اليهود

تأليف
جورج كورنيليان

تعريب
نجيب الحاج

الطبعة الثالثة

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة
(١٤٣٥ هـ - ٢٠١٤ م)

الهيئة العامة
لدار الكتب والوثائق القومية

رئيس مجلس الإدارة

أ. د. عبدالناصر حسن

كورنيليان، چورچ.

كتاب فى الزوايا خبايا، أو ، كشف أسرار اليهود /

تأليف چورچ كورنيليان؛ تعريب نجيب الحاج.. ط ٣ ..

القاهرة: دار الكتب والوثائق القومية، الإدارة المركزية

للمراكز العلمية، مركز تاريخ مصر المعاصر، ٢٠١٤.

١٨٧ ص ؛ ٢٤ سم. . (سلسلة أوائل المطبوعات

المصرية)

تدمك 0 - 1081 - 18 - 977 - 978

١ – اليهود . تاريخ

أ – الحاج، نجيب (مترجم)

ب – العنوان

جـ – السلسلة

٩٠٩,٠٤

إخراج وطباعة:

مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة.

www.darelkotob.gov.eg

رقم الإيداع بدار الكتب ١٢٢٩٣ /٢٠١٤

I.S.B.N. 978 - 977 - 18 - 1081- 0



دار الكتب والوثائق القومية
الإدارة المركزية للمراكز العلمية
مركز تاريخ مصر المعاصر



العدد الثاني

تقـــديم

اقتربت الذكرى المئوية الأولى لصدور وعد بلفور المشئوم، ومن هنا يأتي أحد أسباب إعادة طباعة هذا الكتاب بعد مرور ١٢١ سنة على طباعته، في وقت لايزال الفلسطينيون والعرب في حاجة للمزيد من الدراسات المتعمقة لتاريخ الصهاينة، بدلاً من إعادة استهلاك دراسات أنتجت من قبل. ولا نبالغ إن قلنا بأن هذا الكتاب هو الأول، في بابه ونوعه، الذي أخرجته المطبعة المصرية للمكتبة المصرية والعربية[١] في سنة ١٨٩٣م، في وقت لم يكن المشروع الصهيوني قد تبلور تماماً تجاه فلسطين. ومع هذا كان تعريب الكتاب يعكس هاجساً مبكراً لدى قطاع من المصريين آنذاك، وعياً بخطورة الصهاينة/اليهود. ومن هنا لا يبدو غريباً أن تصدر طبعتان من الكتاب في عام واحد، ثم تتوقف طباعته بعدها، ربما بسبب ما تضمنه، خاصة وقد كان من المستحيل أن يقبل يهود/صهاينة مصر–وأعوانهم– بما ورد فيه.

العنوان الرئيسي الذي اختاره المُعرِّب للكتاب "في الزوايا خبايا" يبدو عنواناً خادعاً للوهلة الأولى، لأنه قد يشير إلى أن الكتاب يتناول خبايا زوايا الصوفية، والحقيقة أنه يتناول خبايا أسرار اليهود وخطورتهم في فرنسا ومصر بالتحديد، وفي أوربا بوجه عام، حتى أواخر القرن التاسع عشر. ومن هنا فالكتاب مهم لفهم بعض الأسباب الحقيقية لرغبة المجتمعات الأوربية في التخلص من اليهود، كما أنه مهم لتوضيح بعض مقدمات الهجرة اليهودية إلى فلسطين ومستوطناتهم الأولى فيها. من ناحية أخرى يشير غلاف الكتاب إلى أن مؤلفه "جورج كورنيليان" وأن "نجيب الحاج" قام بتعريبه من الفرنسية. ومع ذلك نستطيع القول بوجود مؤلفين للنسخة العربية المُعربة للكتاب، لأنه انقسم لقسمين: قسم ألفه "كورنيليان" وقام "الحاج" بتعريبه (ص٦–٦٦) ، وقسم ألفه الحاج (٦٧– ١٥٠).

١ـ هذا مع العلم أن المطبعة المصرية أخرجت القليل من الكتب في القرن التاسع عشر على شاكلة «الدرة الحقيقية البهية» أو «خروج الإسرائيليين من مصر» لهنري بروكتش، وترجمة نخلة صالح، ويقع في ٢٢ صفحة.

ومع أن الكتاب أورد الكثير من الحقائق التي قد تُنسَى، وأشار لكتابات أوربية مهمة عن اليهود وتاريخهم المخفي، فإنه ليس بحثاً موثقاً بالمعنى الأكاديمي المتعارف عليه، بقدر ما أنه حصيلة قراءات مستفيضة وثقافة عميقة يساندها موقف وطني (فرنسي ومصري) قوي. أما لغة الكتاب فأدبية في الأساس، ومن الواضح أن المعرب/المترجم تصرف كثيراً في التعريب/ الترجمة، وإن أبقى الأفكار والمعاني كما هي. ورغم ما في التعريب من أخطاء مطبعية ولغوية[2] فإنها تعكس حقائق حق على المؤرخين متابعتها خدمة لتاريخ -بل وحاضر ومستقبل - فلسطين والأمة العربية، خاصة وأننا نحتاج لمعرفة المزيد عن مدى فهم المصريين والعرب آنذاك لحقيقة أطماع الصهاينة، وفهم المزيد عن أسباب طرد اليهود من الدول الأوربية.

ومع أن المؤلف والمُعرب تجنبا التمييز بين اليهودية والصهيونية، وأن المُعرب نافق "حكومة مصر" في أكثر من موضع ، حتى استبعد ترجمة أحد فصول الكتاب لأنه تناول يهود مصر وأعمالهم فيها، وحقيقة علاقتهم مع الفرنسيين والانجليز والحكومة، كما تعرض في سطحية أحياناً لموقف الدولة العثمانية من الهجرة اليهودية لفلسطين، متبعاً تلك النغمة القديمة/الجديدة غير الموضوعية.. رغم ذلك فإن الكتاب مهم أيضاً إذا لاحظنا سرعة تعريبه من اللغة الفرنسية للتحذير من اليهود، بعد حوالي اثنتا عشرة سنة من صدوره مطبوعاً في فرنسا، وهو ما يعكس أيضاً استمرار اهتمام المصريين بالترجمة، لاسيما بأمور وقضايا نوعية مهمة للأمتين العربية والإسلامية، وعلى رأسها القضية الفلسطينية واحتلال الصهاينة لفلسطين.

لا نعرف عن المؤلف "جورج كورنيليان" سوى أنه كان "من مشاهير كتبة الفرنسيس" وإن يتضح أيضاً أنه من الوطنيين الذين بحثوا عن أهم أسباب ضعف

٢- بالإضافة إلى الأخطاء اللغوية والمطبعية، يلاحظ القارئ أن المعرب أساء ترجمة بعض المصطلحات، مثل مصطلح «المساجد اليهودية». هذا ناهيك عن أن مصطلح «الأمة اليهودية» الذي أورده يحتاج للتدقيق.

الفرنسيس" وإن يتضح أيضاً أنه من الوطنيين الذين بحثوا عن أهم أسباب ضعف فرنسا وهزيمتها في حرب السبعين، فوجد اليهود هم السبب الرئيسي. أما المُعرب "نجيب الحاج" فلا نعرف عنه سوى أنه كان "مكاتباً لجريدة اللفانت هيرالد". ومع هذا فما فعله "الحاج" كان جديداً ومهماً، بل وخطيراً عليه، حتى كتب: "فجازفت بنفسي حباً بأهل وطني، وعَرَّضْتُها لسهام الملام، غيرة على أبناء جلدتي". وعندنا أن منبع الخطورة كان يأتي مما قد يتعرض له من أذى اليهود والمتعاطفين معهم، لاسيما وقد كان نفوذهم قوياً في مصر، في ظل الاحتلال البريطاني.

في مقدمته تساءل المعرب: "كيف اتصل اليهود إلى اغتيال الأمم التي دخلوا بينها" رغم "خسة أصلهم وجبانة قلوبهم؟!". جاءت الإجابة سريعة. لقد فعلوا ذلك "بخداعهم الموصوف ومكرهم المعروف". والواضح أن السؤال/القضية امتلكا عقل المعرب فكتب: "وإذ كنت أرى أن الشر يحل أينما حل اليهود.. فما دخلوا مملكة إلا وانتزفوا دماءها المادية والمعنوية، ولا ولجوا بلداً إلا وسلبوا أموالها.. يحملني ذلك على البحث، ويحولني إلى النظر فيما هو الذي يخولهم تلك القوة.. ولاسيما إذ رأيتهم في البلاد المصرية والآستانة وتونس وسوريا أرباب المال والعقار وذوي النفوذ المطلق في الحكومات.. فإني عجبت لذلك وزدت فحصاً وتنقيباً ودرساً وتدقيقاً، لعلّي أطّلع على العلة فأُنَبِّه مواطنيَّ إليها وأقف على السر.. حتى عثرت على كتاب باللغة الفرنسوية لرجل من مشاهير كتبة الفرنسيس.. فحوّل مني النظر، فقرأته، ثم عاودته، ثم أعدت الكرة عليه، فزال الغشاء عن عيني والعناء عن قلبي، لأني علمت كيفية دخولهم بين الأمم، والوسائل التي يستخدمونها لجمع الأموال ونهب الخزائن واحتكار الأرباح، حتى يتوصلوا من ذلك إلى القوة والنفوذ والتصرف بالأرواح والأشباح، وما هي أعمال كل واحد منهم، وما هي القوات التي يعتمدون عليها، والجمعيات التي يسخرونها لتنفيذ مآربهم.. وأخيراً

فما هو مركزهم وقوتهم الماديتين المعنويتين الآن.. وما هو مطمح أنظارهم ومبدأ تلمودهم. فرأيته كتاباً أذاع الأسرار وكشف المخبا، وهو يعود بالفائدة على أهل الوطن، ويكون عبرة لرجال الشرق". هكذا أوضح المعرب في مقدمته موقفه من اليهود، وهو ما يتضح أيضاً من اختياره الكتاب لتعريبه، واختياره عنوانه باللغة العربية، ومصطلحاته التي استخدمها. ومن هنا كتب "وقد سميته (في الزوايا خبايا) لأنه كشف المخبا وأذاع المكنون. فلعله يكون عبرة لأولي الألباب، فيتنبهوا إلى ما أمامهم، ويتيقظوا إلى الخطر الذي يتهددهم إن بقوا على تغافلهم عن خداع أمة اليهود وتهافتهم على الوقوع في شراكها وحبالها".

أما مقدمة "كورنيليان" فأوضحت وجود العديد من الكتابات الأوربية المضادة لليهود. من ذلك كتاب "روسيا اليهودية" لـ"كاليكست دي دولسكي" وفيه فضح "تعاليم اليهود الشرعية، ومقصدهم السري، وسلوكهم القبيح". وكتاب "فرنسا اليهودية" لدريمون، وفيه كشف الستار عما ارتكبه اليهود من الذنوب واستعملوه من طرق الاختلاس وأساليب المكر والخداع في فرنسا. وكتاب "م.ج. مينير أرانا" عن اليهود، وفيه كشفهم باعتبارهم لصوص يسعون في الأرض فساداً. سار "كورنيليان" على المنوال نفسه "رأيت الواجب عليَّ أن أقتدي بهم، فأجهدت النفس لاطلاع قرائي على حالتهم وأعمالهم عموماً، وفي الشرق خصوصاً، وطريقهم التي يسلكونها، مع ما يقترفونه من الذنوب تحت اسم فرنسا.. وأفتخر بمشروعي هذا لأني فعلت الواجب عليَّ أمام وطني". كما أوضح خطورة أوضاع فرنسا التي عانت "وقوف الحال وارتباك الأحوال" في العشر سنوات التي تلت حرب السبعين "وإن بقي الحال على هذا المنوال عظُم البلاء عليها وتفاقم الداء". ورغم إشادته بقوة الشعب الفرنسي وتمدنه وطول باعه في التجارة والصناعة و"المشروعات السياسية"، فإنه أوضح أن الشعب "أصبح اليوم بداخل

أعضاء جسمه الارتباك، ويزداد هذا كلما تقلبت الأيام دون أن يعلم لذلك سبباً، وأشبه مريضاً يحمل جسمه جراثيم المرض.. ويستغيث ولا يعلم أصل الداء.. وسيصبح إذ ييأس من الشفاء ينتظر حلول أجله". وعنده أن اليهود هم السبب، رغم سوء إدارة الحكومة لشئون البلاد. والغريب أن "كورنيليان" أيضاً كتب ما كتب وهو يعلم أن "العالمين بسبب مصابهم، والمطلعين على جرثومة دائهم، يهابون ويوجفون خوفاً من إذاعة سره المكنون".

في السياق السابق تابع "كورنيليان" توضيح هدف كتابه/مشروعه بالقول: "إننا في الوقت الحاضر نكد ونتعب، بل نهلك باليهود ولأجل اليهود، فياله من أمر غريب ومنظر مؤلم محزن، كيف أن شعباً اتصف بالعقل وعُرف بالشجاعة والثبات، يتألف من أربعين مليوناً.. يستعبده ثلاثمائة ألف فرد من أجلاف اليهود". ومع أنه أتبع ذلك بالقول: "سننهض بهمتنا المعروفة.. ونضرب بسيف الحرية انتصاراً للحق، ونزيح به الغشاء الذي لم يزل يمنع عن أعين أبناء شعبنا الشريف النور الحقيقي لعلهم يميزون به ما أمامهم وينتبهون إلى الهاوية الهارية التي تتهددهم".. رغم ذلك بقيت مخاوفه، خاصة وأن اليهود، بعد أن تيقنوا من مجئ اليوم الذي تكتشف فيه الأمة الفرنسية حقيقة ظلمهم، وأنها حتماً ستذلهم "وتهلكهم بالسيف عن آخرهم".. عندها "سخروا جمعية مؤلفة من خواص رجالنا وأعظمهم، للذب عن صوالحهم وستر فظائع أعمالهم، وحرصوا على إخفائها". ومن ثم فرغم تعاقب الحكومات وتغير أشخاص الوزراء، فإن ديون فرنسا تتضاعف، والضرائب تتزايد، والأحوال تزداد ارتباكاً "ومن بحث عن السبب رأى حوله ظلام وغوامض أسرار، وخفي عليه أن الحكام المتعاقبين هم أعضاء تلك الجمعية.. وقد سخرت بالأموال الطائلة للعبث بحقوق البلاد وصوالحها، وأن الخلف والسلف يخضعان لرأس واحد ويشتركان بمبدأ واحد، وهو إيقاع البلاد بالعسر والارتباك، في حين يكون مسخروها فائزين".

ومرة أخرى بقي الأمل عند كورنيليان الذي أكد على أن الوقت قد حان لوضع حد لهذه الأحوال، خاصة وأن "اشارة من روتشيلد تكفي لإسقاط جسم فرنسا المختبط بين يدي عدوتها ألمانيا". لكنه أوضح أنه لا يوجه كلامه لأثرياء فرنسا وولاة أمورها لأنهم "يغضون طرفهم عن النظر إلى ما يتهدد الوطن" بل يسوقه إلى جيش فرنسا وعمالها "اللذين حفظتهما طبيعتهما من التلطخ بأوزار اليهود". على أن النجاح كان يتطلب أيضاً أن "نضرب صفحاً عن كل خلاف سياسي أو ديني.. ولا ندع فرصة تفوت إلا ونستعملها في مقاومة مقاصد اليهود الشريرة.. وبعد خلاصنا من القوم الأجلاف.. ترجع إلينا السلطة الأصلية ونفوذنا الأول، ويرتد إلى بلادنا السكينة والنظام.. فالعدد عندنا كثير، والقوة لدينا متوفرة، وحالتنا تقتضي الدفاع والمحافظة على حقوق وطأتها الأرجل وعبثت بها أيدي السفلة".

وتحت عنوان "ضلال اليهود" أوضح "كورنيليان" مساوئ اليهود عبر تاريخهم من خلال عرض "سرعة تقلب هذا الشعب، وغلظة عقله وجموحه عن الطريق المستقيمة"، خاصة منذ تجربتهم في مصر وتصرفاتهم مع النبي موسى عليه السلام، وهي أمور –من وجهة نظره– لابد وأن تثير ذهول وكراهية أي إنسان قادر على التمييز. وعنده أن "حالة اليهود السيئة لم تكن في أيام موسى فقط، بل إنها مازالت تزداد وتنمو أيام القضاة والأحبار والملوك المتعاقبين بعد موسى، وكثيراً ما كان يعود عليهم ذلك بالخسران والذل، فيبليهم الله بالسبي والهلاك قصاصاً لهم، ثم يبعث إليهم بالرسل والأنبياء ليرشدوهم.. فكانوا يبادئونهم بالشر ويميتونهم شر الممات، بعد أن يذيقوهم العذاب ألواناً. وكانوا عندما يرسل الله عليهم سيف الانتقام ويشعرون بالألم، يرجعوا إليه بالتوبة والخضوع، فيرحمهم ويخلصهم.. ولكن لم يكن يمضي على ذلك أيام قلائل يستبدلون في خلالها طعم العذاب بطعم الرفاه، فينبذوا طاعة رؤسائهم.. ورأى الله بعد ذلك أن الشعب الذي اصطفاه قد

شق عصا طاعته ونبذ جميله وأنكر فضله، فعاقبه. ولما لم ير لدائه شفاء، غضب وسلط عليه الشعوب المجاورة فأذلته وقهرته وأسرته.. وهكذا لم تزل المصائب تتنابه والقبائل تتناوشه حتى انحلت عراه وتشتت منه الشمل وتاه بين قبائل المسكونة وشعوبها". بعدها عرض لأوصاف "الأمة اليهودية" منذ بدايتها، كما حفظها التاريخ، فاعتبرها أمة طبعها الاحتيال والمكر، ودأبها الاختلاس وارتكاب المحرمات "لا تعترف بجميل ولا تقر بمعروف. كثيرة التذلل في الغلبة والسقوط. شامخة قاسية سفاكة في الانتصار". وأحسب أن هذه الأوصاف مهمة في أيامنا حقيقية لفهم تاريخانية عقلية اليهود وطبائعهم.

وتحت عنوان "التلمود" أوضح "كورنيليان" أن اليهود حاولوا التمسك بعوائد الأوربيين ليحولوا الرأي العام عنهم، مع أن ما كتبه وقاله قادتهم في الاجتماعات السرية يفضحهم. إنهم "يتخذون جنسيتنا درعاً متيناً وحصناً حصيناً يدرأ عنهم الظنون، ويسعون وراءه لبلوغ غايتهم الموهومة أو مآربهم الشيطانية.. ولكي يجدوا من ذلك مخرجاً، أخذوا يبحثون في إيجاد وسيلة تمنع آرائهم من التفريق، سنوا التلمود الذي أصبح مختصر مبادئهم الدينية وعنوان سلوكهم المدني" لأنه "يبيح لهم ما يميلون إليه بالطبع". فعندما آل أمر اليهود إلى الشتات، خاف قادتهم الدينيون من انقراض شعبهم لسرعة تلاشي تقاليده. وهنا عمدوا لنسخ شريعتهم "وإبدالها بقانون جديد يوافق رداءة قصدهم". لقد أسسوا هذا القانون على زعم أن سعادة إسرائيل موعودة من الله. هكذا "ذهبوا بقيود القانون الموسوي، وعبثوا بالشريعة الإلهية غير مبالين.. فإنه فضلاً عما أعطى اليهود من الامتيازات على كافة الشعوب في أيام أبينا إبراهيم والنبي موسى، فإن الشريعة الموحاة تقيد الشعب بقيود وتقضي عليه بفروض نحو إخوانه بالإنسانية بدون استثناء أمة. وعليه فلا نص بتلك الشريعة يبيح لليهود الخروج عن الحدود الموضوعة لهم.. ولكن فسر هذا واضعو

التلمود بزعمهم أن ما تفرضه الشريعة عليهم يكون أمام إخوانه بالجنسية فقط". ولكن "لا يعقل بأن تلك الشريعة الموحاة من الله.. ينقصها ما يختص بعلاقات الإسرائيلي مع الأمم الأخرى. أما المبدأ الذي بُني عليه التلمود فهو أن العزة الإلهية أعدت للأمة اليهودية امتلاك الأرض برمتها، ووعدتها بالتمتع بجميع خيراتها، حيث أنها خلقت لأجلها وكانت لها، وسترجع إليها بالعاجل أو بالآجل. وقد جاء في التلمود ما نصه (يباح لاسرائيل، بل يفرض عليه، قتل من أمكنه قتله من الجويم) أي الخارجين عن إسرائيل، ثم (مال الجويم حق لليهود، وعليه فإنه يجوز اغتصابه وإلا فسرقته).. فكأننا حينئذ على الأرض عبيد مسخرون من الأمة اليهودية". ولتأكيد ذلك أورد ما كتبه "برافان" اليهودي الذي اعتنق المسيحية "وكشف به الستار عن جمعيات اليهود السرية التي يسمونها (بالكاهال) وعما يقرونه من الأعمال الفظيعة، والطرق التي يتخذونها لإفساد الأعمال وإيقاع البلاد التي يسكنونها بالارتباك، ليتمكنوا من انتزاف خيراتها". ومع أن الثورة الفرنسية ومبادئها خلصت اليهود من صعوبات كانوا يقابلونها في فرنسا، فإنهم استغلوها للتقرب من القادة، وبث الشقاق بين الأمة، ثم سيطروا على الأحزاب والسلطة والصحف والمطبوعات التي صيروها "آلة هائلة يموهون بها على أعين الشعب، ويحولون الحقائق فيها إلى نفاق وبهتان". والغريب –من وجهة نظره– أن صحف فرنسا لا تستطيع كشف حقيقة الأمور، بل "انتُدبت لسترها، وسخرت لإزهاق الحق وبث الباطل" لسيطرة اليهود عليها. وهكذا خلص إلى أن اليهود "سبب فقرنا وعلة بلائنا.. طمحت أنظارهم البعيدة إلى ما فوق الحدود، فسعوا في الأرض فساداً، وعبثوا بحقوق كل شعب وأمة، وزعموا بأن الدنيا ملكهم القديم وسترجع إليهم كما وعدهم بذلك آباؤهم. وعليه فلا يهمهم اعتلاء أو هبوط إحدى قطعها في سبيل تنفيذ مآربهم.. وأصبحنا في يدهم آلة يديرونها كيف يشاؤون ويمهدون بها الطريق التي توصلهم إلى المجد

الموعود". والشاهد أيضاً على مكرهم، استمالتهم أثرياء الأمة وقادتها "حتى أصبح أشراف المملكة وعظماؤها والنائبون عن الحزب الملكي فيها، لا يعجبهم الا معاشرة اليهود.. ولا يميلون الا الى عوائدهم". وقد دعم ذلك زيادة عدد معابد اليهود، وعزوفهم عن تعليم أولادهم في المدارس العامة، واعتمادهم على مدارسهم الخاصة ليرسخوا في أذهانهم "التعاليم الدينية والأحكام التلمودية".

في السياق نفسه، وتحت عنوان "نفثة خناس" عرض كورنيليان ما قاله "كبير اليهود في روسيا" في مجمع يهودي سري، وأكد فيه على ضرورة سيطرة اليهود بالمال على الشعوب الأوربية التي تسيطر على غيرها. ومن خلال أوربا يستطيع اليهود السيطرة على العالم "فقد أصبح اليهود عموماً، وآل روتشيلد خصوصاً، أرباب المال وأصحاب الحل والعقد في باريس ولوندره وبطرسبورج وفينا وبرلين وروما وفي جميع الممالك والبلاد". في هذا الاطار كان من نصائح "كبير يهود روسيا" لقومه "لينقض كل منكم على المدارس العالية انقضاض البواشق، ويختطف وظائف المعلمين، ويعلو مراتب الأساتذة الكبار ويبث في قلوب التلامذة مبادئنا الحرة. وليكن مبدأكم في الأول المساواة في المذاهب والوحدة في الأديان. وهكذا يسري تعليم هذا الفرع المهم بالسقوط والانخفاض، ولا يلبث أن يتلاشى بالكلية في المدارس، فعندها نشن الغارة على الكنيسة ونتوصل الى الغاء ديانتها ونسخ كل عقائدها". كما نصح بضرورة زواج اليهود ببنات المسلمين والمسيحيين. والمثير أن تأتي نصيحة بأنه "لا يبعد أن يقوم ضدنا أحزاب يرشقوننا بسهام الانتقاد.. لكن طاعة الجهلاء العمياء وميل عوام الناس الينا، لاسيما الذين أمطرنا عليهم سحائب أنعامنا وغرسنا في قلوبهم أصول محبتنا، كل ذلك يمهد لنا سبيل الانتصار. وعندها تنهض جرائدنا على ساق وقدم، فتشدد النكير على تلك المبادئ التي ينشرونها، فنقيم على الأعداء حرباً عواناً.. فنبلي فريقهم بالتفريق وجموعهم بالشتات".

وتحت عنوان "صدى نفثة الخناس" أكد "كورنيليان" على ما جاء في أقوال "كبير يهود روسيا"، خاصة سيطرة اليهود على الحكومة الفرنسية وبرلمانها، وعلى شئون فرنسا الاقتصادية والادارية والسياسية والقضائية والحزبية والتعليمية، وسيطرتهم على شئونها الخارجية. وما كتبه يوضح من جديد أن سوء أمور فرنسا انما كان لسيطرة اليهود عليها. وليس أدل على ذلك من اشتغال اليهود بالمضاربة "وأشهرهم روتشيلد الذي سارت بذكره الركبان.. فمن حرب السبعين أخذت ثروته بالازدياد.. حتى أمسى أغنى رجل في العالم، لا تقل ثروته عن الخمس مليارات من الفرنكات". لقد أصبح لروتشيلد من النفوذ والمكانة ما يضاهي به الملوك "حتى أنه لا يعد الآن ملكاً لإسرائيل فقط، بل انه الحاكم الوحيد في فرنسا.. وما رئيس الجمهورية لدى روتشيلد الا وزيره الأكبر والمسئول أمامه بالمصالح اليهودية". لم يتوقف الأمر على روتشيلد، بل ان صهره ايفروس "يشتغل من جهته باحتكار الحبوب وحصرها ضمن دائرة امتلاكه، فنجح بذلك نجاحاً عظيماً واحتكر الداخل والخارج.. في أسواق العالم أجمع، وهو ينظم لها السير ويحدد لها الأسعار والفئات بزيادة الوارد وتنقيصه، وان هبطت الأسعار أو صعدت فالأمر ينكشف عن المكاسب الجمة والأرباح الطائلة لايفروس وزمرته. وهذا ما يفعله اليهود الآخرون بالبضائع الأخرى في كافة الأسواق". وعنده أن اليهود سيطروا على سياسة فرنسا الخارجية بعد حرب السبعين، وفازوا بمكاسبها وتحملت فرنسا خسائرها "وأهم هذه المشروعات وأعظمها احتلال بريتي تونس والتونكين". لقد تم ذلك "رغماً عن ارادة الشعب الفرنسوي، وضد صوالح البلاد العمومية".. فتونس "فضلاً عن أنها كلفت فرنسا دماء عشرة آلاف من أبطالها، ومائة مليون من أموالها، فانها كانت سبباً للنزاع بين فرنسا وايطاليا، فانتقمت هذه لنفسها بانضمامها الى ألمانيا عدوة فرنسا". أما حملة التونكين "التي ذهبت بقيود المعاهدات الدولية" فقد "ضحت

لها حكومتنا أربعين ألفاً من الرجال مع مليار ونصف من الفرنكات. وليس هذا فقط بل إن عاقبتها انكشفت عن ضياع حقوقنا في الشرق، ونتج عن ذلك احتلال الانكليز للبلاد المصرية" وإضعاف فرنسا أمام التحالف الثلاثي (١٨٨٢) الذي لا يفتر عن التهديد والوعيد لفرنسا. وفي المقابل ترتب على احتلال تونس أن تمتع يهودها بحماية فرنسا "ولا نلبث أن نراهم قد دخلوا في التبعية الفرنسوية فألحقوا بيهود الجزائر الذين وهب إليهم غمبتا وكريميو جميع أملاكنا الأفريقية". وبشكل عام فإن فرنسا "تتألم وتضطرب" بسبب كساد التجارة والصناعة، حتى أن ثلاثمائة ألف عامل "باتوا بغير عمل.. ويضطرهم الفقر المدقع لاقتراف الذنوب وارتكاب القبائح.. وعوضاً من أن يستعمل ذلك في سبيل إحياء ميت التجارة والصناعة الذين هما ينبوع الثروة وأصل السعادة والعمران، فإنهم يستخدمونها لسحب ما بقي منه في أيدينا. فلاشك إذاً بأن اليهود هم مختلسو الثروة الفرنسوية وجرثومة بلاء الشعب الفرنسوي.. وقد ظنوا، وأصابوا في ظنهم، أنهم تقدموا بقدم السرعة نحو غايتهم الوحيدة التي تطمح أنظارهم إلى نوالها. وما تلك إلا امتلاك المسكونة برمتها". والغريب أنهم اتخذوا فرنسا "سنداً متيناً وعوناً عظيماً، وهي بيدهم آلة قوية يستخدمونها لتحقيق أمانيهم". وبعد أن تساءل "كورنيليان" عما إذا كان مستقبل فرنسا سيخضع لليهود كما خضع لهم ماضيها، انتهى إلى نفي ذلك، حيث "إن الطير الفرنسوي الذي صبر على الذل وخضع لأحكام الزمن، فجرده الأعداء من ريشه الواحدة بعد الأخرى، قد أحس بالألم وبدأ صبره بالفراغ، وقد قربت ساعة خروجه عن حدود الاعتدال" وسينهض "نهضة الأسد".

وتحت عنوان "ربة البغاء" كتب "كورنيليان" أن جمال المرأة اليهودية نتيجة طبيعية لاختلاط اليهود بالأجناس الأخرى، والتنعم الذي تعيش فيه. ومع هذا فالكل يعلم أنها "تهزأ بما نسميه الشرف والعفاف.. ميالة إلى الشهوات" وأنها "قاصرة

عن إدراك معنى الحب والهوى اللطيف، ولا تضيع الوقت سعياً وراء ذلك التصور الكمالي الذي به ميز الإنسان عن الحيوان". لكنها لدهائها "قادرة إذا اقتضى الحال، عند وجود الغاية السياسية أو المالية، على التزيي بزي العشاق.. ولهذا ترى بأن في كل الأماكن التي بها الامرأة تبذل نفسها لشهوة الرجل وتبيعه عرضها وناموسها بالرخيص، فلليهودية الدور الأكبر والسواد الأعظم. فبيوت الفساد والبغي وحانات الفسق والفجور في أوروبا، ولاسيما في مصر والجزائر، ملأى باليهوديات".

وتحت عنوان "جبن اليهود" أوضح كورنيليان أن اليهود عبر تاريخهم لم يكونوا قط "شعباً محارباً مقداماً"، ومع ذلك "ظهروا في رداء من الحماسة أكثر جلبة". أما ما اتصفوا به وتميزوا باعتباره سلاحهم الوحيد فكان "الغدر والخيانة والمكر". ومن ثم فاستخدامهم في الجيش الفرنسي يعود بالخسارة، خاصة وأن اليهودي لا يحب الخدمة العسكرية "ولو قطعنا النظر عن جبانة اليهودي ودناءة أصله، فما الذي يحبب إليه الخدمة العسكرية، ولِمَ يجازف بنفسه ويخاطر بحياته. هل فدية لوطنه أم افتداء للجوي؟ فهو لا يعرف الأول ويحتقر الثاني.. ورب قائل يقول بأن اليهود يُدَّخَرون للمدافعة عن الوطن والمحاربة عن داخلية فرنسا إن تهددها الضر. فوالله لن يحارب اليهود في الداخل بأكثر مما حاربوا في الخارج. فكيف يوقف اليهودي حياته للذب عن بلاد يزعم أنها ملكه ولكنها ليست بوطنه ؟!. فهذا ينافي الخطة التي اختطها لنفسه والوظيفة التي تقتصر على استخدام هذه البلاد في سبيل تمديد سلطته واتساع دائرة امتلاكه".

وفي "نفي اليهود" طرح كورنيليان مشروعاً في غاية الدلالة، حين كتب "لكل شئ نهاية. فقد طال استعباد اليهود لنا ووصل إلى درجة قصوى يمكننا بعدها أن نتنبأ مع دريمون بقرب سقوط نفوذ اليهود.. فإنه إذا مل الشعب من احتمال وطأتهم وشدة جورهم.. وإذا أصبح الجيش في ضيق من ضروب الإهانات والمذلة التي

يكابدها في الداخل والخارج، تميز الشعب والجيش حنقاً.. فمزقا حجاباً على عينيهما ونظرا ذات اليمين وذات الشمال ليريا من كان السبب.. وإذا تأكدا بأن ما أصل ذلك إلا اليهودي، وقفا وقفة الحائر المندهش متعجبين في كيف أمكنهما أن يتحملا هذه المدة الطويلة نير عصابة قضت مدة ثمانية عشر جيلاً تجمع بين بصقات العالم وضربات نعاله". بعدها لن يقتصرا على الانتقام من روتشيلد وزمرته، بل سيشرعان "في استرداد عمومي إجباري لكافة أموال الإسرائيليين المنتزفة من دماء الأهالي والحكومة". وعنده أن المشروع يمكن أن يتم بسهولة. في البداية تعلن فرنسا حصار اليهود فيها وتصدر الأوامر للمختصين بمنع أي يهودي من عبور الحدود. أما الخطوة التالية فتكون بأن "يفتتح مشروع الاسترداد بأن تمحى كل أسماء اليهود من سجل الديون العمومية". وبعدها تضع الحكومة يدها على كل أموال اليهود في بنوك فرنسا والجزائر، وتقوم بالحجز على ما يملكونه من عقارات وأثاث "ويباع بالمزايدة بأبخس الأثمان". وبعدها يعطى اليهود ثمانية أيام لمغادرة فرنسا بعد تفتيشهم بعناية، على ألا يسمح لأحدهم بحمل أكثر من ٢٠٠٠ فرنك. أما من يتخلف منهم فيتم نفيه إلى التونكين. ولما كانت ثروة اليهود لا تقل عن ثلاثين مليار فرنك، يستطيع اليهود "بمكرهم المعتاد ومهارتهم في ضروب الاحتيال والاختلاس" إخفاء ثلثها "فهل يتأمل القارئ فيما تكون نتيجة دخول عشرين ملياراً فجأة على الخزينة الفرنسوية؟! فإن فرنسا تصبح في الحال أغنى دول العالم". ثم إنه إذا حدث ذلك سيعود أكثر اليهود إلى ألمانيا من حيث أتوا، وحينها "لابد أن يرجعوا إلى مبادئهم الحرة التي تخولهم النفوذ والقوة، ولا يمضي أيام قلائل حتى يثيروا بهذه البلاد الملكية ثورة توقعها بالارتباك وخوار القوى كما أوقعت فرنسا من قبلها، فلا تعود محلاً للرهبة. وهكذا ينتقم لنا اليهود من واقعة سدان بغير أن نجرد سيفاً أو نطلق مدفعاً". هكذا طرح كورنيليان مشروعاً لفرنسة أموال اليهود وطردهم من فرنسا. والسؤال: كيف

كان موقف اليهود من هذا المشروع وهذا الكتاب؟!.

أما المعرب "الحاج" فبدأ دوره في التأليف من الصفحة (٦٧) وكتب أن كورنيليان "أبدع وأجاد في ذكر أعمال اليهود في مصر، ولكنه التزم في بحثه ذكر الأشخاص الذين ينتصرون لهم ويخولونهم ذلك النفوذ من وطنيين وأجانب، والذين سرت اليهم العدوى.. وقد سرد أعمالهم بالتفصيل مع ذكر الأزمنة والأمكنة والأشخاص. واني مع تأكدي حقية ما يقول، آثرت عدم ذكر ذلك الفصل لأن ذكره ينافي ما أقصده بتعريب هذا الكتاب الجليل. وذلك أولاً: لأن حضرة المؤلف تصدى للطعن في أشخاص معروفين، وهذا لا أميل اليه، لاسيما وأن أولئك الأشخاص هم من غير اليهود، وان يكونوا من أنصارهم. ثانياً: لأن ما أوعزه اليهم من الأعمال يتعلق بالحكومة المحلية ويمس شرفها. فرأيت العدول عن ذكره أولى وأبدلته بذكر ما أشاهده بنفسي من أعمال اليهود رأي العين". هكذا، ولأسباب لا تبدو موضوعية، حذف المعرب فصلاً/جزءاً كاملاً ومهماً من الكتاب، لأن فيه نقد لليهود المصريين، بل وربما فيه نقد لانجلترا ولحكومة مصر. ومع ذلك كتب أن مصر "رزئت في الأيام الخالية بسبب اليهود بعشر ضربات عظيمة أوقعت بها المحن وأنزلت بها المصائب والعبر. ولكن وجودهم فيها كان أشد تلك الضربات وأعظم تلك المصائب. وهذه البلاد ما زالت منكودة الحظ مذ نزلوا فيها وأنزلوا شرورهم، فتراهم ناقمين عليها، تُكِنُّ صدورهم أحقاداً وقلوبهم حزازات". وفي هذا الاطار أضاف أن "الفلاح المصري يتقلب بين الشقاء والعناء سعياً وراء احياء نفسه.. بينما اليهود يتمتعون بالسيادة المطلقة.. ومن المعلوم لدى القاصي والداني أن اليهود في مصر، كما في جميع الجهات، أرباب المال وخزائن ثروة البلاد. فكيف تحصلوا على تلك الأموال، وما الذي يمكنهم من ضبطها واحتكارها؟!". ومن هنا أيّد ما أورده "كورنيليان" وأوضح الوضع في مصر من خلال عدة مقالات/فصول جاءت كما يلي:

أولاً: الضربة الصغرى (الصراف): حيث أوضح كيف يقوم الصراف بتبديل النقود بيعاً وشراء، فيحصل على المكاسب في الحالتين، خاصة وأنه يتفنن في "سحب الذهب عن الجنيه، بحيث لا يمكن تمييزه.. ثم اذا أتاه أحدهم بواحد من تلك الدنانير المسحوبة عرفه، وإن نقص قمحة أخذه بنقص عشرين قرشاً أو أكثر. اما هو فيدفعه كغيره من الجنيهات إلى الجهلاء". والصراف لا يكتفي بذلك، بل يخدع موظفي الحكومة باقراضهم مقابل فوائد كبيرة، وعندما لا يستطيع أحدهم الدفع، يقرضه المزيد حتى تتراكم عليه الديون، فيقوم الصراف اليهودي بالحجز على المرتب وأثاث البيت والعقار.

ثانياً: الضربة الكبرى (البنكير): فبعد أن تتضخم ثروة الصراف اليهودي، يوسع دائرة أعماله "ويتجرد لشراء السندات العظيمة والقضايا المالية الجسيمة ممن اضطرهم الحال..فيشتري منهم تلك السندات بنصف ثمنها والقضايا بربع ما تساوي، وهو على كل حال في ثقة من الحصول عليها، ولديه من الوسائط ما يضمن له استيفاء كامل قيمتها". وهناك طريقة أخرى للنصب والسلب "وهي أنهم اشتروا أسهم الجمعيات المالية، كالسويس وبناما والبنك العقاري في باريس ومصر وغيرها" حيث اشتروا السهم بمبلغ ضئيل ثم باعوه بأضعاف أضعافه بعمليات خداع مختلفة. وفي هذا الإطار أورد أكثر من عملية نصب ليهود ضد مصريين. لم يكتف اليهود بذلك، بل قاموا بأعمال الربا والنصب في الريف مستغلين حاجة الفلاح. كما احتالوا على الأغنياء والأمراء، باستغلال اسراف أولادهم الشباب. ولقد ضرب على ذلك مثالاً بنجل (ش. باشا). هذا بالإضافة إلى قيامهم بالمضاربة وتجارة الأوراق (القراطيس) المالية "فعند حدوث أي تغيير أو انقلاب سياسي أو اداري يترتب عليه ارتفاع الأسعار أو هبوطها، تنقل اليهم أنباؤها على أجنحة البرق، آتية من نحو روتشيلد مفتاحها ومحط رحالها، فتسير أعمالهم وهم بعواقبها عالمون. فإن هبطت أو ارتفعت فهم وحدهم الرابحون".

ثالثاً: الضربة اللطيفة (المرأة): فبينما يشتغل اليهودي بسلب الرجال، تقوم اليهودية بدورها "فتلج بيوت الأميرات.. حاملة من الحلي ونفيس المنسوجات ما يخلب سيداتنا ربات الدلال" فيشترين البضاعة بدون مقدم ثمن، فقط يقوم الزوج بالتوقيع على ورقة بيضاء، على أن يقوم بالدفع لاحقاً، وبعدها يضطر لدفع أضعاف الثمن "حفظاً لناموسه"، وإن لم يستطع تم الحجز على ممتلكاته. وقد أشار "الحاج" في ذلك لثلاثة نماذج، منها نموذج اليهودية (ك) وزوجها، واستطاعتهما الاستيلاء من إحدى الأميرات على قصر بدرب البرابرة. أما قوة نفوذ اليهود فأعاده إلى أنهم "استمالوا إليهم حزباً من أعاظم الرجال وأصحاب الكلمة.. وأصبحوا يستخدمونه في قضاء أغراضهم الذاتية ويستعيرون ما له من النفوذ.. وأقوى من يساعدهم على تلك الأعمال ويخولهم ذلك النفوذ هم وكلاء فرنسا في مصر، فإن السواد الأعظم من اليهود اكتسبوا التبعة الفرنسوية، واستمالوا إليهم القناصل المتعاقبة بواسطة يهود فرنسا الأقوياء، فسخروهم بالأعمال، ونسبوا إليهم كل ما يقترفونه من الذنوب.. وهذا الأمر قد أوقع النفور في قلب من عرف هذا من عقلاء المصريين وذوي الغيرة الوطنية منهم، فرأوا أنفسهم قبالة دولتين: انكلترا بحكمها وتحكمها، وفرنسا بانتصارها لليهود، مخيرين بين سلطتين كل منهما تنوي العبث بصالحهم وتطمح أنظارها إلى الاستيلاء عليهم. غير أن الواحدة مستولية ظاهرة، والأخرى خفية خادعة محتالة. فلم يترددوا في اختيار أخف الضررين وأهون الشرين، فألقوا بأنفسهم بين أيدي الانكليز مستجيرين من شر أعمال إسرائيل، يبتغون من مخالبه خلاصاً. نعم إنهم يندبون استقلالهم المفقود، ويبكون حريتهم المسلوبة، ولكنهم إذا وجدوا في حماية الانكليز رعاية ورفقاً ولو في الظاهر، وفي اليهود سهاماً حادة ومخالباً للخطف مستعدة، ارتدوا إلى الوراء مذعورين، ورجعوا إلى الانكليز خاضعين".

رابعاً: أرض الميعاد: وفيها عالج "الحاج" ماضي اليهود في فلسطين والشام، وتشتتهم في الأرض، وأنهم ينتظرون العودة الى تلك البلاد بعد أن "استولت هذه الأوهام على عقول اليهود الأقدمين والحديثين". والواقع أن ما كتبه يعكس وعياً مصرياً آنذاك بطمع اليهود في فلسطين، خاصة في قوله "ولكن الويل لنا ان تحققت آمالهم ونجحت مساعيهم. ولا يخفى أيضاً أن اليهود لا يعترفون جهاراً بهذه الغاية، بل انهم ينكرونها عند اللزوم، ولكن كفى بأعمالهم شهيداً عليها وأقوى دليل اليها. ففضلاً عن أن ديانتهم تشير لتلك البلاد كوطن مقدس محفوظ لهم عليه حقوق مقدسة.. فإن أعمالهم التي جعلوها مقدمة لامتلاك تلك البلاد تثبت أن تلك الأوهام أصبحت حقائقاً غريزية في عقول كبار اليهود وصغارهم" حتى أن كثيرين من أثريائهم اذا شعروا بقرب موتهم، رحلوا الى "الأرض الموعودة" حتى "لا يُحرموا من امتلاك شبر فيها وتضم عظامهم الى رثاث أجدادهم". وأضاف أن عبارة "العام الآتي في أورشليم" التي يرددونها عادة عند كل اجتماع يهودي، هي من الشواهد على رسوخ تلك الأماني عندهم. ومن هنا عبر عن خشيته من أن يكون "ذلك الاعتقاد وذلك الأمل على وشك التحقيق اليوم، اذا تأملنا في أعمالهم في هذه البلاد والوسائل التي تختلف كل الاختلاف عما سواها في كل جهات العالم، وذاك الاجتهاد والعمل اللذين لم نعرفهما في طبيعة اليهودي منذ نشأ حتى الآن" خاصة وأن حكومة فرنسا "آلة صماء" بيدهم "يديرونها كيف يشاءون" وأن فرنسا "أول الدول ذوات الصوت الأقوى والكلمة النافذة في سوريا وفلسطين"، وأن أول ما فعلته هناك ادخال معظم يهود بلاد الشام تحت حمايتها "وشد أزرهم بحماية الجمهورية" التي سمحت لهم بتأليف جمعية "الاتحاد الاسرائيلي". وعنده أن غاية وهدف تلك الجمعية "تسهيل وسائل الاستعمار لجماعة اسرائيل في البلاد المقدسة حتى تهرع اليها الوفود منهم، فيعملون بأرضها ويشيدون فيها

المدن والقصور حتى يكثر العنصر اليهودي فيها وتصبح، اذا أزف زمن السعادة، لائقة لأن تكون عرشاً لإسرائيل وحاضرة ملكه". ومن هنا بذلت الجمعية الأموال الطائلة لشراء الأراضي والعقارات في كل جهات فلسطين، وخصصت المبالغ الضخمة لكل يهودي طلب الهجرة إليها، حيث تعين له المال والبيت والأرض. ومع نجاح مشروع الاتحاد الاسرائيلي "تسابق فقراء اليهود في طلب الاستعمار إلى أرض فلسطين، وعلى الخصوص العرب منهم من شمالي أفريقيا حتى تكاثروا فيها وعظم عددهم". ولما تبين لجمعية الاتحاد الإسرائيلي أن تلك النوعيات الفقيرة وغير المتمدينة من اليهود لن تستطيع استعمار فلسطين، اتجهت لتهجير بعض اليهود المتعلمين والمتمدينين. ورغم حاجة الجمعية لتخصيص مبالغ طائلة لاقناع بعض يهود أوروبا بسكنى تلك البلاد "ثم لحصرهم في تلك الأرض كي يأتي منهم نسلاً يألفها ويخصص في المستقبل لتشييد مملكة إسرائيل العتيدة".. فانها بذلت جهودها ليكون اليهود في فلسطين في وضع لا يحتاجون فيه لغيرهم "فاستجلبت جماعة من المزارعين والبنائين وأصحاب الصنائع المختلفة، ووضعتهم في نقط أرض فلسطين التي اشترتها، فشادوا فيها قصوراً على الطراز الأوربي وعمارات محصنة الجوانب". وعندما ضاقت الأرض على المهاجرين "أضافوا إليها غيرها ثم غيرها، وهي سائرة بالعمران من يوم إلى يوم". أما أكبر المستوطنات (العمارات) التي أنشأها اليهود في فلسطين فهي مستوطنة (ميكوه–إسرائيل) قرب مدينة يافا، ومستوطنة (ريشون) بين القدس ويافا، وأغلب يهودها من ألمانيا وروسيا، وبعضهم من فرنسا. أما المدير العام للمستوطنتين الفرنسي "هيرش" فأدخل "جميع هؤلاء الغرباء من ألمانيين وروسيين وبولونيين تحت ظل العلم الفرنسوي، وهم لا يعرفون من اللغة الفرنسوية غير اسمها". على أن "الحاج" لم ينس أن يذكر بالفضل دور السلطان عبد الحميد الثاني والدولة العثمانية "فلما تكاثر عدد مهاجري اليهود في فلسطين

وتعاظم أمرهم، أدرك الجناب السلطاني غايتهم، وعلم عظم الخطر الذي يتهدد تلك البلاد إن أهمل أمرهم، فأراد تلافي الأمر قبل تفاقم الداء" ومن ثم أصدر فرماناً في سنة ١٨٨٣م بمنع كل يهودي من امتلاك عقار أو بناء بيت في فلسطين "ولكن قد أهمل العمل بهذه الأوامر، بالنظر لتداخل وكيل فرنسا وحكومتها كلما اهتم حكام تلك البلاد بتنفيذ إرادة مولاهم. وكيف يسمح روتشيلد بمنع امتداد السلطة اليهودية ونمو العنصر اليهودي في البلاد المقدسة؟!". وعلى كل شدد "الحاج" على خطورة الاستيطان اليهودي، بل ووعى حقيقة مهمة حين كتب "أن الربح والخسارة لدى جمعية الاتحاد الإسرائيلي سيان لأنها لم تقصد بعملها تجارة أو ربحاً، وإنما ذلك عمل سياسي باشرته، يترتب عليه مجدها ومستقبل سعادة أمتها، فهي لن تؤخر رجلاً بعد أن قدمتها، ولو أنفقت في سبيل ذلك نصف ثروتها" خاصة وأنها تحظى بمساندة فرنسا وبلاد أوربية أخرى. في هذا الإطار أيضاً أشار إلى محاولة أحد اليهود الألمان استيطان منطقة الطور بسيناء، حيث "أتى من قبل الاتحاد الإسرائيلي بالمراكب مشحونة بالرجال والأموال إلى نواحي جبل الطور، بدعوى أن تلك الأرض هي ملك اليهود القديم.. وكادت آمالهم تتحقق وتعمر بهم تلك البلاد، لولا انتباه الدولة العلية لهذا الأمر، فدعت الحكومة المصرية إلى إخراجهم من تلك البلاد". ومن هنا طرح السؤال "هل يبلغون تلك الغاية ويظفرون بذاك القصد؟". وعلى كل فإن الحاج لم يستبعد ذلك ولم يؤكده، بل ترك الأمر مفتوحاً. ومن هنا نستطيع القول بأن الكتاب دق ناقوس الخطر في حينه، ولكن لم يتم الالتفات إلى ما جاء فيه لأسباب كثيرة، منها خضوع مصر للاحتلال الانجليزي، وانشغال المصريين بقضايا بلادهم قبل غيرها.

وليؤكد "الحاج" أنه لم يبالغ فيما أورده عن "أعمال اليهود ووصف أخلاقهم وعاداتهم" أورد في نهاية الكتاب قصة حقيقية "قصها عليّ في تونس، إذ كنت

نزيلاً فيها، فاضل أثق به وأعتمد في حقيقتها عليه.. وقد تصرفت فيها تصرفاً كلياً حتى غادرتها رواية لطيفة المبنى، أدبية المعنى سميتها رواية (اليهودي المنتقم) لأن بها إظهاراً لفظاعة أعمال اليهود ورداءة قصدهم ودلالة على نقمهم على عباد الله وحقدهم".

تتكون الرواية من خمسة فصول. أوضح الفصل الأول أن أحداث الرواية بدأت سنة ١٢٥٠هـ في مدينة سوسة التونسية، حيث عاش التاجر الثري "الفضل بن يحيى" الذي عرف باستقامته وحسن سيرته وخصاله. كان للفضل أصدقاء كثيرين، أخصهم الشاب "علي بن صالح المغربي" الذي ينتمي لعائلة كريمة، وإن أدى كرمه الشديد لتبذير أمواله واضطراره للاستدانة بين الحين والآخر من صديقه الفضل، حتى كثرت ديونه. وفي أحد الأيام طلب ابن صالح من الفضل ثلاثة آلاف دينار للزواج من الأميرة "فاتنة" إحدى أميرات العائلة الحاكمة لتونس، والتي مات أبوها وترك لها ثروة ضخمة، واشترط عليها شروطاً عليها أن تلتزم بها في اختيارها لزوجها. وللصداقة بين الرجلين، ولعدم وجود أموال سائلة بيد الفضل ورغبته في تلبية طلب صديقه، فقد اقترح عليه أن يبحث لدى "المتمولين" عن من يقرضه المال، على أن يضمن الفضل سداد القرض بعد أن يبيع جزءاً من سلعه التي ستأتي بها السفن.

جاء الفصل الثاني من الرواية بعنوان "حقد ومؤامرة" وفيه عرض المؤلف لوجود مراب يهودي يسكن سوسه اسمه إسحق "دميم الخلقة، ذميم الأخلاق، سيئ السريرة. ومع أنه واسع الثروة، كثير المال، فإنه كثير البخل والطمع، شديد الحرص واللآمة، لا هم له إلا جمع المال وحشد الذهب.. يتظاهر أمام جيرانه المسلمين والنصارى بالوداد وحب الإنسانية مع أنه لا يضمر إلا الشر". كان اسحق يكن للفضل شديد العداء والحقد "لاسيما أن الفضل على غير دين التلمود، وأنه

يقرض المبالغ الجسيمة لكل طالب بغير فائدة أو ربا". أراد اسحق الانتقام من الفضل، ولم يجد وسيلة سوى الاستعانة بفكرة ابنته الجميلة والوحيدة "رفقا" التي رسمت خطة لتحقيق حلم أبيها عن طريق الإيقاع بيوسف النصراني "الوكيل المتصرف للفضل.. والنائب المستولي على ثروته" والذي كان يحب "رفقا" بجنون، وهي لا تبادله ذلك.

جاء الفصل الثالث بعنوان "قضاء وقدر" وفيه عرضت الرواية لفرح "اسحق" بخطة ابنته، وكيف أن ابن صالح لم يجد من يقرضه المال سوى "اسحق"، فذهب إليه وطلب منه إقراضه ثلاثة آلاف دينار بالفوائد التي يراها، على أن يردها إليه قبل مرور ثلاثة شهور، وأن يكون الفضل هو الضامن. فرح اسحق بضمان الفضل للقرض، وطلب من ابن صالح حضوره لكتابة الشروط. وبحضور الفضل انتهى الأمر بأن رفض إسحق أخذ فوائد على القرض، ولكنه اشترط –وعلى سبيل المزاح– كتابة شرط "يضحك الثكلان، وهو إن لم تف المال بعد ثلاثة أشهر، وفي مثل هذه الساعة، آخذ من جسمك رطلاً من اللحم من أي محل شئت"، مع العلم بأن اسحق كان يعلم بأن ابنته ستوقع بيوسف النصراني الذي استودعه الفضل كل بضائعه، فذهب إلى إسبانيا ليبيعها ويشتري بثمنها وبكل الأموال التي معه بضاعة. قبل الفضل بالشرط في النهاية، اطمئناناً منه بأن الأنصاري سيعود بالبضاعة والأموال قبل مرور ثلاثة شهور.

جاء الفصل الرابع بعنوان "مكر واغتيال" وفيه يتضح كيف أعدت "رفقا" خطتها. فما أن سافر يوسف بالمراكب والأموال إلى "فالانس" و"مادريد" بإسبانيا، حتى اقتفت أثره للإيقاع به. ومن خلال إظهار عواطف يوسف الجياشة تجاه رفقا وخداعها له، تدور أحداث الفصل، حيث ظهرت أمامه فجأة في مطعم الفندق، فمرض مرضاً شديداً بعد رؤيته لها بصحبة أوربي. وعندما كاد أن يهلك،

اقتربت منه وادعت حبها له وهروبها من والدها وتركها وطنها للزواج منه، على أن يهرب معها بأموال الفضل. ورغم رفض يوسف في البداية للعرض، فإن حبها لها اضطره لقبول خديعتها في النهاية.

جاء الفصل الخامس بعنوان "على الباغي تدور الدوائر" وفيه تناول المؤلف قصة لقاء ابن صالح بالأميرة التونسية، وكيف فاز بقلبها وتزوجها في النهاية. على أن سعادة ابن صالح أنسته القرض الذي اقترضه من إسحق بضمانة الفضل الذي وقع في مأزق لعدم عودة وكيله يوسف. هنا استعد اليهودي إسحق لتنفيذ شرط القرض، رغم رجاءات أصدقاء الفضل للعفو. خاف الفضل على نفسه من الهلاك "فكتب إلى صاحبه علي في تونس يخبره بكل ما حصل. ولكن الأجل انقضى قبل أن يحضر الجواب من علي، فرفع اليهودي أمره إلى قاضي المدينة، ودخلت القضية في التحقيق". وفور علمه، أفاق ابن صالح من انشغاله بعروسه التي أعطته عشرة آلاف دينار لسداد دين صديقه، بل إنها "أسرعت إلى الباي، الذي هو خالها، وطلبت منه أن ينتدبها للحكم في هذا الأمر" فلبست زي القضاة، وذهبت إلى سوسه. وفي يوم المحاكمة رفض إسحق أخذ أية أموال، وطالب بتنفيذ الشرط المتفق عليه، بلا رحمة. وافق الفضل على تنفيذ الشرط، ووضع جسمه بين يدي إسحق ليأخذ منه رطل اللحم. لكن القاضي (الأميرة في الحقيقة) فاجأ اليهودي بسؤال: "هل أتيت بميزان لتزن اللحم، وجراح يمنع الدم من النزيف، فقد عزمنا على إنصافك وإعطائك حقك فلا تخرج عن القانون. فقال: أتيت بالميزان ولكن لم يخطر ببالي الجراح، إذ لا يهمني إن مات غريمي أو عاش. فقال القاضي: حيث أنه لا يمكنا الخروج عن القانون، ويجب علينا أن ننصفك ونحكم بتنفيذ شرطك كما هو، فقد أذنا لك بقطع رطل اللحم من جسم غريمك كما تطلب، ولكن إياك أن تسقط نقطة واحدة من دمه، فليس مذكوراً في الشروط أن تأخذ الدم أيضاً، فحياتك تكون فداء لنقطة واحدة من

صعق اليهودي، وأبدى قبوله للمال، لكن القاضي صمم على تنفيذ شرط أخذ رطل اللحم مع المحافظة على الشرطين اللذين اشترطهما، وأضاف: "بناء على المادة ١١٥ من قانون العقوبات التونسي التي نصها (إذا حاول يهودي قتل خارج عن دينه يقتل، ثم يعطى نصف أمواله للحكومة والنصف الآخر لغريمه) قد حكمت المحكمة بنص هذه المادة على إسحق اليهودي الذي ثبت عليه محاولة قتل الفضل ابن يحيى التاجر المسلم". بكى اليهودي وطلب الرفق من المحكمة، فوافقت على أساس "أن العفو من شيمنا، والرحمة من لوازم شريعتنا" لكنها أصرت على ضبط أمواله، وإعطاء نصفها للفضل. وبعدها بفترة قصيرة مات اليهودي حسرة على أمواله. أما ابنته فحكم عليها القضاء الإنجليزي بالأشغال الشاقة، بعد أن اكتشف البوليس دخولها انجلترا مع يوسف النصراني وقتلها له. وبعدها استعاد الفضل كل أمواله.

والواقع أن الرواية مستنسخة من رواية "تاجر البندقية" للكاتب الانجليزي وليم شكسبير، مع تغيير في أسماء الشخصيات لتصبح أسماء عربية، وإضفاء مسحة عربية/إسلامية على الأحداث، وهي أمور لا تخفى على كل من قرأ رواية " تاجر البندقية " ورواية " اليهودي المنتقم ".

أرجو أن يكون العدد الثاني من سلسلة "أوائل المطبوعات المصرية" من الكتب التي تستحق أن تقرأ في تلك اللحظة المهمة -بل العصيبة- من لحظات التاريخ الفلسطيني والعربي.

محمد صبري الدالي

أستاذ التاريخ الحديث- جامعةحلوان

كتاب

في الزوايا خبايا

او

كشف اسرار اليهود

معرب عن الافرنسية بقلم

نجيب الحاج

مكاتب جريدة اللفانت هرالد

طبعة ثانية

ثمنه عشرة غروش صاغ

سنة ١٨٩٣

مقدمة

للمترجم

الحمد لله الذي علّم الانسان مالا يعلم وكشف له من الاسرار مالا يحيط به قلم · حمداً يشتد به ازري وينشرح له صدري وبعد فلا يخفى ان الامة الاسرائيلية كانت منذ نشأتها الامة المقدسة المصطفاه من الله اذلّ بها الشعوب واخضع لها رقاب عبدة الاوثان فعزّزها وبارك بنسلها واعظم شانها بايات بيّنات كان ياتي بها على ايدي رجالها ولكنهم ما زالوا صمٌ بكمٌ عميٌ فهم لا يبصرون وعتاة بغاة لا يعقلون فكم نبذوا جميل ربهم وشقوا عصا طاعة خالقهم ووصلت بهم القحة الى طرد رسله واهانتهم وقتلهم اذ جاؤا ينذرونهم بغضب الله ويحذرونهم من عقاب القادر الجبّار · ولما اعزّهم الله ولم يعرفوه واذلهم ولم يخافوه وانذرهم ولم يطيعوه وبعث اليهم بالرسل فاهانوه فيهم وعصوه غضب وسلط عليهم الامم فقهرهم واذلهم واباد كبارهم وفرق كلمتهم وشتت شملهم وحكم على عروش مجدهم بالسقوط فساروا على وجوههم في الارض تائهين خاسرين لا يهتدون · ولما تفرقوا ولعبت بهم ايدي سبا بعد ان سفكت دماء رجالهم وسبيت نسائهم وعيالهم ازدادت قساوة قلوبهم في الذل والاستعباد لانهم اضافوا الى غلظ رقابهم ودناءة اصلهم ورداءة قصدهم خسة العبد وذل الرقيق فاجتمعت فيهم اخسُّ

الصفات واصبحوا مثالاً للسيئات فزّجوا سهام غضبهم في عبيد الله اخذاً بثأرهم فاستحلّوا دمائهم وانتهكوا حرمتهم وحماهم ونهبوا اموالهم وراحوا في الارض يفسدون وهم في غيهم يعمهون

وكيف اتصل اليهود الى اغتيال الامم التي دخلوا بينها مع قلة نذرهم وخسة اصلهم وجبانة قلوبهم . انهم انتابوهم بخداعهم الموصوف وتمكنوا منهم بمكرهم المعروف فهم يطاطئون الرؤوس انحناء امامهم ولكنهم ينفثون السم طيّ الخفاء في الرؤوس ويزرعون البغضاء والشحناء في القلوب ويتركون النار تاكل بعضها بعضاً بينا هم عنها بعيدين ومن شرها امنين

واذ كنت ارى ان الشر يحلّ اينما حل اليهود والضر ينزل انّى نزلوا فما دخلوا مملكةً الا وانتزفوا دمائها المادية والمعنوية ولا ولجوا بلداً الا وسلبوا اموالها واغتالوا نسائها ورجالها يحملني ذلك على البحث ويحولني الى النظر فيما هو الذي يخولهم تلك القوة ويمنحهم ذلك الاقتدار . ولا سيما اذ رايتهم في البلاد المصرية والاستانة وتونس وسوريا ارباب المال والعقار وذوي النفوذ المطلق في الحكومات لا عمل الا ما يريدون ولا رأي الا ما يرون فاني عجبت لذلك وزدت فحصاً وتنقيباً ودرساً وتدقيقاً لعلي اطّلع على العلة فانبه مواطنيَّ اليها واقف على السر فازيح الستار عنه حتى عثرت على كتاب باللغه الفرنسوية لرجلٍ من مشاهير كتبة الفرنسيس يدعى المسيو جورج كورنيليان فحوّل مني النظر فقرأته ثم عاودته ثم اعدت الكرّة عليه فزال الغشاء عن عيني والعناء عن قلبي لاني علمت كيفية دخولهم بين الامم والوسائل التي يستخدمونها لجمع الاموال ونهب الخزائن واحتكار الارباح حتى يتوصلوا من ذلك الى القوة والنفوذ

والتصرف بالارواح والاشباح وما هي اعمال كل واحد منهم وما هي القوات التي يعتمدون عليها والجمعيات. التي يسخرونها لتنفيذ مآربهم ويسترون ورائها فظيع اعمالهم واخيراً فما هو مركزهم وقوتهم الماديتين والمعنويتين الآن وما يقصدون بهما وما هو مطمح انظارهم ومبدأ تلمودهم فرايته كتاباً اذاع الاسرار وكشف المخبا وهو يعود بالفائدة على اهل الوطن ويكون عبرة لرجال الشرق فعزمت للحال على تعريبه ولم اتردد في عزمي فضلاً عن انني أعلم من نفسي العجز ومن قلمي التقصير وعن معرفتي بان الترجمة جبل صعب المرتقى وسلوك شعابه اصعب من يوم اللقاء ولم احفل بما قيل فيمن الف بين كلمتين ونظم بيتاً او بيتين فجاذفت بنفسي حباً باهل وطني وعرّضتها لسهام الملام غيرةً على ابناء جلدتي وقد سميته. [في الزوايا خبايا] لانه كشف المخبا واذاع المكنون فلعله يكون عبرةً لاولي الالباب فيتنبهوا الى ما امامهم ويتيقظوا الى الخطر الذي يتهددهم ان بقيوا على تغافلهم عن خداع امة اليهود وتهافتهم على الوقوع في شراكها وحبالها وعلى كل فاني اطلب من ارباب الفضل عفواً ومن ذوي الاذواق السليمة عذراً . وبالله اعتضد وعليه اعتمد وبه استعين وهو نعم المعين

نجيب حاج



مقدمة المؤلف

لقد اصبح وقوف الحال وارتباك الاحوال في داخلية فرنسا امر لا يختلف فيه اثنان وقد عم الخطب الكبير والصغير وشكى منه الغني والفقير . ولم يطرأ هذا المصاب على البلاد الا في عهد العشر سنوات الاخيرة ولكن الامر لم يزل يزداد يوماً عن يوم وان بقي الحال على هذا المنوال عظم البلاء عليها وتفاقم الداء وسيزج بها في عميق الدركات حيث لا يكون لها منها قيام

ان الشعب الفرنسوي قد اتصف بالقوة والشدة وعرف بين الامم بطول الباع في التجارة والصناعة وسداد الراي في المشروعات السياسية العظيمة وقد صبر على مضض الدهر ايام الشدة صبر الكرام وقاوم بثبات كلما اصيب به من لضربات والمحن ولم تهزه المصائب او تذهب برونقه تقلبات الزمن وغدر الايام بل ازداد وجه تاريخه جمالا وقام بعد انتهاء ايام الشوم ولمّ شعثه الذي كاد يتفرق ونهض نهضة الاسد مفتخرًا على عدوه وشامتاً بمن رام اسقاطه فشلّت يداه ولم يتمكن من اتيانه باذى وهكذا لم يزل كما كان ينبوع موارد الثروة وحياة التمدن الانساني ولكنه اصبح اليوم يداخل اعضاء جسمه الارتباك ويزداد هذا كلما تقلبت الايام دون ان يعلم لذلك سبباً واشبه مريضاً يحمل بجسمه جراثيم المرض تتألم اعضاؤه ويستغيث ولا يعلم اصل الداء وموضع الالم فقلّت به الحيل وضاقت بوجهه المذاهب وسيصبح اذ ييأس من الشفاء ينتظر حلول اجله وتلاشي جسمه . ولو صادفنا رجلا قديم العهد فارق البلاد ثم رجع بعد زمن اليها وقصصنا عليه خيانة عظيمة

او مظلمة قاسية ارتكبها احد سراة القوم في الزمن الماضي لكان يتميز من الغيظ وتمنى لو امكنه الوصول لذاك الجاني الظالم ليمزق جلده انتقاماً لما اتاه ضد ابناء جلدته اما الآن فانه يطاطيء راسه خجلاً و يجيب "وكان بودّه ان لا يجيب " قاومنا العدو في حين كنا اقوى منه اما الآن فانه اقوى واقدر فما باليد حيله . فما هي تلك القوة العظيمة وذلك العدو المهاب الذي عجزت فرنسا نفسها عن مقاومته وتلافي مضرته . . . انه يجهله . . ولكنه يخضع لامره ويسلم صابراً على ظلم احكامه

وقبل ان نوجه سهام اللوم نحو الحكومة الفرنسوية لتهاونها وتسليمها لاحكام عدوها الخفي فمن الفروض الواجبة ان نبين لها مركزها الحرج وقربها من الهاوية المارية التي يتهددها الموقف بالسقوط فيها . فمن حوّل النظر نحو حالة فرنسا الحاضرة وانعمه في داخليتها وخارجيتها رأى بان الاضطراب قد استولى عليها والارتباك قد داخل امورها فمقاليد الامور فيها ملقاة بين يدي رجل من اعظم الناس دناءة وخساسة يوزّع ازمّة احكامها واوراق ماليتها على اناس عُرفوا بالتلاعب واشتهروا بالدناءة وسوء السيرة وهو ينظر اليها نظر المتفرّج على سلبها الشامت يبلائها بينا تلعب بها ايدي سبا وليس هذا فقط بل انه انحاز الى اناس سافلين واصبح يساعدهم على تنفيذ اغراضهم ويمكنهم من نوال غاياتهم الدنيئة . فالسياسة الخارجية قد ادتها يد الخيانة الى الخلل والفساد واصبحت وسائر الدول تشدد عليها النكير وترميها بسهام اللوم والتنديد . والامور الداخلية عُهد بها الى اناس تجردوا عن الذمة والشرف لا همّ لهم الا العبث بصوالح البلاد وتضحية كل عزيز في سبيل اغراض تلك القوة الخفية ولا يالون بوقوفهم هذا

الموقف الخطير امام الامة والبلاد لان تلك القوة تدرأ عنهم مقابل ذلك المصائب وتحميهم من سلطة المحاكم العالية اذ تطالبهم بما يقترفونه من الذنوب ٠ اما القوة الحربية فانها فضلاً عن تهديد المانيا ووعيدها المتداومين متفرقة في كل قطر وواد معرضة للبلاد الحارة والاهوية الفاسدة وستذهب بارواحها دون شك كما ذهبت ايدي السالبين بالصالح والمال

اما التجارة والصناعة فان ارتباك المالية واختلال دائرتي الادارة والقضاء لم يبقيا لها شريعة تربطها وتنتصر لها او قانون يذب عنها ويحمي ذراها فخارت قواها وارتبكت في امورها فعاقها هذا عن السير في مضمار التقدم فقامت التجارة الالمانية لمزاحمتها حتى فاقتها ترتيباً ونظاماً وفاتت اثارها بعد ان كانت لا تدرك منها الا الغبار ٠ ولا يخفى ان الفلاحة والزراعة هما في كل البلدان ينبوع الثروة وحياة التجارة والحكومات ولهذا فما بلغته فرنسا من التقدم السريع كان بانتظام امور فلاحها ووفرة الاسباب التي كانت الحكومة تشرع فيها لمجرد راحته لعلمها بانه احد اعضاء حياتها المهم اما الآن وقد انقلبت الاحوال الى عكسها فقد ساءت احواله لسقوط التجارة واختلال الحكومة ولما باء تحت اعباء الضرائب ولم يعد يقوى على حمل وقرها الثقيل هجر الحقول وهاجر القرى واتى المدن ابتغاء الخلاص من ظلم الحكومة الشامل وسعياً وراء وسيلة للتعيش لان الفقر انشب فيه نابه ولكن ذلك لا يكون الا لابدال الفقر بالفقر والاستعاضة عن الفاقة بالمسكنة

وبالحقيقة ان فرنسا مع علو قدرها وعظم شانها لم تصب بهذا المصاب ويتفاقم عليها الداء بهذه السرعة الا وكان عدوّها عظيماً وخطبها

شديدًا جسيماً . والغريب بان اناساً كثيرين من محبي الوطن والغيورين على صوالح الامة والبلاد قاموا يحذرون الناس من الداهية الدهماء التي تنتابهم بعد ان كشفوا عنها الستار بمطبوعاتهم واسهبوا في تفصيل اسبابها وشدة ضررها ولكن

لقد اسمعت اذ ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

فكانوا كمن ينفخ في رماد ولم يصادفوا الا اذاناً صماً وقلوباً قاسية ولكن غير هؤلاء كثيرون ايضاً ممن ذهبوا ضحية الشر وفريسة ذلك العدوّ الخفي قد اطّلعوا على الحقيقة وعلموا غوامض الامر ومكنوناته ولا مانع يمنعهم من ازاحة النقاب عن اسباب البلاء الذي عمّ . فلمَ لا يتشبهون بهم ويقتفون اثارهم .. ان هؤلاء العالمين بسبب مصابهم والمطّلعين على جرثومة دائهم يهابون ويوجفون خوفاً من اذاعة سرّه المكنون وقد ذكّرنا أمرهم قدماء النسّاك الذين كانوا لا يجسرون على التعوّذ من الشيطان ولا باسم الله خوفاً من ان يكون ذلك داعياً لحضوره الذي يعقبه خطف ارواحهم .

فاليكم يا بني امي اسوق الكلام واياكم ايها العارفون استنهض بحميتكم وغيرتكم استعين فللوطن عليكم فروض مقدسة وللبلاد دين عظيم فهيا هبّوا من رقدتكم وسهّلوا الطريق لابناء جلدتكم ومهّدوا السبيل لاولاد وطنكم . وهيا اخلعوا عنكم ثياب الخوف والهلع واكشفوا غوامض المصاب وبينوا موضع الضرر لعلّ في الامكان تلافي الشرّ ومنع البلاء الذي ضر . وها اني اذكره قبلكم واصرح باسمه في باديء مشروعي دون خوف ولا ارتياب .وكيف اخاف من نفع وطني العزيز وله عليّ

فروض الوطنية والواجبات المقدسة فنفسي له الفداء وحياتي في سبيل مجده سحيه.

ان البلية العظمى والطامة الكبرى وذاك الداء العضال الذي استفحل امره واضح شره ينتاب الاهالي ويتهدد البلاد بالدمار هو . . . اليهود . . . اليهود . . . فاليهود اصل البلاء . اليهود كل الضرر وجرثومة الداء . . اليهود مصابنا العظيم وخطبنا الجسيم فقد اصبحت فرنسا او بالحري اوروبا فريسة لليهود وغنيمة باردة لهم فانهم لما لم يروا في طريقهم مانعاً او لقبح اغراضهم رادعاً طغوا وتمردوا ووجهوا سهام اطماعهم نحو جسم فرنسا فانتزفوا ما يدور في عروقها من الدم المادي والمعنوي فاوقعوا البلاد بغوار القوى وابلوها بالضيق الشديد بينما كانوا هم ناعمي البال يتمتعون بخيرات البلاد وانعامها وقد اغراهم ازدياد قوتهم من يوم الى يوم فانتهزوا فرصة فقدان جانب عظيم من قوة فرنسا بعد حوادث السبعين وتمكنوا من شن الغارة علينا والتصرف في اهم شوؤننا وتحصلوا على القوة بالمال وعلى المال بطرق الغش والخداع و بهما حصروا موارد الغنى و ينابيع الثروة واقرنوها بمكرهم الشيطاني في حين كنا لعظم الثقة بهم غافلين ولقوتهم مسلمين فاستعبدونا وملكوا رقابنا واصبحت مخالب اليهود تنشب فينا من الوراء والامام حتى اصبحنا الآن بالرغم عن انوفنا نطيع لاوامرهم ونخضع لاحكامهم . وفي الواقع بان كافة اموال اوروبا لا تكاد تكفي لسد اطماع يهود فرنسا فقط اذا قصدوا تحقيق هذا الامر وابرازه من حيز الفكر لحيز القوة . ولكنهم في الوقت الحاضر قد استولوا على كافة اموال فرنسا ولم يكتفوا فيها بحصر المال واحتكار موارد الغنى بل طمحت انظارهم الى

في فرنسا والجزائر وتونس وغيرها من المستعمرات عقارات لا تقدّر واقطاع لا تعدّ ولا تحصر ثم حولوا النظر الى الشؤون الادارية والقضائية فراحوا بيننا يقضون ويفتون . يديرون امورنا ويتحكمون باموالنا وارواحنا فكانتا آلة طائعة عمياء يتصرفون بها كيف يشاؤون ولا تمضي برهة من الزمن حتى يعرض لهذه الآلة ما يحطمها فتذهب ضحيــة المآرب الخبيثة والاغراض الباطلة السافلة

قد بينت في خلال مشروعي هذا باننا في الوقت الحاضر نكدّ ونتعب بل نهلك باليهود ولاجل اليهود . فيا له من امر غريب ومنظر مؤلم محزن كيف ان شعباً قد اتصف بالعقل وعرف بالشجاعة والثبات يتألف من اربعين مليوناً من الانفس . . . اربعــين مليوناً من الفرنسيس خيار الرجال يستعبدها ثلاثمائة الف فرد من اجلاف اليهود . ان هذا لمن العجب العجاب وامر مشين معاب . الســنا يا اخواني سليلة شعب طاب اصله وسما قدره فسارت بذكره الركبان وأقرّت بفضله الشعوب . فاين هممنا العلية واين نفوسنا الابية أيجدر بنا ان نسقط عرش مجده الى حضيض الذل ونلطخ سماء تاريخه بحمــأة العار . . . لا . . . لا . . . سننهض بهمتنا المعروفة ونخوتنا الموصوفة ونضرب بسيف الحرية انتصاراً للحق ونزيح به الغشاء الذي لم يزل يمنع عن اعين ابناء شعبنا الشريف النور الحقيقي لعلهم يميزون به ما امامهم وينتبهون الى الهاوية الهارية التي تتهددهم

ولقد اخفى اليهود عنا امراً جديراً بالانتباه فانهم اذ علموا العلم اليقين بان الامة الفرنسوية وان تكن رقيقة الطباع دمثة الاخلاق يسهل

على مثل اليهود خداعها والمكر بها لا بد ان ياتي يوم ينكشف به الستار عن اعمالهم فتنهض للانتقام من الذي ظلمها وعبث بحقوقها فتبليهم بالذل والهوان وتهلكهم بالسيف عن آخرهم فقد انتبهوا لذلك وسخروا جمعية مؤلفة من خواص رجالنا واعظمهم للذب عن صوالحهم وستر فظائع اعمالهم وحرصوا على اخفائها كل الحرص وهم يعيشون في كنفها ويعملون في ظلها لاعلاء شانهم والفدر بمآربهم . تتعاقب الوزراء وولاة الامور من زمن الى آخر و بقدر تعاقبهم تزداد الديون على عاتق البلاد وبقدر ذلك تتكاثر الضرائب والمكوس وتزيد احوال البلاد ارتباكاً واضطراباً فتسير بالسقوط الى حضيض العسر والفاقة . ومن يبحث عن السبب رأى حوله ظلام وغوامض اسرار وخفي عليه ان الحكام المتعاقبين هم اعضاء تلك الجمعية المعني عنها وقد سخرت بالاموال الطائلة للعبث بحقوق البلاد وصوالحها وان الخلف والسلف يخضعان لرأس واحد ويشتركان بمبدأ واحد وهو ايقاع البلاد بالعسر والارتباك في حين يكون مسخروها منتصرين فائزين لان امرهم مستورًا وشرهم طيّ الخفاء . فلقد آن لنا يا اخواني ان نضع حدًا لهذه الحال واخرًا لهذا الاضطراب وكفى ما تحملنا من مشاق الذل اذ انتابتنا ايدي الاعداء مدة عشر سنوات كاملات ولم ينته ما طرقنا من المصائب في غضون الحوادث الاخيرة وان اشارة من روتشيلد تكفي لاسقاط جسم فرنسا المخبط بين يدي عدوتها الالدة التي لا تفتر عن التهديد والوعيد . ولا يغرب عن القارىء باننا لا نوجه كلامنا الى سراة القوم وولاة الامور حيث انهم يغمضون اعينهم ويغضون طرفهم عن النظر الى ما يتهددهم من الخطر اذ

لم يتمكنوا من تلافي المصيبة وتدبر الشر قبل وقوعهما. بل نسوقه الى قسمي الشعب المهمين اللذين حفظتهما طبيعتهما من التلطخ باوزار اليهود وهما جيش فرنسا وجماعة العمال في المدن والقرى بدون استثناء فعليهما المعتمد وعليهما فقط نوطد اركان الامل ففي عروقهما يسري دم فرنسا الحقيقي الطاهر وفيهما تنحصر الشجاعة والحمية والغيرة عن الوطن العزيز مع جميع الخلال الشريفة التي اتصف بها شعبنا المشهور

ونضرب صفحاً عن كل خلاف سياسي او ديني تحدثه الايام ولا ندع فرصة تفوت الا ونستعملها في مقاومة مقاصد اليهود الشريرة ونتفق قلبا وقالبا على اضعاف شوكة من يقصدنا بالسوء وبعد خلاصنا من القوم الاجلاف ومما يسببونه من الارتباك واضطراب الاحوال ترجع الينا السلطة الاصلية ونفوذنا الاول ويرتد الى بلادنا السكينة والنظام ويرتفع من بين احزاب شعبنا الخلاف وافتراق الكلمة والمذاهب فالمدد عندنا كثير والقوة لدينا متوفرة وحالتنا تقتضي الدفاع والمحافظة على حقوق وطأتها الارجل وعبثت بها ايدي السفلة فانتصاراتنا الاولى وفوزنا المتعدد في احوال اعظم من هذه اهمية في حين لم نكن بقوتنا الحالية يضمن لنا النصر على الاعداء في هذه الحالة وتشتيت شملهم في كل قطر وسبسب ويكفينا لذلك الارادة وثبات العزم فان اليهود تملكونا بسلاحهم المعتاد وهو الخداع والكذب . اما نحن فاننا نحطم هذا السلاح بالنور الذي يكشف لنا ما كان يخفيه الظلام من اعمالهم القبيحة ونبيدهم بسيف الحق الساطع

لقد بين لنا المسيو « كالكست دي دولسكي » في كتابه « لاروس جويف » [روسيا اليهودية] تعاليم اليهود الشرعية ومقصدهم السرى وسلوكهم

القبيح الخفي وفصل لنا مبادىء الفساد التى يبثونها في كل بلدة حلوها كي يتوصلوا لامتلاكها باسهل الطرق . والمسيو دريمون كشف الستار في كتابه « لافرنس جويف » [فرنسا اليهودية] عما يرتكبونه من الذنوب و يستعملونه من طرق الاختلاس واساليب المكر والخداع في فرنسا والمسيو م . ج . مينير ارانا اليهود بصفة لصوص سرقة يسعون في الارض بالفساد . اما انا فرأيت الواجب عليّ ان اقتدي بهم فاجهدت النفس لاطلاع قرائي الكرام على حالتهم واعمالهم عموماً وفي الشرق خصوصاً وطريقهم التى يسلكونها مع ما يقترفونه من الذنوب تحت اسم فرنسا ليعلم القاصى والدانى بان اسم فرنسا يثلم وشرفها يلطخ بالخارج بازوار اليهود باكثر منه في الداخل وكنت افتخر بشروعي هذا لاني عملت الواجب عليّ امام وطني العزيز وابناء جلدتي الافاضل لولم اكن اقتفيت بذلك اثر سلفائي الافاضل الذين خططوا لي ولابناء وطني الطريق ومهدوا السبيل للخلاص من ورطة و بلية وهاوية هارية فكنت على حد من قال

فلو قبل مبكاها بكيت صبابةً بسعدى شفيت النفس قبل التندم
ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت الفضل للمتقدم

على انني اعترف بانى لست من امثال سلفائي الكرام ولا من رجال هذا الميدان وما عملته لا يذكر امام ما نطقت به اعمالهم من الفضل وغزارة الوبل لكنني مع هذا أُسرُّ عند ما أرى كلامي هذا قد صادف موقعاً حسناً لدى ذوي الاذواق السليمة واثار الحمية في رؤوس محبي الوطن العزيز فنهضوا للاقتداء بي بهذا المشروع تلافياً للخطر وتداركاً للمصاب واطلب من اولياء الفضل اسبال ذيل المعذرة على ما يرونه من الهفوات وبالله المستعان

ضلال اليهود

ان من تصفح التاريخ القديم واطلع على ما احتوته بطون اوراقه من تاريخ الامة اليهودية منذ نشأتها يتعجب من عظم الانقباض والتاثير اللذين يستوليان عند قراءته على النفس ولا سيما اذا قابل ذلك التأثير بما كان يشعر به من السرور لو تصفحه حين الصغر . فان الصغير لا ينظر فيه الا للاماكن المسره والحوادث البسيطة التي تتسلط على عقله وترسخ في ذهنه اما الامور العالية والمبادئ الفلسفية فانها تفوته ويقصر عن ادراكها لانها تقتضي الخبرة التامة وسمو المدركة والفكر الثاقب وهذا كله ينقص الصغير مهما كان متنبهاً ذكياً لان تلك لا تحصل الا بالعلوم وزيادة الاطلاع اللذين لم يبلغ اليهما بعد ولهذا فلا يمكنه فهم الحوادث وتقديرها قدرها . واذا تصفحها هذا الصغير عند بلوغه سن التمييز فان سروره من قراءة ذلك التاريخ ينقلب عند ذلك الى عجب واندهال ويتحوّل الى كراهة الشعب الاسرائيلي ويحكم بغباوة قلبه وغروره وذلك عند ما يرى سرعة تقلب هذا الشعب وغلظ عقله وجموحه عن الطريق المستقيمة التي التزم عقلاؤهم تخطيطها حتى عجزوا عن وضع حد لهذا التقلب وشكيمة لهذا الجموح رغماً عما وهبهم اياه الله من الحكمة السامية والغيرة العظيمة . فان الشعب الاسرائيلي بعد ان وفقه الله بواسطة نبيه موسى الى الخلاص من مصر واستعباد المصريين وقساوتهم عدلوا عن السير ورغبوا عن الحرية الى العبودية وارادوا الرجوع الى قيود الاستعباد

وفضلوا خدمة مصريين فرعون على التمتع بحرية النفس وكادوا يتغلبون على قائدهم موسى لو لم يتأثرهم فرعون بقومه ويدركهم بجيوشه وشجعانه فخافوا عند ذلك من الهلاك واذعنوا لرأي موسى بعد ان كانوا عصوه وطلبوا اليه ان ينجيهم من الهلاك كما اعتق رقابهم من العبودية . وبعد ان خلّصهم موسى بقوّة الله عند شق البحر الاحمر واغراق فرعون وقومه وصعد الى جبل الطور ليتلقى الوصايا العشر ويسنّ الشريعة الالهية فلم يكد يتوارى عن اعينهم الاّ ونسوا المهم الحقيقي الذي اعتقهم من الذل والاسر والهلاك فعمدوا لاصطناع العجل الذهبي وداروا حوله يعظمونه ويكرمونه واعمال موسى وخوارقه ومعجزاته التي خلصت هذا الشعب مراراً عديدة من هلاك الجوع والعطش والموت الاحمر لم تكن الا لتزيده عصياناً وكفراً وقساوةً وهكذا قضى هذا النبي جميع ايام حياته في تلافي كلما يحدثه اليهود اللئام من كفران النعم والغلطات الشنيعة . وحالة اليهود السيئة لم تكن في ايام موسى فقط بل انها ما زالت تزداد وتنمو ايام القضاة والاحبار والملوك المتعاقبين بعد موسى وكثيراً ما كان يعود عليهم ذلك بالخسران والذل فيبليهم الله بالسبي والهلاك قصاصاً لهم ثم يبعث اليهم بالرسل والانبياء ليرشدوهم الى المحجة البيضاء والنور الحقيقي فكانوا يبادئونهم بالشر ويميتونهم شر الميتات بعد ان يذيقوهم العذاب الواناً . وكانوا عند ما يرسل الله عليهم سيف الانتقام ويشعرون بالالم يرجعوا اليه بالتوبة والخضوع فيرحمهم ويخلصهم مما ابلاهم به ان الله غفور رحيم ولكن لم يكن يمضي على ذلك ايام قلائل يستبدلون في خلالها طعم العذاب بطعم الرفاه فينبذوا طاعة روسائهم او بالحري يسوقونهم هؤلاء الى عبادة الاوثان التي كانوا يتفننون باحداثها كل يوم

فهذا كان دأب اليهود والى هذه الدرجة بلغت قساوة قلوبهم وفظاعة اعمالهم فان ديدنهم ارتكاب المعاصي والذنوب التي تقشعرُّ منها الابدان وتشيب لهول ذكرها الولدان

ورأى الله بعد ذلك بان الشعب الذي اصطفاه قد شقَّ عصا طاعته ونبذ جميله وانكر فضله فعالجه ولما لم يرَ لدائه شفاء غضب وسلط عليه الشعوب المجاورة فاذلته وقهرته واسرته رغماً عن كثرة عدده وقوة جيشه وهكذا لم تزل المصائب تنتابه والقبائل تتناوشه حتى انحلت عراه وتشتت منه الشمل وتاه بين قبائل المسكونة وشعوبها وقد اندرست اثاره واندكّت عروش مجده. واذا اردنا الوقوف على حقيقة اخلاق هذه الامة من اول نشأتها حتى الآن فان التاريخ يرينا اياها بزي امة طبعها الاحتيال والمكر ودأبها الاختلاس وارتكاب المحرمات • تميل بالفطرة الى المعصية والمنكر • سريعة التعوّد على الاستعباد والخدمة • ميالة الى الذل وعبادة الاوثان • لا تعترف بجميل ولا تقرُّ بمعروف • كثيرة التذلل في الغلبة والسقوط • شامخة قاسية سفاكة في الانتصار • وهذا ما رمى بها في وهدة الذل وادى بها الى التفرق والشتات وهي مع ذلك لم ترتدع ولم تعتبر بل انها الى يومنا هذا لا تزال ترتكب عظائم المنكرات وتستعمل طرق الغش والخداع ولم تحفل ان جعلها ذلك عرضة لاهانة الشعوب الأخر ونفر منها الهيئة الاجتماعية • ولو لم يختلط اليهود بعد تفرقهم بين الامم التي دخلوا فيها والتي ذاقت مرارة جوارهم المشوم لكان يجمعهم حينئذ اهانة الشعوب وطردهم لهم بعيداً بقدر ما يجمعهم الان شدة تمسكهم بعرى الاماني التي يعقدون الخناصر على تحقيقها وابرازها الى حيز الوجود

التلمود

ومن المعلوم بان المتاخرين من اليهود يحاولون الاستمساك بعوائدنا وتقليد بدعنا وهذا ليحوّلوا انظار الرأي العام عنهم كأنهم جهلوا ان مقالاتهم العديدة وخطبهم المتابعة التي يفوه بها رؤساؤهم في الاجتماعات السرية وعموماً جميع اعمالهم تكشف ما تكنه قلوبهم من الحقيقة الساطعة وتظهر شدة تمسكهم بالجنسية وانهم انما يتخذون جنسيتنا درعاً متيناً وحصناً حصيناً يدرأ عنهم الظنون ويسعون وراءه لبلوغ غايتهم الموهومة او مآربهم الشيطانية التي زجتهم في وهاد الغلط وعدلوا لاجلها عن السراط السويّ ولكي يجدوا من ذلك مخرجاً اخذوا يبحثون في ايجاد وسيلة تمنع ارائهم من التفريق فسنوا التلمود الذي اصبح مختصر مباديهم الدينية وعنوان سلوكهم المدني فهو يبيح لهم ما يميلون اليه بالطبع ويشجعهم على استطراد خطتهم القبيحة · فانه بعد سقوط الامة النهائي وهبوط عرش مجدها اي عقب انتشار الدين المسيحي تشتت اليهود في كل قطر وبسبب واضطر كل فريق منهم ان يخضع لنواميس البلاد التى سكنها ويطيع لاحكامها وشرايعها ويترك قبالة ذلك اشياء كثيرة من عقايد دينه الاصلي فقام نصراء الدين في اورشليم وبابل واهتموا بوضع قانون يضمن بقاء الشعب على مبادئه الاولى مع مطابقته للاحوال الحاضرة والسياسة المطّردة وحيث لم يخفَ عليهم ما كانت عليه الامة

من الضعف الطبيعي وعدم الاهلية للاعمال المفيدة الامر الذي اضطرها الى المعيشة في ظل الشعوب الأُخر اضافوا الى غيرتهم وحميتهم ما اخذوه عن سلفائهم من المهارة وحسن التدبير وفكروا في الوسائل التي تبدل ذلك الضعف بقوة وتبرز تلك السعادة الموهومة الى حيز الوجود·
ولا يخفى ان موسى وخلفاءه لم يكتفوا في الزمن القديم بتعليق الشروح والتفاسير على الشريعة الالهية الاصلية بل كان اهتمامهم ايضاً باضافة اشياء كثيرة الى فروضهم الدينية من شانها ان تقيدهم بقيود لا يخرجون منها ليتمكنوا بذا من جمع الامة تحت جناحهم منعاً لشملها من التفرق ولرأي افرادها من الاختلاف · ولما لم تكن ضرباتهم المتعددة مدرسة تجارب تعلمهم الاذعان لراي رؤسائهم او يتمكن الاخيرون من حفظهم ضمن دائرة النظام بما وضعوه لهم من القيود والقوانين وتفرقوا في اقطار المسكونة اضطر الرؤساء للاذعان لحالتهم ومجاراتهم على سيرتهم بادء بدء ولكن عند ما آل امرهم الى التفريق والشتات بين شعوب البسيطة خاف روساء الديانة المستحدثون من انقراض الشعب الاسرائيلي عند ما راوا سرعة تلاشي اكثر عوائده والغاء جل عقائده نظراً لاختلاطه بقية الشعوب وانتشار نذره القليل بين جموع الامم العديدة علموا حين ذاك مقدار الخطر الذي يتهدد امتهم وعمدوا مقهورين الى نسخ القوانين الاولى اي الشريعة المقدسة لانها تغل ايديهم عن فعل ما يميلون اليه بالطبع وابدالها بقانون جديد يوافق رداءة قصدهم ودناءة اصلهم من شانه ان يربط الامة بعضها وان تفرقت الاجسام ويقضي على عمومهم بالتعاضد والتعاون فاسسوا هذا القانون على زعم ان سعادة اسرائيل موعودة

من الله وعليه فيجب ان تطمح انظاره الى ما لا نهاية له من توسيع الامتلاك والسلطة فرفعوا كلما يضاد هذه المبادئ ويحول دون تحقيق هذه الاماني واعفوا اسرائيل من كلما يقضي عليه بفرض ادبي لغيره من الامم فذهبوا بقيود القانون الموسوي وعبثوا بالشريعة الالهية غير مبالين بما سينتج عن ذلك من فساد الديانة والزوغ عن الذي لا يشكون بحقيقته فانه فضلا عما أُعطي اليهود من الامتيازات على كافة الشعوب الاخر في ايام ابينا ابراهيم والنبي موسى فان الشريعة الموحاة تقيد الشعب بقيود وتقضي عليه بفروض نحو اخوانه بالانسانية بدون استثناء امة ما وعليه فلا نص بتلك الشريعة يبيح لليهود الخروج عن الحدود الموضوعة لهم او يساعدهم على الاستقالة من الفروض التي تفرضها . ولكن فسر هذا واضعو التلمود بزعمهم ان ما تفرضه الشريعة عليهم يكون امام اخوانه بالجنسية فقط بقطع النظر عن بقية الشعوب الأُخر ولكن لا يعقل بان تلك الشريعة الموحاة من الله المنزهة عن كل عيب ينقصها ما يختص بعلاقات الاسرائيلي مع الامم الاخرى . اما المبدأ الذي بني عليه التلمود فهو ان العزة الالهية قد اعدت للامة اليهودية امتلاك الارض برمتها ووعدتها بالتمتع بجميع خيراتها حيث انها خُلقت لاجلها وكانت لها وسترجع اليها بالعاجل او بالآجل . وقد جاء في التلمود ما نصه بالحرف الواحد « يباح لاسرائيل بل يفرض عليه قتل من امكنه قتله من « الجويم » اي الخارجين عن اسرائيل » ثم قال [الجويم] حق لليهود وعليه فانه يجوز اغتصابه والاّ فسرقته »

فهذا كتابهم المقدس وهذه قاعدة واساس مبدأهم وسيرهم في هذه

الايام فكأننا حينئذ على الارض عبيد مسخرون من الامة اليهودية للشقاء والتعب وبالتالي فللسيد ما يملك العبد

وقد انشأ برافان اليهودي الذي اعتنق الديانة المسيحية من زمن وجيز كتاباً كشف به الستار عن جمعيات اليهود السرية التى يسمونها « بالكاهال » وعما يقررونه من الاعمال الفظيعة والطرق التى يتخذونها لافساد الاعمال وايقاع البلاد التي يسكنونها بالارتباك ليتمكنوا من انتزاف خيراتها وسلب اهلها بالخداع وليس هذا فقط بل ان الكاهال المذكور او المجلس السري يحكم لكل فرد من افراد الأمة بالحرية المطلقة ويبيح لهامتلاك اموال وعقار اي شخص من الطوايف الاخرى يذكره في طلبه المقدم لذلك المجلس وبالتالي التصرف بذلك الرجل حسب مشيئته . ولتسهيل ذلك يفرض على اخوانه بالديانة مساعدته وامداده بالقوة والمال بشرط ان لا يزاحمه احدهم في غنيمته

فتلك هي حالة الاشخاص الذين غضضنا الطرف عن اعمالهم فانبثوا بين ظهرانينا وطمحت انظارهم الى الدرجة القصوى من السلطة والمجد. والذي سهّل لهم بالاكثر الدخول بيننا واطمعهم في رجالنا واموالنا هو قواعدنا الثلاث الاخاء والحريه والمساواة فقد مهدت لهم الطريق وتغلبوا بها عما كانوا يلاقونه قبل من الصعوبات التى كانت تبعدهم عن مآربهم فانه لما تعممت مبادينا الحرة وامتنعت عنهم تلك الاضطهادات لدايه امنوا على انفسهم واصبحوا يتظاهرون بالتودد الينا فتمكنوا من النهب والسلب حتى استفحل الامر وتفاقم الخطب ولما كانت ديانتهم تقضي عليهم باتفاق الرأي والتعاضد على عظائم الامور كانوا بين

ظهراني امتنا متفقين قصداً ومبدءاً وقد احتالوا على القسم الاعظم من اكابرنا فاستمالوه اليهم وبعد ان بثوا فيه مباديهم الفاسدة تواطئوا معه على الشر واتخذوه ذريعة لتنفيذ مآربهم وستر اعمالهم المباحه لهم في التلمود

ولما علم اليهود بان اقرب الطرق للوصول لغايتهم المقصودة هو بث روح الشقاق في جموع الامة وتفريق ارائها ومباديها لم يقتصروا على الاشتغال بذلك في المحافل الادارية فقط بل تحرشوا في المحافل السياسية ايضاً وقد نجحوا بذلك نجاحاً عظيماً حتى اصبحوا رؤساء تلك المحافل وقاموا يشددون النكير على كل من يخالف مبدأهم

والغريب بان هولاء القوم لما اصبحوا رؤساء المحافل الادارية والسياسية تصدى بعضهم لبعض بالخلاف والمعارضة مع انه من المؤكد بانهم متفقون باطن الامر مبدءاً وغاية وان تظاهروا بالمخالفة فلكي يجعلوا الامة فرقاً متفرقة ويسعوا بزرع العداء والشقاق بين الفرق التى يرأسونها وهكذا يتمكنون من اسقاط الامة بعد تفريقها ويشتغلون بعدها او في خلالها لاعلاء الشعب الاسرائيلي وابلاغه الى الدرجة القصوى

كانت الجرائد والمطبوعات في فرنسا اكبر موجب لتقدمها وحصولها على الشرف والعظمة وهذا الامر لم يبقَ زمناً طويلا محجوباً تحت استار الخفاء عن انظار الامة اليهودية فقد جردوا في الاخر عليها جيوش مكرهم وساعدهم على ذلك القوة المالية والنفوذ الاداري فاستولوا عليها وصيروها كغيرها آلة هائلة يموهون بها على اعين الشعب ويحولون الحقايق فيها الى نفاق وبهتان ويتممون ما بدأوا به في المحافل السياسية من شق الشعب الفرنسوي وتفريق كلمته ليوقعوه بارتباك الاحوال

فاعظم الصحف السياسية في باريس وغيرها لا يخلو عداد محرريها من اليهود الا بعض التى لا اهمية لها وها انا اذكر ما خطر ببالي من هذه الجرايد واسماء الاشخاص تثبيتاً للقولي

الجولوا - ارتير ماير - الكري دي بيبل "جيبهار" صاحب امتيازها "الفيجارو البرت وولف وملبود - اللانتيرن - اوجين ماير - المودوردر - والأيكودي باري . والافيرنا سيونال . فالنين سيمون - لاناسيون . كاميل دريفوس - باري فيل بيكارد - لابي . الفونس مليود - لاربيو بليك فرانسز . جوزيف ريناك - الراد يكال سيموند - التلغراف ج سيمون . وغيرهم كثير ما يضيق القام عن حصر اسمائهم وذكر الجرايد التى يحررونها او يديرونها

اما الجرايد الحرة التى يخلو عداد موظفيها من اليهود فانها تخضع طوعاً او قهراً لسلطة اسرائيل بمجرد اشتراك اربابها مع اليهودوهكذا بقيت مقاصد اسرائيل وافعاله الشنيعة تحت حيز السر والخفاء ولا يجسر احد على الاباحة بهذا السر المكنون ولو قامت بين هذه الجرايد حروب من الجدال وحمي وطيسها

فكل من القراء يرى حالة فرنسا السيئة وما هي عليه في الوقت الحاضر من الارتباك الداخلي . ولو سئل عن السبب لاجاب بلا شك انه يجهله وكان اشبه بمريض يشعر بوطأة الداء ولا يعلم لذلك علة ويحس بالالم ولا يعلم محله ولا غرو بذلك فان جرائد البلاد الحرة هي المكلفة لدى الامة بحل هذه المشكلة وهي وحدها الطبيب المكلف بالبحث عن جرثوم الداء ولكن انّى لجرايدنا كشف الستار عن حقيقة الامر وقد انتدبت

لسترها وسخرت لازهاق الحق وبث الباطل

فاليهود اذاً هم سبب فقرنا وعلة بلائنا وقد ساقتهم اميالهم الشريرة وطمحت انظارهم البعيدة الى ما فوق الحدود فسعوا في الارض فساداً وعبثوا بحقوق كل شعب وامة وزعموا بان الدنيا ملكهم القديم وسترجع اليهم كما وعدهم بذلك اباؤهم وعليه فلا يهمهم اعتلاء او هبوط احدى قطعها في سبيل تنفيذ مآربهم فقصدهم الوحيد زرع الشقاق والفساد بين قومنا واصبحنا في يدهم آلة يديرونها كيف يشاؤن ويهدون بها الطريق التي توصلهم الى السعادة المستقبله والمجد الموعود

واكبر شاهد على خداع اليهود ومكرهم ودهائهم السياسي تمكنهم بالسهوله من استمالة جميع المحافل السياسية وخلب عقول روسائها حتى اصبح اشراف المملكه وعظماؤها والنائبون عن الحزب الملكي فيها لا يعجبهم الا معاشرة االيهود ولا يهنأ عيشهم الا بمجالستهم ومسامرتهم ولا يميلون الا الى عوائدهم . والظاهر بان هذا القسم المهم من المملكه يستميل اليهود اليه لعلمه بانهم وحدهم القابضون على ازمة المال والسياسة واليهم مرجع الامر والنهي في جميع المعقدات وقد ظن الملكيون بان اليهود لا يتاخرون عن امدادهم بالنفوذ السياسي والاداري عند اللزوم اذا مكنوهم من اغتصابهما الآن.

اما حزب الاحرار فقد انتصر لليهود وقام يشدد النكير على كل من ينسب اليهم سوء النية ويرميهم بالتعصب الديني والتحزب الجنسي وقد زعم بان اليهود قد اصبحوا من ذوي الافكار الحرة لاختلاطهم بالمدنية المتمدنه وقد خلعوا عنهم كل تعصب واستبداد وان اكبر شاهد على حرية

افكارهم نفورهم من الكهنة وبعدهم عن روساء الديانه فكأن الذاهبين هذا المذهب خفي عليهم اوتعاموا عن النظر الى عدد المساجد اليهودية التي تتزايد يوماً عن يوم في المدن والقرى والى عدد الواردين لزيارتها فقد اصبحوا ضعفيّ مثله في الزمن الماضي. او كأنهم لا يرون بان اليهود قاموا الآن ينشئون المدارس الخصوصيه لابنائهم بعد ان كانوا يعلمونهم بالمدارس العموميه وهذا لكي يلقنوهم التلمود ويرسخوا في اذهانهم التعاليم الدينيه والاحكام التلموديه فيشبوا على بغض الجويم ويرتاح ضميرهم عند اختلاس اموالهم وسلب حقوقهم وارواحهم. ومن العجب ان يدّعي اليهود حرية الافكار ونرى جرائدهم التي هي لسان حالهم تشدد النكير على الكنيسة المسيحية وترميها بالتعصب والاستبداد على غير طائل مع اننا لا نرى ولا واحداً منهم قام ضد الاعتقادات اليهودية وذكر التلمود بملام مع ان الحرية ترتجف لدى ذكره وقلب الانسانية يرتعش من فظاعته

فلا شك اذاً في تمسك اليهود بعرى تلمودهم ومحافظتهم كل المحافظة على اعتقاداتهم وكنت لا ألومهم على هذه الامانه ولا انكر عليهم محافظتهم على فروض الديانه لو لم تكن هذه اباحت لهم المحرمات وحللت لهم سفك دمائنا وسلب اموالنا وهم مع علمهم بمنافاتها للانسانيه والحريه لا يرضون تعديلا لها او تحويراً خوفاً من فقدها برمتها

دياتتنا قاوموا الصليب اجيالاً عديدة وسنيناً طوالاً ٠مع انه قد عظمت قوته وكبرت شوكته حتى اصبح والملوك تعيش تحت لوائه .والسلاطين ترفل بنعمائه ٠ وبدل ان يضر ذلك بامتنا وضوالحها لم تزل قوتها تزداد يوماً عن يوم والشعب يرتفع ويعظم ٠ فقد خضعت الاجيال الماضية لاعدائنا ٠ لكن الجيل الحاضر والاجيال الآتيـة يجب بان تطيع لحكمنا وتنفيذ مقاصدنا ٠ ٠ ٠ لنا جماعة بني اسرائيل ٠ ٠ ٠ نعم لا بدع انها لنا ٠ ٠ ٠ فقـد ملك شعبنا بقوته اعظم الملوك ونال بصبره وثباته خير كل مملوك ألا وهو المال ٠ العجل السمين الذى قدمه هارون قرباناً لله واصبح اله الارض في عصرنا هذا ٠ فكيف لا نؤمـل منه ارجاع السلطة لنا ونتفاءل بطلعته اناطة القدرة والحكم بنا دون غيرنا وهو بنفسه القدرة والقوة ٠ ٠ ٠ الجزاء ٠ الأمل ٠ ٠ ٠ وهو مفرّج الكروب مذلّل الصعاب وهو هو المحور الذي يدور عليه الكون كافة هو ملك الاستقبال هو حسن المآل ٠ ٠ ٠ هذه المرة العاشرة التى بها يجتمع رؤساء الاسباط حول لحد سيدنا كاليب سيمون بن يهودا في خلال الف سنة ثارت بها على امتهم الاضطهادات الدائمة المشومة للمداولة فيما يجب اتخاذه من الوسائط لتلافي تلك المصائب والانتقام ممن سبّبها لنا وجرها على رؤوسنا ٠ نعم بأن الهيئة في تلك المرار العشر المذكورة قرّرت وجوب المقاومة والثبات وجاهرت بالمداوة لاعدائها واقامت عليهم الحرب على ساق وقدم ولكن لم تكن لهم القوة التى لنا الآن ولا ذلك النفوذ الذي تحصلنا عليه بما ملكناه من الاموال العظيمه وذخرناه لهذا القصد ٠ فيجب والحالة هذه ان يحيي ذلك فينا روح الامل وينهبّ من رقدتنا ٠ فقد طاعت الايام لنا

دياناتنا قاوموا الصليب اجيالاً عديدة وسنيناً طوالاً . مع انه قد عظمت قوته وكبرت شوكته حتى اصبح والملوك تعيش تحت لوائه . والسلاطين ترفل بنعمائه . وبدل ان يضر ذلك بامتنا وضوالحها لم تزل قوتها تزداد يوماً عن يوم والشعب يرتفع ويعظم . فقد خضعت الاجيال الماضية لاعدائنا . لكن الجيل الحاضر والاجيال الآتيـة يجب بان تطيع لحكمنا وتنفيذ مقاصدنا . . . لنا جماعة بني اسرائيل . . . نعم لا بدع انها لنا . . . فقـد ملك شعبنا بقوته اعظم الملوك ونال بصبره وثباته خير كل مملوك ألا وهو المال . العجل السمين الذى قدمه هارون قرباناً لله واصبح اله الارض في عصرنا هذا . فكيف لا نؤمـل منه ارجاع السلطة لنا ونتفاءل بطلعته اناطة القدرة والحكم بنا دون غيرنا وهو بنفسه القدرة والقوة . . . الجزاء . الأمل . . . وهو مفرّج الكروب مذلّل الصعاب وهو هو المحور الذي يدور عليه الكون كافة هو ملك الاستقبال هو حسن المآل . . . هذه المرة العاشرة التى بها يجتمع رؤساء الاسباط حول لحد معهدنا كاليب سيمون بن يهودا في خلال الف سنة ثارت بها على امتهم الاضطهادات الدائمة المشومة للمداولة فيما يجب اتخاذه من الوسائط لتلافي تلك المصائب والانتقام ممن سبّبها لنا وجرها على رؤوسنا . نعم بهان الهيئة في تلك المرار العشر المذكورة قرّرت وجوب المقاومة والثبات وجاهرت بالعداوة لاعدائها واقامت عليهم الحرب على ساق وقدم ولكن لم تكن لهم القوة التى لنا الآن ولا ذلك النفوذ الذي تحصلنا عليه بما ملكناه من الاموال العظيمه وذخرناه لهذا القصد . فيجب والحالة هذه ان يحيي ذلك فينا روح الامل ونهبّ من رقدتنا . فقد طاعت الايام لنا

وخفضت لاحكامنا وبذا بلا شك تحصل على الغرض المقصود والغاية القصوى ونقتطف ثمرات ما اظهره شعبنا المقدس من الصبر الجميل والشجاعة العظيمه في تلك الايام المشومة ايام كان اعداؤنا المسيحيون لم يخلعوا بعد عنهم ثوب الهمجية والتوحش اما الآن وقد دخلوا في دورهم الجديد دور التمدن الانساني فالواجب بان نتخذ تمدنهم هذا درعاً متيناً وحصناً حصيناً نتقي وراءه سهام العدو وندرأ عنا تواتر ضرباته ونتدبر في هلاكه واسقاطه الى دركة لا يكون له منها قيام . ونجتاز بقدم السرعة والثبات تلك النقطة التي تحول بيننا وبين قصدنا السامي وغايتنا المقدسة .

فليتنقل كل منكم معي بالفكر ايها الاحباء ولتنعم النظر في حالة اوروبا الحاضرة وتفحص بعين المنتقد البصير ما نهجه اخواننا اليهود من الخطط واتخذوه من الطرق التي فتحت لهم ينابيع المكاسب وامطرت عليهم سحائب الارباح من ابتداء جيلنا الحاضر فانسالت بينهم كالانهار فتخلفت لهم الارض ومحت ما كان مدوناً في صفحات التاريخ من دواعي الذل والهوان ومهدت لهم السبيل وسهلت الطرق الموصلة لتنفيذ مآربهم وتتميم غاياتهم . فقد اصبح اليهود عموماً وآل روتشيلد خصوصاً ارباب المال واصحاب الحل والعقد في باريس ولوندره وبطرسبورج وفينا وبرلين ورومه وفي جميع الممالك والبلاد فعليهم المعتمد واليهم في عظائم الامور المرجع . وقد اصبح من المستحيل ان تشرع اعظم دولة واغنى حكومة في مشروع مهم او امر مالي ان لم يمد لهم بنو اسرائيل المساعدة ويمدوهم بالملايين والمليارات . فاي ملك او اي امير يسعى لتكثير جيشه او تقوية عسكره حفظاً على حياته وخوفاً على مركزه الحرج من السقوط والزلة الا

وكاهله مثقل باعباء الديون لنا وعليه فاننا ارباب المال ومالكو الخزائن وقد ياتي يوم نسترهن الخطوط الحديدية والمعادن والفابريقات وعموماً كل شيء ذي مقدار قبالة ما نقدمه الى الممالك من المبالغ العظيمة والقناطير المقنطرة وعندما تعجز الدوله عن تسديد فوائد ديوننا الفاحشة نسترهن ايضاً ضرائب الشعب ومكوسه لتقوم بالعجز وسد المتأخر ويبقى علينا نقطة مهمة وامر عظيم وهي الفلاحة معدن الغنى واصل الثروة. فان امتلاك قسم عظيم من عقارات الارض واراضي البسيطة تجعل لنا الشرف الاعظم والسلطة الكبرى على كل ذوي الالقاب الشريفة والمقامات السامية ويتبع ذلك ان نحمل ذوي العقارات الاخرى انواع الضرائب واعظم المكوس بحجة ان ذلك رفقاً بجماعة العمال واعانةً لفقراء المزارعين ليسهل علينا شراؤها ويهون الحصول عليها. وعندما تصير الينا جميع العقارات ويناط بنا وحدنا امر الفلاحة ينضمّ الينا اواسط الناس والعقلاء والعمال الذين لا مال عندهم ولا وسيلة لهم لاكتساب قوتهم الضروري سوى اشتغال اليدين فنستنتج من هولاء الفوايد الجمة ونستعملهم لاغراضنا وتنفيذ مآربنا. فقد قال الحكماء الفقر فيه العبوديه

ان الشعب الاسرائيلي قد طُبع على الطمع والكبر وشبَّ على حبّ العظمة والجاه. ولقد وهب الله لشعبه الخاص رقط الحيه ومكر الثعلب وخصّه بالذكاء والحكمه. ورمى في قلبه حب الوآم والتجمع. وميزه بالغيرة على ابناء جنسه: فلن يسقط شعب وهبه الله هذه الصفات. قد بلينا بسبي بابل وذقنا به مرّ العذاب. اما الان فقد اصبحنا وحدنا القادرين على كل شيء. هُدمت هياكلنا وحرقت مذابحنا. ولكن شدنا منها

كثيراً واقمنا بدلها الوفا مولفه . مضى علينا في العبودية ثمانية عشر جيلاً . وقد خرجنا من وهدة الذل واعتلينا على كافة الشعوب . ورب قائل يقول بان البعض من آل اسرائيل يعتمد بالماء ويعتنق الديانه المسيحيه . . . لا باس . . . فقد خفي على ذلك القائل بان كل من هولاء الجاحدين سيكون لنا عوناً وساعدا متيناً يخطو امامنا اول خطوة ويمهد لنا سبيل الوصول الى افق السعادة العظمى وطبقات المجد التي تمد الدقائق اعواماً بانتظارنا . فمن دخل في ديانة اخرى غير دين ابائه فانه ينظر دائماً الى الوراء وينجذب تلك للديانة التي الجأته للضرورة الى نبذها ولو في الظاهر فان قلبه يبقى الى ما شاء الله اميناً لابيه ونفسه تضرح بالاخلاص لديانته المقدسة . وليكن موكداً لديكم انه لا يمضي بنا جيل على الاكثر الا ونرى ليس فقط ان آل اسرائيل يتنبذون الديانات الأخرى وراء ظهورهم ويطأونها بارجلهم بل ان آل محمد وآل المسيح يتمنون عند ذلك اعتناق ديانتنا ويطلبون الاهتداء الى النور الحقيقي ولكن خابت آمالهم فان اسرائيل يعدهم حينذاك عنه بعيداً ويطردهم بذل واحتقار

لا عدو لنا الدّ ولا قوة لدينا اشدّ من الكنيسة المسيحية فلا نهتم بغيرها ولا نخشى باس غير قوتها فقد اصبحت ولها النفوذ الاكبر في المسكونة كافة وراحت تعظمها الشعوب وتحترمها الوزراء والملوك . فلنتدرّع بالصبر ونتسلح بالشجاعة والثبات ونسعى جهدنا وراء تخفيف نفوذها واسقاط شوكتها ولكن الواسطة النافذة والطريقة الموافقة لتحقيق آمالنا هي ان نحمل انفسنا فوق ما تطيق ، ونتداخل مع روساء الملة والدين

الذين يعلمون الناس العقائد والاسرار لتعلم افكار الطبيعيين منهم والارانقة والمتشقّين ونقيم بعد ذلك على الكنيسة حرباً عواناً ونبليها بالاضطهادات القوية والمجادلات الدينية المفسدة · ولنعلم قبل الدخول بها بانها بحر عجاج متلاطم بالامواج ونستعد للخوض في عباب هذا البحر والاّ غرقنا في لججه عن غفلة منا ورجعنا بالوبال والخسران · فانها منقسمة لعدة اقسام ويذهب آلها مذاهب شتى وكلٌّ له اعتقادات وعقود · فلنبدأ اولا بكسر شوكة روسائها وضياع نفوذ كبارها فنحط بقدرهم وندخل الشكوك والفساد في معتقداتهم ونوجه سهام الاحتقار والهزوء على سيرتهم واطّلاعنا على الاسرار يرينا وجه التنديد ويفرق لنا ما بين الرأي الفاسد والسديد فناخذ الحية من راسها ونتوصل الى اخماد انفاسها · واعلموا ان عدو الكنيسة وخصمها القوي هو النور الطبيعي وهذا نتيجة الادب والتعليم واصلهما كثرة المدارس ونشر العلوم والمعارف الطبيعية وغرس المبادي في عقول الصغار · فما الذي يعيقنا عن السعي وراء ذلك وما الذي يحول بيننا وبين تحقيق هذا الامل · فلينقضّ كل منكم على المدارس العالية انقضاض البواشق ويختطف وظائف المعلمين ويعلو مراتب الاساتذة الكبار ويبثّ في قلوب التلامذة مبادينا الحرّة وليكن مبداكم في الاول المساواة في المذاهب والوحدة في الاديان وهكذا يسري تعليم هذا الفرع المهم بالسقوط والانخفاض ولا يلبث ان يتلاشى بالكلية في المدارس فعندها نشنّ الغارة على الكنيسة ونتوصل الى الغاء ديانتها ونسخ كل عقائدها ومنسوخاتها فكل حرب وكل ثورة دينية تقرّب لنا الطريق وتوصلنا بغير اوان لغايتنا القصوى وقصدنا السامي ·

عليكم بمنصات الحكم ووظائف الحكومة فمن تحصّل عليها وقرنها بالفطنة توصّل الى ينبوع السلطة واصل القدرة ولا اعني بتلك الوظائف الا المراكز المهمة والمراتب العالية التى بها وجدها يتعلق الشرف والجاه ومنها تسري ينابيع الغنى والنفوذ اما الوظائف الثانوية والمراكز الدنيئة التى تقتضي التعب والكد فاطرحوها عنكم بعيداً واتركوها لمن حُكم عليهم بالشقاء ونكد العيش · ولمَ لا تطمح انظارنا لأعلى درجة من العظمة والجاه وقد أُعطينا جميع القوى الادبية والمادّية · وكيف لا نصبح وزراء ومشيرين للدول ونحن صناديقها ومفاتيح خزائنها · من المواجب الضرورية ان نشغل جانباً عظيماً من قوانا العقلية بالعلوم العالية كالفلسفة والطبيعيات والسياسة وما شاكلها من العلوم والفنون وعلى الخصوص علمي الشرع والطب فان الاول يوصلنا لمعرفة اسرار الاعداء ووجه ضررهم والثاني نملك به حياتهم ومماتهم · ولا تهملوا امر القضاء فاذا اعتليتم منصّة الاحكام وكان لكم من العلوم المذكورة القسم الاعظم والسهم الاكبر تطيع لكم المراتب العالية وتخضع لديكم المقامات السامية وتلقى اليكم مقاليد الاحكام فيسهل عليكم حينذاك ابطال تلك القوانين التي سنها « الجويم » الخطاة الغير المومنين ضد شعب الله المتمسك بشريعة ابرهيم المقدسة · وعندما يخطو احدكم خطوةً الى الامام ويسير على قدم النجاح عليه بالّا يفتر بنجاحه ويُغمض له جفن عن التيقظ والانتباه · وان سار آخر في طريق ضيقة فليقتفِ رفيقه اثره ليقيمه اذا ما زلّت به القدم ويعينه على استئصال الاشواك ودرء المصائب وتمهيد الطرق من العثرات · وان وقع احدكم بين ايدي الحكام فانهضوا جميعاً لانتشاله بأيّ طريقة كانت هذا اذا كان ذلك

الواقع قد نهج في خطته منهج الاخلاص لاسرائيل واتبع في سيره قوانين ديانتنا ومبادئها المقدسة · وان قامت الجمعيات وانتصرت الاحزاب لاصلاح حال جماعة العمال فلندخل بها ايدينا وليكن لنا الاسم الاكبر فيها فغايتنا الوحيدة استمالة الشعوب الينا · نعم ان ذلك لا يهمنا وصلاح احوالهم لا يرضينا لكنّ ذلك يجعل لنا عليهم السلطة ونفوذ الكلمة فان عمه الشعب وجهله يضطرانه طبعاً للتسليم للقوة ويظهر منه جمّ الفوائد عند مسيس الحاجة · فان الخزف بقدر ما يكون فارغاً يرنّ صوته اذا ضُرب وترجّ له مفارق الطرق · فيكون اذاً لدينا غنيمةً باردةً وآلة خاضعة طائعة نديرها يوم الحاجة كيف نشاء ونستخدمها لاستمالة الشعب واستعباده · وهناك مسألة اخرى يجب الانتباه اليها وهي ان يختلط ابناء اسرائيل بالمسلمين والمسيحيين ويتخذوا من بناتهم زوجات ولا تحسبوا ان اختلاط انسابنا بانسابهم زيغ او ضلال عن خطتنا الشريفة او ان ادخال جزء من الدم الغير الطاهر في ذريتنا يضرها او يفسدها فان غايتنا مقدسة وشعبنا مصطفىً من الله وان الزواج يكون لربط العلائق وتحسين الصلات بين ابنائنا المستحدثين و بين عائلات الديانات الاخرى فان جُدنا عند ذلك بالمال وسمحنا بالعزيز نعتاض عنه السلطة ونتحصل مقابلة ذلك على النفوذ فنمسي وهم طوع ايدينا نتصرف بصوالحهم واموهم تصرفاً مطلقاً ونديرهم عند الحاجة كيف نشاء · وعليه فلا يجوز لشباننا ان يتخذوا معشوقات من بنات شعبنا الطاهر بل يحسن بان يستعيضوا عنهن بعذارى المسلمين والنصارى وان احتاج الامر لعقد الزواج فيُقتصر على عقد بسيط مدني وتكون الغاية من تلك الزيجة اكثار النسل وزيادة

الابناء ·

كما ان المال هو القوة الاولى في هذا العالم واليه مرجع السلطة كذلك المطبوعات هي القوة الثانية التي يعتمد عليها في اهم الامور واكثر المشروعات نعم ان الجرائد لا تاثير ولا نفوذ لها بغير المال ولا قيام لها الاّ به ولكنها تكون له ساعداً متيناً وسنداً قوياً فيمهد المال لنا الطرق ويسهل لنا الوصول لتحقيق امالنا والجرايد تنشر مبادينا الحقة في العالم وتبثها في قلوب جهلة الشعوب واصاغره وعليه يجمل بنا ان نصبح سادة المطبوعات وارباب الجرائد في كل صقع ومملكة كما اننا نسود على الامم بالمال ونقرن اعمالنا هذه بحسن التدبير والاحسان على الفقير وجماعة العمال واصحاب الحرف والمهن ليرجع الينا الراي العام ونستولى على عقله وصوالحه وعلى هذه الخطة نسير وفي هذه الطريق نخطو خطوة بعد خطوة ونتدرج في سلم التقدم والنجاح ونتدرع بالصبر والثبات فنقهر الاعداء اللئام ونكسر شوكتهم ونجدع انوفهم وننشر ديننا في العالم باسره ونرد الناس من الضلال الى الهدى ومن الظلمات الى النور · ولا يبعد ان يقوم ضدنا احزاب يرشقوننا بسهام الانتقاد والتنديد ويبلون من اتّبعنا بالحرمان لكن طاعة الجهلاء العمياء وميل عوام الناس الينا لا سيما الذين امطرنا عليهم سحائب انعامنا وغرسنا في قلوبهم اصول محبتنا كل ذلك يمهد لنا سبيل الانتصار والغلبة وعندها تنهض جرايدنا على ساق وقدم فتشدّد النكير على تلك المبادئ التي ينشرونها فنقيم على الاعداء حرباً عواناً يصل عجاجها الى عنان السماء فنبلي فريقهم بالتفريق وجموعهم بالشتات · فلتكن هذه المبادىء نصب اعينكم ولتُرسم على صفحات قلوبكم وليخُض في

عباب بحرها كل فرد منكم ويجتني من قاعه الفوائد الجمة ففيه الغنى والسلطة وفيه الفرح والسعادة والقدرة . فقد صبرنا على الذل صبر الكرام وثبتنا امام المصائب ثبات الابطال وكابدنا العذاب سنيناً طوالاً واجيالا عديدة فكفى ما احاق بنا وما انقضّ على رؤوسنا من صواعق البلاء والشقاء فقد اتى الزمان الذى به نجتني ثمرة اعمالنا وآن اوان سعادتنا ومجدنا . ولا يغرب عن بالكم ما قلته لكم وما اعيده عليكم بان كل بليّة او مصيبة تحلّ بالعالمين الاسلامي والعيسوي وكل هيجان وثورة تحصل فيهما سياسية كانت ام دينية فانهما يمهدان لنا السبيل ويوصلاننا على قدم السرعة والثبات الى قصدنا السامي وغايتنا الوحيدة المقدسة وهي ان تصبح الارض ملكنا وعروش ملوكها في قبضة يدنا . وهذا ما اوعدنا به ابونا ابرهيم . . .

صدى

نفثة الخنّاس

لو تصفح القارىء هذه الخطبة المطوّلة لظنّ لاول وهلة انها غير عارية عن الغلو والمبالغة ولكن يكفيه لتحقيق جميع ذلك امعان بعض النظر في حالتهم الحاضرة فانه يرى ان هذه الخطبة متّبعة بالتدقيق من عموم افراد الامة اليهودية وان هذه الاصول التى غرسها الخطيب في عقول ابنائها قد تفرّعت واينعت وبدأت الامة باجتناء ثمارها . فاليهود وان لم يملكوا الارض كلها بعد في الظاهر فمن الامور المحققة انهم قد استولوا على القسم الاعظم فيها وهم يتمتعون بالسلطة المطلقة والنفوذ السياسي والاداري في كل بلدة حلوها ومملكة دخلوها . شنّ اليهود

غارتهم على رجال الحكومة فاخضعوهم وكانوا واسطة بينهم وبين رئيس « الكاهال » الحاكم السري الذي يدبر شؤون آل اسرائيل فوضع للهيئة الحاكمة خطةً لا تتعدّاها وحدّاً لا تتجاوزه وهما تضحية العزيز لنفع اسرائيل فلم يسعها الا الامتثال والرضوخ . ومما يزيد المجلس السري نفوذاً واهميةً هو انه مؤلف من اعضاء امناء على صوالحه محافظين على مبادئه فهم كرجل واحد يسعون لغاية واحدة وقصد واحد

وقد اوصله هذا لان يكون المتصرف المطلق في شؤون فرنسا الداخلية والخارجية . فهو الذي يوعز الى مجلس النواب بفرض التخصيصات الحربية الباهظة وضرب المكوس الفادحة مع اخفاء ما بداخل البلاد من الارتباك المالي . وهو يأمر بتوزيع الايرادات وتحويل السلفات المختلفة الانواع ويحتم على الحكومة الاشتراك في جمعيات اليهود المالية او اتخاذها تحت حمايتها . وبالاجمال فان دأب هذا المجلس وغرضه الوحيد ألاّ يترك وسيلة لانتزاف ثروة البلاد واغتيال الاموال الفرنسويه . وقد توصل اليهود بالنفوذ والقوة الى اعتلاء المناصب والاستيلاء على اهمّ المراتب وعددهم في القسم الاداري خمسون مفتشاً ما عدا الوكلاء والمستشارين ورؤساء الاقلام وصغار الكتبة فهؤلاء يضيق عن حصرهم الذرع وقد حتم على سواهم من الموظفين خدمة مصالح اليهود والاّ فالتنازل لليهود عن المنصب والمرتب بالقسوة او باللين . اما القسم القضائي فمن خمس سنوات لم يُنصَب فيه غير اليهود ومن لاذ بهم . فلا تخلو منهم محكمة ولا يرتاح من شرهم مجلس وعلى الخصوص مجلس الاستئناف الاعلى ومحكمة السين الكبرى فان اليهود قد تجمعوا فيها زرافات وفرادى واحتلوا منصةّ الحكم والقضاء والنيابة

وهم مستقلون بالاحكام يقضون في الناس ويظلمون في عباد الله. وان وقع فرد منهم بين ايدي الحكام وسيق الى محل القضاء فان كان مجرماً او بريئاً لا يسع ذلك القاضي او النائب اليهودي الا تبرئة ساحتــه اذ يستحيل عليه ان لا يصغي لنداء التلمود والذمة اليهودية اللذين يناديان عليه بالرفق باخ اخطأ ولكن «ضد احد الجوييم» وساقه حسن حظه الى اخيه الصادق الامين . ولو لم يحكم عليّ المقام باختصار المقال لذكّرت قرائي الكرام باثام وجرائم قريبة العهد اتاها افراد اليهود وبعد ان ظهر امرهم وقُبض عليهم متلبسين بالجناية خرجوا بريئي الساحة طاهري الذيل . فويل لهؤلاء القضاة الذين لا يبالون بوقوفهم هذا الموقف الحرج امام الانسانية والشريعة ولا يهابون صوت الحق الذي ينادي عليهم بفظاعة اعمالهم وظلم احكامهم «يا ويلكم يوم تُحشرون» ولكن لا عجب ولا غرو فقد جُبلوا على الشر وفُطروا عليه. والذي يساعد رجال القضاء بالاكثر على انقاذ مجرمي اليهود هم رجال البوليس . فرآسة البوليس ملقــاة لرجل يهودي المناني الاصــل يستر اصله تحت اسمٍ مستعار فاصبح به منصب المحافظة على الامن العام ملجأً للمجرمين وحمىً للاشقياء واللصوص من اليهود الذين يعبثون بالامن العام ويعيثون في الارض فساداً بدون عقاب ولا قصاص . ولمّا لم يرَ هذا الجاني لقبح اعماله رادعاً طغى وتمرد وساعدته الهيئة الحاكمة «اليهودية» [١] على

(١) ان الحزب القابض على ازمة الاحكام في فرنسا هذه الايام هو الحزب «الاوبورتيونيستي» وهو حزب مؤلف من اليهود وانصار اليهود وغايتهم اعلاء شان الامة اليهودية فيصح اذاً ان نسمي الحكومة الحالية حكومة يهودية . «نجيب»

بفظائعه اذا رات امانته واخلاصه في خدمتها واقدامه على عظائم الامور فزاد
بغياً وشراً · واذ اقدم بعض ارباب الجرائد الذين لم تطاوعهم ذمتهم على
اخفاء اعماله الفظيعة واذاعوها غير مبالين بعواقب اعمالهم اصبح يقتلهم على
رؤوس الاشهاد وانالهم جزاء امانتهم للامة والبلاد · وقد تجرأ ايضاً على
معارضته بعض ارباب المناصب العالية فشددوا عليه النكير وانكروا اعماله
القبيحه ولما كان مركزهم لا يمكنه من اغتيالهم بالقوة والعلن جعل عليهم
العيون والارصاد ونصب لهم الحبائل والشراك حتى فتك بهم غدراً
واخفى منهم الاثر · ولقد اصبحت وظيفة هذا الرجل تقتصر على انتشال
الاوراق السياسيه واختلاس المستندات التي تعود على الامة اليهودية بالنفع
والفوائد ولا يعدم الواسطة لذلك ما دام البوليس طوع يديه والجريمة
اقرب اليه من حبل الوريد · انشأت الحكومة مدرستنا الكلية في
باريس فلم يلبث اليهود حتى تقاطروا اليها من كل فج عميق وهم يتكاثرون
فيها من يوم الى يوم وجل غايتهم من ذلك تحصيل العلوم العالية ليستولوا
بها على منابر التعليم اقتداء باشارة خطيبهم المشهور ولكن مراكز التعليم
في المدرسة العليا اكثرها بايدي اليهود وهم لم يقتصروا فيها على فنٍ او
علم من الفنون والعلوم بل انهم جمعوها فيهم ووعوا اهمها فاختصوا بها في
مدرسة اللغات الشرقية ومدارس قوانين المملكة والمكاتب الصناعية
والتجارية والرياضية · ويا ليتهم اكتفوا بفن التدريس بل انهم تحرشوا
وترأسوا على المؤتمرات المالية المناط بها النظر في الاشغال العمومية
والفنون الكبرى وحاصل الامر ان روح اليهودي ترف على كل الاماكن
وهي كالروح الخبيثة لا يخلو منها مكان · بلغ عجز ميزانية الحكومة السنوي

اربع مليارات ضُربت بقدرها الضرائب حتى بلغ ما يدفعه الفلاّح في فرنسا من ٢٣ الى ٤٠ في المائة من وارداته وهذه تُغترف من دمه ظلماً وعدواناً لتغتالها مخالب اليهود او توزّع على الذين القوا اليهم مقاليد الاعمال فاخلصوا الخدمة وادّوها بصدق وامانة · اما الذين اثروا اعتزال الاحكام فلنهم بانضمام بعضهم الى بعض واستخدام الاموال قد وضعوا ايديهم على الفروع المهمة من الاعمال وقبضوا على اعنة التجارة فاحتكروا الصادر والوارد وحصروا الفائدة بانفسهم حتى اصبح التاجر الفرنسوي غنياً كان او فقيراً يدفع لهم الجزية تأميناً على امواله والا لعبت بها ايدي سبا وحلّ به الافلاس والخراب · واعظم هؤلاء المضاربين واشهرهم روتشيلد الذي سارت بذكره الركبان وذاع صيت غناه في كل مكان فمن عام السبعين اخذت ثروته بالازدياد وامواله بالتكاثر حتى امسى اغنى رجل في العالم لا تقل ثروته عن الخمس مليارات من الفرنكات · وقد اصبح لروتشيلد هذا من النفوذ وعلوّ المقدار ما يضاهي به الملوك حتى انه لا يعدّ الآن ملكاً لاسرائيل فقط بل انه الحاكم الوحيد في فرنسا ايضاً فالامر امره في كل الاحوال والحكم حكمه في اهم الامور واعظمها ونفوذه عظيم بقدر ما ان سلطته مخفية مستورة حتى تمكن في خلال العشر سنوات الاخيرة من اخضاع الجمهورية الفرنسوية مع عظم شانها والضغط عليها بالمشروعات المدمرة وهي مع هذا لم تحرّك ساكناً للتملص من وطأته الثقيلة وتتمنى ان تبقى على حالها حتى يتم ارتباك البلاد فيحلّ بها البوار ويقضي الله امراً كان مفعولا · وما رئيس الجمهورية لدى روتشيلد الا وزيره الاكبر والمسأول امامه بالمصالح اليهودية يتلقى

اوامره ويهتم بتنفيذها . وهكذا فانه لم يبقَ لفرنسا من حريتها واستقلالها الا اثرًا بعد عين . ثم ان كافة البوتات المالية والمحلات التجارية والصناعية مع ذوي الاملاك ورجال الثروة يخضعون جميعهم طوعًا او قهرًا لحكم هذا المالي العظيم والاّ سلبه مالهم وبليوا بشر اعمالهم . ومالية الحكومة هي التي تبوء بالاكثرمن اعباء حمله الثقيل فانه يستحيل عليها الشروع في عقد قرض او تحويل دين او اتيان اي عمل عظيم بدون الاتفاق مع روتشيلد وهذا من البديهي انه لا يقبل بها الا اذا انحصرت به الفائدة ورجع اليه معظم الارباح . فالحكومة تعقد القروض والسلفات لسد ما يحدث كل عام في ميزانيتها من النقص الناتج عن الاختلاس والسرقة وينكشف الامر عن تحويل ملايين جديدة من مالية الحكومة وثروة الشعب الى خزائن اليهود فتُقفل عليها الهاوية وتُخفى كانها لم تكن

ومن المعلوم ان المضاربة وتجارة القراطيس المالية هما مشروعات مجهولا العاقبة راكبهما كراكب اليمّ لا يعلم الى اي الشاطئين تقذفه الارياح فالخسارة والربح يتوقفان على الصدف والظروف . اما عند اليهود فالامر بخلاف ذلك والربح مقرر لديهم في حالتيّ الهبوط والارتفاع فانهما يحدثا على علمٍ من روتشيلد لانه يتلقى من الوزارة انباء التقلبات السياسية والمالية التي يترتب عليها سقوط الاسعار وعلوها قبل حدوثها فيتدبر الامر قبل الحصول . وجميع هذه الاعمال التي زجّت بالبلاد في وهدة الارتباك لم تكف لسد اطماع اليهود بل انهم استولوا ايضًا على القسم الاعظم ن قراطيس الحكومة واصبحت مديونة لهم باكثر اموالها وهم يتهددونها على الدوام بسحب اموالهم الطائلة وابلاء المالية بالافلاس ولذلك نرى

الحكومة الفرنساوية لا مناص لها من الخضوع لارادة اسرائيل والصبر على احكامه خوفاً من ان ترى قراطيسها أُلحقت يوماً بالقراطيس التركية.
وبينا روتشيلد يسعى بمساعدة الحزب «الابورتينستي» المنتصر لليهود او بالحري الهيئة الحاكمة لتضحية الثروة الفرنساوية في سبيل مطامع اليهود كان صهره ايفروس يشتغل من جهته باحتكار الحبوب وحصرها ضمن دائرة امتلاكه فنجح بذلك نجاحاً عظيماً واحتكر الداخل والخارج وحوّط على الصادر منها والوارد حتى ملأ بها المخازن ليس في باريس فقط بل في اسواق العالم اجمع وهو ينظّم لها السير ويحدد لها الاسعار والفيئات بزيادة الوارد وتنقيصه. وان هبطت الاسعار او صعدت فالامر ينكشف عن المكاسب الجمة والارباح الطائلة لايفروس وزمرته. وهذا ما يفعله اليهود الآخرون بالبضائع الأُخرى في كافة الاسواق الفرنسوية حتى اصبح التاجر غنياً كان او فقيراً لا مناص له من اداء الجزية ما دام محتاجاً الى القوت والكساء والسكنى. ومن نظر الى السياسة الخارجية نظر المنتقد يرى بان كل مشروع شرعت به الحكومة في عهد العشر سنوات الاخيرة تتكبد هي مصائبه ويتمتع اليهود بفوائده. واهم هذه المشروعات واعظمها احتلال بريتيّ تونس والتونكين فانه حصل في المرتين رغماً عن ارادة الشعب الفرنسوي وضد صوالح البلاد العمومية. ولا يحتاج هذا الامر الى الاثبات فان الاولى وهي تونس فضلا عن انها كلفت فرنسا دماء عشرة الاف من ابطالها ومائة مليون من اموالها فانها كانت سبباً للنزاع بين فرنسا وايطاليا فانتقمت هذه لنفسها بانضمامها الى المانيا عدوة فرنسا الالدة ونتج عن ذلك من الاضرار ما لا ينكره احد. اما

حملة التونكين التي ذهبت بقيود المعاهدات الدولية فقد ضحّت لها حكومتنا اربعين الفًا من الرجال مع مليار ونصف من الفرنكات وليس هذا فقط بل ان عاقبتها انكشفت عن ضياع حقوقنا في الشرق ونتج عن ذلك احتلال الأنكليز للبلاد المصرية ثم زيادة مبلغ عظيم من المال على الميزانية السنوية لتنفَق هذه الزيادة فيما استلزمه هذا الاحتلال من النفقات الباهظة • وهذان الاحتلالان زادا فرنسا فقرًا على فقرها والزماها بتبذير ما بقي لها من المال في سبيل تعزيز قوتها • وفقد المال لديها سيضعف قوتها امام التحالف الثلاثي الذي لا يفتر لحظة عن التهديد والوعيد • فما الذي ربحته فرنسا مقابل ما اضاعته من المال والرجال وما الذي لقيته بعد ما لاقتـه من الصعوبات وضحته من الصوالح في اكثر من نقطة من الشرق والغرب • لا شيء • ولمَ فعلت هذا اذًا • ان الذي اضطرها الى ذلك هو الحزب الابورتينستي القابض على ازمة الاحكام ولا نلومه على ذلك لانه فعل الواجب عليه نحو المسخر والمدبر فهو منتدب لحماية اليهود والذب عن صوالحهم • ففي الحملة الاولى اطلق يهود تونس من ربقة العبودية التي كابدوا من ثقل وطأتها ما ذكرهم ايام العبودية في مصر • فهم الآن يتمتعون بحماية فرنسا ولا نلبث ان نراهم قد دخلوا في التبعية الفرنسوية فألحقوا بيهود الجزائر الذين وهب اليهم غمبتا وكريميو جميع املاكنا الافريقية • اما احتلال التونكين فانه كان لاعطاء « باقية سيتوفور » ومن يلوذ به من اليهود عشرين الف هكتار من الاراضي المحتوية على معادن لم تكتشف بعد • وسوف يتخذ اليهود ذلك حجة لتأليف جمعيات جديدة وتثقيل كاهل الحكومة والشعب بالديون فيتم ما بدأوا به من الاستيلاء التام على « الجوي »

الفرنساوي او بالحري على ابناء الانسانية في كافة جهات المسكونة ·
والغريب ان بعض الجرائد الحرة تظهر بين الشعب مظهر الغيرة عليه والانتصار له تمويهاً للحقيقة وخشيةً من ان يطلّع على خيانتها ومواطئتها الساسة الماكرين على نهب امواله واضعاف قواه فتتصدى لانتقاد المشروعات والطعن احياناً باعمال السياسيين المذكورين وعمّال الحكومة المسخّرين ·
ومن اطلع على حقيقة الامر تعجب من اغترار الامة بالترهات وتغلب السذاجة عليها حتى اصبح ينطلي عليها كل المحال وسائل نفسه بهل ان الفرنسويين الذين اشتهروا بالحمية والشرف استولى عليهم الجنون حتى نبذوا الحق الساطع واتّبعوا الضلال والباطل فرضيوا بخيانة يرتجف لها قلب الزمان · انا لله وانا اليه راجعون
ولم يستوهب اليهود او يغتصبوا ارض التونكين وتونس فقط بل انه قبلما يسمح الوزير « فلوبرن » لانكلترا باحتلال جزائر هيبريد الجديدة كانت فرنسا قد وهبتها لرجل يهودي كان قد اهتم بتاليف جمعية لافتتاح تلك البلاد المعنوي · وتحت حجة الاستعمار ومساعدة الهيئة الحاكمة تمكن هذا الخدعة من تعليل مئات من الفرنسويين ببروق الاماني ووعدهم بمواعيد عرقوبية فاستمالهم الى المهاجرة معه الى تلك البلاد المشومة حيث ذهب بعضهم ضحية الوباء ومن سلم من تلك الآفة انتابته مخالب المجاعة والفقر ·
وكذلك معادن النيكل التي اكتُشفت قريباً في كاودينا الجديدة فقد وهبتها الحكومة الى اثنين من اعاظم اليهود وهماروتشيلد وهيجنسون واكراماً لهما قد عقدت النية على ابدال النقود النحاسية بنقود نكلية · وهذه ملايين اخرى من المال الفرنسوي ستدخل الى خزائن اليهود مقابلة قسم من

المعدن المغتصب من حقوق الوطنيين فانطبق على هذا قول المثل السائر « يبيعني اليوم ما سلبنيه بالامس » والحاصل ان البلاد جميعها تتألم وتضطرب . فقد اصبحت التجارة على شفا جرف هارٍ والصناعة اصيبت بالكساد وخوار القوى وثلاثماية الف عامل باتوا بغير عمل تطوى احشائهم السغب ويضطرهم الفقر المدقع لاقتراف الذنوب وارتكاب القبائح . واصبح المال نادراً قليل الوجود لان العدو قد سلب منه القسم الاعظم وعوضاً من ان يستعمل ذلك في سبيل احياء ميت التجارة والصناعة الذين هما ينبوع الثروة واصل السعادة والعمران فانهم يستخدمونها لسحب ما بقي منه في ايدينا

فلا شك اذاً بان اليهود هم مختلسو الثروة الفرنسوية وجرثومة بلاء الشعب الفرنسوي ومع هذا فتراهم الحكام المستقلين في فرنسا كلها وقد ظنوا واصابوا في ظنهم انهم تقدموا بقدم السرعة نحو غايتهم الوحيدة التي تطمح انظارهم الى نوالها . وما تلك لا امتلاك المسكونة برمتها فاهم بفرنسا سنداً متيناً وعوناً عظيماً وهي بيدهم آلة قوية يستخدمونها لتحقيق امانيهم وقد جربوا هذه الآلة مرتين في تونس والتونكين فاصابت نجاحاً يضمن لهم مثله في حملات اخرى حيث يضرجون الارض بالدم الفرنسوي

بقي علينا النظر بهل ان المستقبل سيخضع لليهود كما اطاع لهم الماضي فيساعدهم على اتلاف جسم فرنسا المختبط . لا لعمري فان الطير الفرنسوي الذي صبر على الذل وخضع لاحكام الزمن فجرّده الاعداء من ريشه الواحدة بعد الاخرى قد احسّ بالالم وبدأ صبره بالفراغ وقد قربت ساعة خروجه عن حدود الاعتدال اذ لا تعود له طاقة على احتمال وطأة الذل

فينهض نهضة الاسد ويلي العداة بالويل والثبور · فهناك ينتبه اليهودي من غفلته ويعلم انه قاصر مع دهائه عن اذيته وانه اذل واحقر من ان يربط جناحه ويسد منسره



ربة البغاء

بحث علماء الجمال والمغرمون بنقل جمال الصور البشرية في حسن الرجل الغربي والشرقي والعربي والتركي والفرنسوي والروسي والانكليزي وكل الامم الاخرى وتفننوا في وصفه ونقل صورته تسبيحاً لخالقه وتمجيدا لمولاه .· ولكن هل خطر ببال اولئك الباحثين ان يستمدوا من جمال اليهودي صفة ومن خلقته حسناً ليحلوا بهما الطروس ويستميلوا اليها الانظار · لا وربك وكيف يكون اليهودى ذا حسن ورقة وهو من المغضوب عليهم · وكيف يُنتظر منه جمال وهو وان لم يكن فيه سوى سواد القلب وقبح السريرة والحقد على كل عباد الله لكفاه ذلك قبحاً وظهرت اثار تلك الرذائل على وجهه فتفسد ما اوجده به الخالق الحكيم · نعم ان النسل اليهودي اختلط ببقية الشعوب فاثرت فيه المدنية ولاحت عليه لوائح النعم ولكن الرجل منه حفظ هيئة شيطانية وصورة مضطربة مقطبة وذلك نتيجة تلك الآلام الطويلة التي قسمت ظهر هذا النسل جيلاً بعد جيل وعاقبة محافظته على افكاره الوهمية واشتغاله بالمطامع المستولية على عقله ولا سيما الذل والاستعباد اللذين لا يزال يقاسيهما الى يومنا هذا عند اغلب الشعوب · اما الامرأة فيهم فانها على خلاف ذلك

فهي حسنة الخلقة فائقة الجمال في القالب. فكأنها اضافت الى جمالها جمال الجنس الآخر المجرد عن صورة الرجل اليهودي. ولكن جمال وجه الامرأة اليهودية جرّد نفسها عن الجمال الادبي والصفات الكمالية فاننا لم نسمع قط في الازمنة الاولى ولا التي تليها بان الفضيلة والعفة على حسب ما نعرفهما نحن كانتا ملكة في نفس اليهودية. فكان من الطبيعي اذاً ان نراها الآن مجرّدةً عن الصفات الكمالية محرومة من الشمائل الجميلة حيث انها لم تتوارثها عن جدّاتها كما ورثت جمال الصورة وكلٌّ يعلم ان الامرأة اليهوديه تهزأ بما نسميه الشرف والعفاف وتنفق بالرخاء ما يعرّف عند اهل الشرف بالعرض والناموس وهي مع كل هذا عديمة الاحساس باردة الطبع والمزاج. وقد يُخدع كل من ظن انها تعرف الغرام كما يعرفه اهله اذ يراها ميّالة الى الشهوات منقادة اليها بحرارة الدم وحدّة المزاج فان اصل ذلك هو الميل الى الشهوات الجسمانية وحب الفسق والرذيلة ولا سيما الغاية وحب التزاهي. فهي قاصرة عن ادراك معنى الحب والهوى اللطيف ولا تضيع الوقت سعياً وراء ذلك التصوّر الكمالي الذي يميّز الانسان عن الحيوان ومع انها لا تعرف الهوى والمحبة كما هو في عرف اهل الغرام فانها لدهائها قادرة اذا اقتضى الحال عند وجود الغاية السياسية او المالية على التزيّي بزيّ العشاق وتقليدهم حق التقليد حتى يظنُّ بانها اميال وضعية وصفاتٌ نفسية. ولكن هيهات هيهات فانها بعيدة بعد الارض عن قبة السماء عن تلك الخصوصية السامية التي تصير العاهرة بعض الاحيان شريفة كمالية فان جفائها كتساهلها. وصدّها كوصلها وهذا تجود به على قدر الفائدة وتبيع منه على قدر الثمن

فانها تسلم نفسها بغير ميل كما انها تاتي المنكر بغير نفور . بل ان هذا الفعل يظهر لها عارياً عن الاهمية ولا تهتم منه الا بالواسطة ولا تحفل الا بالجائزة المادية او المعنوية . ولهذا ترى بان في كل الاماكن التي بها الامرأة تبذل نفسها لشهوة الرجل وتبيعه عرضها وناموسها بالرخيص فلليهودية الدور الاكبر والسواد الاعظم . فبيوت الفساد والبغي وحانات الفسق والفجور في اوروبا ولا سيما في مصر والجزائر ملأى باليهوديات وهنّ مرغوبات اكثر من غيرهنّ لجمالهنّ وطيب وصلهنّ .

ومن اغرب الامور ما يجري في قبيلة يهودية تسمى قبيلة «ولد نايل» في جنوبي الجزائر لم تزل الى الآن في حالة البداوة والتوحش . فلها عوائد غريبة من جملتها ان الابنة اذا بلغت سن البلوغ يخطبها رجل من ابيها فترحل بامر والديها الى البلد القريبة من حيها في طلب صداق تدفعه لخطيبها . وهناك تبذل نفسها للعهارة وتبيع عرضها بابخس الاثمان وهي مع ذلك تعيش بالتقتير لتزيد في مقدار المقتصد وبعد ان تمكث زمناً وترى نفسها تحصلت على المبلغ الكافي من المال تهتم بالرجوع الى ربعها فيحتفل بقدومها كل الاحتفال وتتزوّج بخطيبها الذي انتظر رجوعها بامانة وصدق .. فما يرى القراء في هذه الامانة التي لم يغيرها طول الامد .. اليست موثرة عظيمة ... قهقه .

نعم ان رجال هذه القبيلة قد تجاوزوا الحد في احتقار النساء وبخسهنّ قدرهنّ حتى عرّضوهنّ للابتذال واوقفوهنّ للفجور ولكن يمكننا ان نستنتج من هذا وجود هذه المبادي غريزة طبيعية في كل اليهود اذ نرى حالة هذه القبيلة البدوية اليهودية التي لم تزل محافظة على فطرتها الاصلية ولم يداخل عوائدها

واخلاقها الفساد. ويزيدنا تأكيداً علمنا بوحدة اصلهم وانحصار نسلهم فيهم وان حاسة الشرف والصيانة التي هي غريزية في الامرأة الشريفة لا تنتظر قط من اليهودية ومن ظهر له وجودها في الفريدات من البلاد المتمدنة فلا يغرنّه ذلك حيث انه امر ظاهري اضطراري وتقليد مصنّع ملفق والحقيقة ان ما تعتبره الكاملات من النساء فضيلة وعفافاً لا تنظر اليه اليهودية الا بعين الوهم والهزؤ

وان السبب لبقاء الامرأة اليهودية فى جمالها الاول. فتراها صبيحة الوجه. باهرة الجمال. حوراء العين. حادّة اللحظ. فذلك لان اليهود عاشوا في ظل الامم الاخرى وتعيشوا من كدها وتعبها شأن الطفيليين الارضيين. فلم يتكبدوا مشاق الزراعة وعناء العمل أو جميع الاعمال المتعبة التي من شانها ان تُذهب بهاء الوجه ورونق الجسم مع انها تخشنه وتقويه فحفظت اليهودية حسنها الاول و بقيت اعضاء جسمها متناسبة على وضعها الاصلي. وانني بالاختصار رغماً عن تذكار ريبيكا وعتليا ويهوديت المشهورة اعمالهن في تاريخ الامة اليهودية فلا يمكنني اثبات ان اليهوديات قد حزنَ الصفات الكمالية . بل ان ما اراه واثبته هو ان الامراة اليهودية محتالة ماكرة مرائية منافقة مقيدة بغاياتها

قد يتضح من هذا الاجمال وهذا الوصف ان اليهوديات هنّ اكثر النساء فسقاً وعهارة ... وهذا ايضاً من جملة احتكارات اليهود . ولكن لا اظن بان نسائنا يحسدنهن عليه ويتمنينه ... حاشا ...

جبن اليهود

طالما كان المتقدمون والمستحدثون من العبرانيين اقوياء في الفساد والزوغ . ذوي جراءة واقدام على زرع الشقاق اينما كانوا والبلاء والنكد انى حلّوا . ولكنهم لم يكونوا قط شعباً محارباً مقداماً على مهاجمة المخاطر ومصادمة العساكر . وقد اثبتنا بانه حتى في ايام سعادة اليهود وعلو شانهم التي ينقلون تاريخها بانفسهم الينا كان يستحيل على رؤسائهم وانبيائهم اقناعهم بانهم في قوة كافية لصد العدوّ وردّ هجماته كي يحملوهم على رفع راية الامة والانتصار لذرى الشعب والوطن ما لم يثبتوا لهم بالمعجزات العظيمة والبينات المحسوسة ان الله معهم وسياخذ بيدهم في الذب عن حمى الامة والدين . ولهذا فقد كانوا في خلال الثمانية عشر جيلاً التي مضت من خروجهم من مصر الى شتات شملهم بين امم البسيطة فريسةً للامم وغنيمةً للشعوب

وطالما رحمهم الله في اثناء هذه الايام ايضاً اذ طال عليهم العقاب فوهب رؤسائهم الشجاعة والهمهم الثبات والاقدام فقاموا يستنهضون امة اسرائيل من غفلتها وسقوطها و يبثون فيها روح الحمية والانتصار و يسعون في لمّ شعثها واسقاط نير العبودية عن كاهلها فكانوا كمن ينفخ في رماد وان لم تسطع على اعينهم معجزات الاله لا شيء يضطرهم الى النهوض ولا حجة تحملهم على رفع السلاح في وجه من يستعبد رقابهم ويستخدم

نساءهم واولادهم . واذ يظهر لنا بان اليهود في الزمن القديم ايلم ما كانوا شعباً قوياً بالوآم والعدد . مشتداً بمهارة روسائه وحكمة مديريه لم توجد في قلبه الا الجسارة التي يولدها التعصب والجراءة التي تكون لقاطع الرجاء كيف يخطر ببالنا ان هذه الامة الخبيثة التي كان الذل شلتها والدناءة بساطاً لها في خلال ثمانية عشر جيلاً قد أعطيت تلك الشجاعة ووهبت تلك الشهامة اللتين نقصتا اجدادها ايام سعادتهم وعظم شأنهم . ولا يجدر بنا على كل حال ان ننكر على اليهود قوتهم الموصوفة على الثبات والتحمل اذ قاسوا ضروب الاهوال وكابدوا اعظم المشقات ولم يحدث ذلك تغييراً في اخلاقهم او قطعاً لآمالهم . فشجاعتهم شجاعة رجل احنى ظهره الذل وانتابته البلايا والمصائب فاعتاد وصبر على ما لا حيلة لاجتنابه ولا بد من استقاء كاسه . اما الشجاعة الحقيقية واعني بها مصادمة الخطر جهاراً وملاقاة الاهوال مباشرةً بغير الاستعانة على ذلك الا بقوة الساعدين والقلب فتلك بعيدة عنه بعد الارض عن قبة الفلك . فبدل ان يسير اليهودي اتجاهاً نحو غايته ويجاهر بقصده فانه يعتني بسترها عن اعين الناظرين . يحيد عن الموانع ويصادمها بسلاح المكر والخداع ولا يهاجمها قط من الامام . ثم ان مكر اليهودي والتزامه الغش الدائم يوافق ويحرض عليهما التلمود حتى اصبحا ملكتين تغلبتا عليه ان عمل بالاجماع او بالانفراد فيخدع ويزوغ في اقل علاقاته مع «الجوى» الغير يهودي . ولا حاجة للقول بان هذا شأن الجبان الذي يعلم من نفسه ضعف الخلقة والعجز عن المقاومة جهاراً فيعمد الى الحيلة سلاح الضعفاء . وقد رأى اليهود ان هذا يجعلهم صغاراً احطاء القدر بين جموع الامم فيقلل ذلك في نفوذهم وينقص في اعتبارهم فعمدوا الآن الى التظاهر

بالحماسة والشجاعة · ليس لان الحماسة تحرّك منهم القلوب والحمية ترتاح لها النفوس فان المهارة باستنباط الحيل ونسج الحبائل والخيانات احب لديهم منها · بل لانهم يرون من الضروري اخفاء هذا الانحطاط الطبيعي والجبانة الفطرية اللذين سببا لهم الاحتقار والذل · ويا ليتهم اختاروا من الشجاعة ضرب المحراث وانتزاف دم الارض فيظهروا امامنا بصفة العمل بل انهم مارسوا لعب السيف وظهروا في رداء من الحماسة اكثر جلبة واعظم تظاهراً ولكن لسوء حظهم فان الجبن والخوف الغريزيين يتغلبان على ممثّل دور الشجاعة فيرمى بالازدراء ويرجع لذله المعتاد بعد ان اجهد النفس في ستر عورته واغلاء ذلته فيذكّرنا في الحال مثل الحمار المرتدي بجلد الاسد· فهو ثابت الجاش قوي الجنان في قاعة السلاح لا في ميدان القصال ومقام الكرّ والفرّ

لم ينأى بعد عن خاطر القراء مبارزة دريمون مع ميرالتي بها راى اليهودي نفسه في موقف الخطر فاندهش وتحير وكاد ينفذ به القضاء لو لم يعمد الى طريقة الغدر فقبض على سيف خصمه بيده اليمنى وارسل اليه باليسرى ضربةً خرقت صدره ورمته الى الحضيض واذ رفع الجريح امره الى المحاكم « انتصرت » لليهودي وبدل ان تجازي الجاني على محاولته القتل فانها وجهت اللوم الى دريمون اذ اتهمته بانه اكثر الاقتراب من خصمه حتى اضطره الى استخدام يده الشمال · ولكن هذ العمل تكرر بنفسه في مبارزة «منفيل» مع «ناكيه» مع انه لم يحصل الالتحام في القتال هذه المرة فتلك عادة في اليهود · والغدر سلاحهم الخاص فكيف يتأتى لهم الانتصار بغيره · فالحاضرون لهذه المبارزة الثانية احتدموا غيظاً

وعقب «ضربة اليهودي» صراخ ولجة بينما ان ضابطاً شجاعاً من مشاهدي الواقعة تغلب عليه الغضب من هذا العمل الفظيع وارسل لوجه ناكيه لطمتين من يد جبار كاد يعمي بهما منه البصر. اما «ناكيه» فانه اظهر العجب من هذا وانكر في الاول «من البديهي» انه استخدم يده الشمال في القتال ولكنه اضطر ان يرضخ للحقيقة اذ ظهر بانه ادمى انامله بسيف خصمه اذ قبض عليه بيده اليمنى؛ ثم دار شهود الطرفين حول الجريح يعتنون بامره وتركوا اليهودي الغدار يُصفع ويهان. ومن الغريب بانه لم يخجل من عمله الفظيع امام المحكمة اذ سُلم اليها ولم ينكس راسه حياء منها بل انه قام في الجلسة معترضاً واحتدم غيظاً وغضباً فشدد النكير على شهوده اذ انهم اساؤا معاملته وبعدوا عنه بعد «الضربة» كبعدهم عن مصاب بالوباء وكاد لولا القليل يطلب «لشرفه تعويضاً». ثم انه بكى بدموع حارة واستمدَّ من المحكمة ان ترفق بحاله ولا ترميه بالعار والفضيحة كأن براءة ساحته ثقيله من اثم محاولة القتل. فبُعداً لكم من يهود. وسحقاً لكم من سفهاء ماكرين! ولكن الهيئة لم تحفل بتمثيله وبجوره ومع انها استعملت الرحمة والتساهل حكمت على محاول القتل بالسجن مدة شهرين. ولكن محكمة الاستئناف في جرينوبل خفّفت الحكم لحسن حظه الى ستة ايام وغرامة ٢٠٠ فرنك «اقول لحسن حظه ولا اعلم ان كان ناكه يفضل سجن سنة على دفع ٢٠٠ فرنك» واني لاعجب كيف انه بعد هذه الامثلة وعلمنا اليقين بتشابه افراد اليهود في الاعمال يختار مواطنينا مبارزة اليهود ويتنازل الفرنسوي الى حد ان يساويه في القتال. وكيف نغترّ بعد الاختبار بالتظاهرات الحماسية التي

يحاولون بها اقناعنا ان اليهودي بهذه الايام غير ما كان عليه من الجبن والضعف الطبيعي فهو احقر من ان يدرك من الحماسة اسمها ومن الشجاعة رسمها

ومما يضحك ويعجب ذاك البراز الذي كان مزمعاً على الحصول بين النائب «لاجير» واليهودي ميشال هرش المسبب عن رسالة مزوّرة صادرة من الاخير. فانهما اذا ازمعا على تبادل طلقات النار ابرز هرش شهادة طبية يثبت بها قصر بصره وضعف نظره وعدم جواز قتاله في هذه الحالة. فضحك لاجير من هذه الحيلة واطلق القدارة في الهواء شاهداً على سروره منها. وقد قيّدت الجرائد هذا الاكتشاف الجديد من [شجاعة] اليهود وقابلت [العين اليمين باليد الشمال] . فمن كان منا ضعيفاً تغضبه سفاهة اليهودى او ساذجاً فيطلب منـــه لشرفه تعويضاً يلزمه قبول كافة شروطه. اما اذا وصلت قحة اليهودي الى ان يطلب القتال فيجب ان يُجبر على انتداب من يكون بدله من [المتنصرين] في القتال ويقوم مقامه في حمل السيف كما يفعل ذلك في اعمال وزارة او نيابة او ادارة الى ما شاكل ذلك . . . وان اضطر الامر فى بعض الظروف لمنازلة اليهودي فليكن البراز بالطلقات النارية حيث لا تحصل الملامسة ولا يكون المقاتل محاذقاً باكثر من (نظرة عين اليمين) اي تصديع بلا فائدة . ومن المعلوم بانه كما يتساوى المتقاتلان في مقام النزال يجب ان يتساويا ايضاً في المرتبة وشرف النفس والا غُدر احد الطرفين وكان ذلك حطة لقدره بدل ان يكون اعلاء. فان كنا نعلم خيانة اليهود وغدرهم وعظم مكرهم فكيف نساويهم في قتال ونأمن من غدرهم في نزال. لكل شعب

سـلاح يميزه عن غيره ويفضل استعماله لفصل ما يسمونه ردّ الشرف .
فالالمان يتقاتلون بالسيف المحدّب . والاسـبانيول مع اهـل المكسيك
بالخناجر . واليِنك يتنازلون بالفرديّ المسدّس والمفرد . والانكليز (بالبوكس)
وقد اخذوه عن عوائد العبيد اذ اشتغلوا مدة بمعاملتهم وبيعهم . ثم ان
الفرنسيس يقتتلون بالسيف المقوّم ولكلٍّ من هذه الانواع المختلفة للقتال
قواعد خصوصية محدودة ولكنها تلتقي عند نقطة واحدة وتخضع لشرط
عام وهما الاستقامة في القتال والمساواة في الشرف والسلاح . هذا مع ان
سلاح اليهود الغدر والخيانة والمكر فكيف تتفق وهذه مع تلك على طرفيّ نقيض . ومما
هو حريٌّ بالانتباه انه لم يُسمع قط بان يهوديين تساويا في قتال
وتفاصلا في ميدان . وهذا يثبت لنا بانه وان سمح لهم التلمود محاولة قتل
(الجوى) واباح لهم انتهاب ماله وانتهاك حماه فانه يُمنع عليهم منعاً
مشدّداً ان يضرّوا (بحياة اسرائيلي) . فلندع اذاً لليهود سلاحهم
المختص بهم . وطالما ان البراز لم يُمنع للان قانونياً فعلينا بسيفنا الفصال
سلاحنا الجميل الشريف لتسوية الخصام بين الفرنسيس وما عداهم من
الاوروبيين ولا ندنسه بملامسة اليهود فذلك حطة في قدره وتنزيل من
مقامه . ومن المعلوم بان يهود فرنسا يبلغ عددهم ثلاثمائة الف نسمة وهم
يدخلون الخدمة العسكرية كغيرهم من رعايا الفرنسيس . فمن تامل في
عدم اهلية اليهودي لهذه الخدمة الشريفة علماً منه بجبانته وخيانته وضعفه
الطبيعي قلق وسأل نفسه في كيف تكون سيرة هذه الطغمة اليهودية
وحالما اذا شبت نيران الحرب وما تكون نتيجة تداخلهم في الجيش الفرنساوي
اذا التقت الرجال بالرجال ووقعت النصال على النصال . وبالحقيقة

ان هذه نقطة جديرة بالانتباه فلنفحصها فحصاً مدققاً · ان اليهودي لا يميل قط الى الخدمة العسكرية ولا يدخل اليها الا مضطرّاً لا مختاراً وذلك اولا لان اليهودي نذل جبان لا توجد فيه الاحساسات الحماسية كما بيناً · وثانياً لان لا واسطة فيها للغنى والثروة ولان شرف الخدمة وتأدية الفرض للوطن العزيز اللذين يكتفي بهما العسكري ويكونا غايته ودليله في ايام خدمته يزدري بهما اليهودي ويراهما كشيء لا معنى له · ولو قطعنا النظر عن جبانة اليهودي ودناءة اصله فما الذي يجبب اليه الخدمة العسكرية ولما يجاذف بنفسه ويخاطر بحياته · هل فدية لوطنه ام اقتداء للجوي ؟ فهو لا يعرف الاول و يحتقر الثاني · و يعتقد ان هذا هو المكلف لتضحية حياته ارضاء لليهوي وفداء له وهذا هو عين ماحصل في حملتي تونس والتونكين فقد حصلتا باغراء اليهود ولمجرد نفع اليهود · فقد ضحيت نفوس رجالنا الزكية وأهرقت دماؤهم فداء ليهود تلك البلاد من ربقة الاسر والاستعباد مع ان لا احد من مجانسيهم اشترك بالحملة غير المتعهدين بتوريد الذخائر · وربَّ قائل يقول بان اليهود يذخرون للمدافعة عن الوطن والمحاربة عن داخلية فرنسا ان تهددها الضر . فوالله لن يحارب اليهود في الداخل باكثر مما حاربوا في الخارج · فكيف يوقف اليهودي حياته للذب عن بلاد يزعم انها ملكه ولكنها ليست بوطنه · فهذا ينافي الخطة التى اختطّها لنفسه والوظيفة التي تقتصر على استخدام هذه البلاد في سبيل تمديد سلطته واتساع دائرة امتلاكه · نعم انه يتمنى بانتظار ذلك ان تحصل على خير نتيجة ولكن غيرته عليها هي غيرة المالك على ملكه وتقتصر على خوفه من فقدان ذلك الامتلاك ورغبته بدوام سعادته وتمتعه فيه ولا تتجاوزها الى تضحية

الحياة في سبيله. وقد خفضت في الجزائر مدة الخدمة العسكرية الى سنة
واحدة تحت حجة تسهيل وسائط الاستعمار وبالحقيقة لم تحصل الاّ ارضاءً لليهود
الذين يشغلون السواد الاعظم من هذه البلاد. وفيها كما في فرنسا لا تعدم
اغنياء اليهود الواسطة للتخلص من الخدمة العسكرية ولا يدخلها منهم الاّ
الفقراء والعمال غير ان من لم يمكنه التخلص منها من سكان فرانسا هم نذر
قليل ضائع بين صفوف الجيش مع ان الحالة ليست كهذه في افريقية حيث
يهود العرب كثيرون وعددهم عظيم بالنسبة الى مماثليهم في فرنسا.
فيكابد ضباطنا منهم اشد العناء والشقاء. فهم مثال القذارة والوخامة.
جبناء انذال. لا يجسر احدهم على حمل السلاح ويخاف الاقتراب اليه.
واذا اضطرهم القانون العسكري الى ذلك في ساحة التمرين فان اطلقوا
عياراً ناريا وقعوا على وجوههم كالاموات وخرّوا الى الاذقان سجّداً
ترتعد فرائصهم رعباً وهلعاً. اما في الحركات العسكرية فانهم يقفون في
اوائل الطريق ولا يخلو وجودهم في الجيش من الخطر عليه. فاذا افترضنا
بان عدد يهود فرنسا والجزائر معاً يبلغ خمسمائة الف مع ان هذا اقل جداً من
الحقيقة - فاذا اضطر الامر لحشدٍ عمومي للجيوش يدخل من هذا العددين عساكرنا
٢٥ الف نفر. فاختلاط هذا العدد بالعساكر الفرنساوية يكون في الاول ضيقاً
وثقلا على الضباط لما يعلمونه من سوء حالتهم اما اذا تحركت الجيوش فالداهية
اعظم لانهم يقفون عن السير بعد يسير الخطوات حتى يصبحوا بعد قليل
في مؤخر الجيش وينفردوا في القفار ويصيروا الى ما هو اشر من ذلك
اي جواسيساً ينقلون الى العدوّ آثار الجيش ومواقعه الحربية. ولو افترضنا
اخيراً ان الرؤساء تمكنوا من ايصالهم الى ساحة القتال وايقافهم تجاه

العدوّ فلا شك ان طلقات النار ودوي المدافع تملا قلوبهم رعباً وفزعاً فيلجأون للفرار والهرب وتوقع هزيمتهم الاضطراب في الجيوش ويخشى عليها من الخلل والانكسار. وان نظّمنا منهم جيشاً منفرداً والقينا اليهم مثلا قيادة مراكز الجزائر وغيرها ينتهز العرب الذين لم يزالوا الى الآن تتنابهم ايادي اليهود فرصة غيابنا فيتجمهرون عليهم ويمزقونهم شذراً مذراً. نعم ان هذا يعدّ من قبيل الاخذ بالثار ولكن يخشى ان يتأتى من ذلك ثورة كما حصل في سنة سبعين تعود بالخسران على الاستعمارات الفرنساوية: فبمَ يجب استخدامهم اذا شبت الحرب اذاً ما دمنا نخشى اخطارهم على الجيش ان وجدوا فيه ؟ أرى ان احسن واسطة هي اعفاء اليهود من الخدمة العسكرية حتى تشديد منعها عليهم، وان قامت الحرب وحمى وطيسها نقاتل لاجلهم الى ان يشاء الله وندعهم في استطراد اعمالهم المالية فنتقي خطرهم ونأمن من غوائل شرهم: والجيش عندنا وحده لم يزل بعيداً عن مطامع اليهود ومراكزه العالية مرتاحة من شرورهم ولا يوجد فيه الاّ ضباط قلائل اكثرهم في قسم المدفعية وقسم الاستحكامات وهم متخرجون في المدارس الرياضية الهندسية التي دخلوها بامل الوصول الى الطبقات الملكية، ولكن لما لم تُكلَّل مساعيهم بالنجاح بعد خروجهم اضطروا للانتظام في سلك العسكرية. وهم الآن يسلون النفس بتعليق السيوف وارتداء اللباس العسكري. وهذا غرور باطل لا يرتضي به اليهودي اذا بارحه عنفوان الشبوبية فيعدل عما رضي به مضطراً لا مختاراً الى السعي وراء الغنى والثروة المنغرس حبهما في الفطرة اليهودية، فتراه ترك سلك العسكرية الشريف في سن الثلاثين ليكون

مديراً او مهندساً لاحدى الجمعيات المالية والصناعية المختصة باليهود ولا يبقى في خدمة الجيش منهم الّا نذر قليل ،

وفي اثناء اقامة ضباط اليهود مدةً في الجيش بعيدين نوعاً عن مجانسيهم يضطرون مع الضباط الآخرين للرضوخ للمعيشة الضنكة والخضوع للقانون العمومي . فمجاورتهم الطويلة المتداومة لامثالهم في السلك واحتكاك افكارهم الاضطراري مع الضباط الفرنساويين الذين سارت باستقامهم الامثال وافتخر بحريةافكارهم التاريخ كل ذلك يغير بلا شك في اوهامهم و بطلان اعتقادهم ويخفض من درجة تقليداتهم العقليه التي يلتزمها اليهودي في علاقته مع (الجويم) . فيجري عليهم وقتياً تاثير الهيئة التي يعيشون في ظهرانيها و يماثلون الفرنساويين في الاخلاق مدة وجودهم في الجيش ، ولكن اذا اعتزل احدهم العسكرية الى مجانسة اليهود ومعاملتهم تتوارى تلك الصفة عن العيان وتحل صفة اليهودي محلها

وعلى كل حال فان وجود نذر قليل من الضباط الاسرائيليين في الجيش لا ياتي بضرر يذكر عليه ولكن قد يختلف الامر اذا طمحت انظار اليهود الى الاستيلاء على المراكز العالية في الجيش كما قبضوا على أزمة الاحكام الادارية والقضائيه واصبحوا ارباب الثروة العمومية فانه اذا دخل اليهودي في هذا السلك لا يلبث ان يعتلي المراكز المهمة في الهيئة العسكرية اذ يكون مدفوعاً بأيدي ارباب القوة والنفوذ . واذ يتكاثر عدده يسرى سمه في جسم العسكرى ويزرع فيه الفساد والارتباك اللذين القاهما اينما حل وحلت شروره . فالجيش مركز الحمية الوطنية . والجيش آخر ملجأ للشرف الفرنساوى . فليكن

في أمن من تحرش اليهودى لئلا تسرى اليه العدوى وفي بعد من دناءة اصله ورداءة قصده لئلا يكون ذلك اعظم سرياناً فيه من كافة السموم المعروفه . فما اتصف به العسكرى من شرف الفكر وحرية الضمير يمنعه عن اساءة الظن بنظيره وان كان يهودياً وادراك حيله والتحرز من حبائله فتسلمه سلامة نيته الى ايدى العدو بغير مقاومه او دفاع

وفي قضية « كافاريل واندالوا » عبرة للجيشى وخبرة يدرك منها ما يحيق بالعسكرى من الخطر عند اقل علاقاته مع اليهودى . وهذه القضية لا نرى فيها فقط تاثير العدوى اليهودية في الجيش بل تعدي القوة القضائية المتصرة لليهود وفظاعة اعمالها

اتصف اثنان من قواد الجيش العظام بالشرف وحازا قصب السبق في الشجاعة والمهارة العسكرية فخرجا بعد اتمام الخدمة ولا يشوب وجه تاريخهما شائبة . فالقيت اليهما مقاليد المناصب العالية جزاء لهما على سابق الاخلاص وصدق الخدمة . اما احدهما فان الشيطان قد وسوس له ونفث في صدره وغره حب المال والغنى فاستعمل علو منصبه للمتاجرة وباع بدنياه القاب الشرف التي حازها بشجاعته وغنمها بقوائم سيفه. اما الآخر فذنبه ضعف الراي والانقياد لوساوس اولي الفساد فوقع على غير علم منه في حبائل الذين لم ينتبه الى مكرهم وغدرهم واذ اصبح قنيصة لهم صوبوا نحوه اسنة العداء ورشقوه بسهام المطامع فلم يبقوا عليه ولم يذروا

فما كان نصيب هذين القائدين ؟ ان الاول الذي هو الجاني الحقيقي قد بلغه العزم على القبض عليه فوُسّع لهُ طريق الفرار ومع انه قد حكم عليه

غيابياً بالسجن ستة اشهر فقد قالت السلطة القضائية بعدم وجوب تجريده من نيشان الشرف . اما الثاني فانه ذهب ضحية الضغائن السافلة مع انها لا تتعلق بشخصه فقد أُلقي القبض عليه وسيق الى السجن . فلطخوا شرفه بالعار وقدموه فدية لبعض اللصوص السرقة وجعلوه هدفاً لصواعق غيظهم وسهام حسدهم وقبل استماع اقواله والحكم عليه جردوه من القاب الشرف وعلاماتها . وبعد ذلك كله ساقوه امام محكمة بين قوّاد وثلاث فاحشات؟ وبعد ان سقي المنكود الحظ فريسة الاشقياء والاقوياء أكؤوس الذل والهوان رثت الهيئة لحاله وارادت معاملته بالرحمة ولكنها اضطرت للحكم عليه اذ انه لم يعترف علانية بالجريمة التي اتهموه بالاشتراك فيها . والذي جرّ كل هذه المصائب على راس هذا العسكري القديم والشيخ الشجاع الذي استعار بياض ناصيته من بياض اعماله العسكرية وفتوحاته العظيمة غيظ زمرة المتنصرين . وقد املوا اذ فتكوا به ثلم شرف الجنرال بولانجه القائد المشهور وهذا لا ذنب له الا رفضه الاشتراك بالجناية والمساعدة على الاختلاس والخيانة . ولكن خابت والله امالهم ولم تنجح اعمالهم . فلم يزدد بولانجه الّا قوةً وشرفه الا فخراً فان الراى العام حنق واغتاظ اذ راى المارقين اللئام مقدمين على تدنيس هامة الشيخ التي يكللها بياض الاعمال بايديهم الملطخة بالاوزار فقام يشدّد النكير عليهم . واذ رأت طغمة المتنصرين هذا قامت وقعدت وارغت وازبدت وعقد اعضاؤها النية على الفتك ببولانجه على اي حال فسلطوا عليه الكلاب وارسلوا في طلبه جماعة الاشقياء ووضعوا عليه العيون والارصاد واغروا اللصوص على سرقة اوراقه واكتشاف اسراره لعلهم يعثرون من خفاياه على ما يصوبون سهامه اليه . فسرقوا عدة

رسائل واخذوا يشدّدون عليه النكير ويقذفون اليه الشتائم والاهانات املاً باثارة غضبه واخراجه عن حدود الصبر والاعتدال فيتفوه بما يعيدونه بلاء على راسه حتى عثروا اخيراً على حجة سافلة فانتهزوها فرصة لنزع وسام القيادة من كتفيه وتجريده من علامات الشرف كما فعلوا لاجله بالقائد كافاريل

ولا يظن القارى بان غايتنا هنا امتداح الجنرال بولانجيه وتعديد مآثره فان اعتباره وقدره حقيقيين كانا او ظاهريين يبقيان بين الشك واليقين او على الاقل موضوعاً للنظر طالما لم يثبتهما بالاعمال ولكن اذا نظرنا نظراً مجملاً الى امياله واعماله السياسية والحربية فلا نرى فيه الا قائدا كان ماضيه العسكرى لا يقبل الانتقاد ويستحق في الغالب المدح. فلا نعجب والحالة هذه ان رأينا الحنق والغضب اخذا حدهما من محبي الوطن العزيز وهاجت الضغائن الكامنة في صدور الفرنسيس اذ رأوا طغمة المتنصرين واليهود تمد يدها المدنسة الى هامة هذا البطل المشهور بالمدافعة عن الوطن والذب عن حماه. وذلك لانه لم تغرّه منها الوعود فينقاد لاباطيلها ويرمي الجيش بالعار. فداروا حوله من كل جانب وقاموا بينه وبين العدو كدرع متين وحصن حصين يدرأ عنه اعتداء المفترين ويرد صدمات المهاجمين حتى بلغ عدد المتنصرين له بالاختيار خمسمائة الف رجل نخبة جميع الاحزاب واذ رأينا تجمع الاحقاد والتآم الضغائن على اليهود حول هذا الشجاع المقدام سطعت على انظارنا بروق الاماني وقلنا لا تمضي بنا مدة الا ونرى هذا الحزب المؤلف من خيار الرجال قد قام تجاه العدو واخذ بالثار من الحزب اليهودى . ولكن

حسبنا ذلك وفاتنا ان اليهودى كالقدر لا حول منه ولا مناص . فلم تكد تظهر علائم النجاح في اول خطوات الحزب البولانجي ومظاهر نفوذ القائد المشهور حتى خاف اليهود على نفوذهم من السقوط وصوالحهم من الذهاب ورأوا ضرورة تداخلهم في هذا الجمهور الحر فتحرش ثلاثة اواربعة منهم وجاؤا يبتغون لهم في ديار الاحرار منزلا . ونخشى تعدد هذه المنازل المعديه فتعلق باطراف الحزب البولانجي ويسري السم الى جسمه فلا يلبث ان يصبح عنوان الفساد والدسائس كما هو شأن اليهود اينما حلوا فسعوا في الارض فسادا . وعلى كل فان الصدف والظروف قد خدمت هذا القائد الهام ولا يبعد ان يكون طالعه سعيداً لو ادرك حق الادراك اهمية مركزه وابى الانقياد لاباطيل سامنة اليهود فيستميل اليه احرار الفرنسيس ويتخذ منهم حزبا قويا يديره في اعلاء شأن الوطن العزيز وتشييد عروش مجده وأي ذكر جميل يترك له في صفحات التاريخ لو اوقف نفسه لتحرير الامة واعلاء شأنها . فهل يرضى بهذا يا ترى ؟ هذا ما نؤمله من صميم الفؤاد ونحن من الخطر على الشفاء . وكيفما كان الحال فان بولانجه بقيامه في حق النهضه الفرنسويه وتنبيه المشاعر الوطنيه قد استحق من وطنه ثناء جميلا لا يستحقه فيما اذا عرض نفسه لحميات التونكين او ذهب لتطويع قبائل خمير (١) وهمية في تونس ارضاء لجمعية « فيري » وروتشيلد وشركاهم اعداؤنا واعداؤه اليوم ولكن نخشى ان ينقلبوا اصحابه في

(١) قبائل خمير هي على حدود تونس والفاصلة بينها وبين الجزائر وهي التى القت فرنسا فيها الدسائس والفتن فنتج عن ذلك ثورة اتخذتها ذريعة لاحتلال برية تونس الى اليوم « نجيب »

الفذ فاليهودي يرهب العسكري و يوقره لانه يعلم انه شجاع فرنسا الحقيقي يوم الزحام ولكنه يخدعه ويراوغه ويرميه بالحبائل في كل الامور٠ فعليه بان تكون مصائبه المتعددة مدرسة تجارب وتربية فيحذر الوقوع في مخالبه فتحسن عقبانا ونفوز بغرضنا المقصود

نفي اليهود

نعم لقد باءت فرنسا تحت وقر جور اليهود وأنّت تحت نير استعباد الاسرائيليين والمتنصرين لم لكن الدهر باهله قلّب ولكل شيء نهاية ٠ فقد طال استعباد اليهود لنا ووصل الى درجة قصوى يمكننا بعدها ان نتنبأ مع دريمون بقرب سقوط نفوذ اليهود وانكسار شوكتهم العظيمة ٠ فانه اذا ملّ الشعب من احتمال وطأتهم وشدة جورهم وانحنى تحت اعباء الفقر والفاقة ٠ واذا اصبح الجيش في ضيق من ضروب الاهانات والمذلة التي يكابدها في الداخل والخارج تميز الشعب والجيش حنقاً وثارا غيظاً وغضباً فمزقا حجاباً على عينيهما ونظرا ذات اليمين وذات الشمال ليريا من كان السبب في الضيق والشدة والفقر والمذلة ٠ واذا تاكدا بان ما اصل ذلك الا اليهودى وقفا وقفة الحائر المندهش متعجبين في كيف امكنهما ان يتحملا هذه المدة الطويلة نير عصابة من اليهود قضت مدة ثمانية عشر جيلا تجمع بين بصقات العالم وضربات نعاله ٠ وبعد ساعات الغضب الاولى التي يتمكنان في خلالها من استخلاص

استقلالهما المفقود وحريتهما وراحتهما المسلوبتين فبدل ان يشنأ الغارة على ثروة روتشيلد وزمرته ونفوذ العصابة اليهودية وقوتها اقتصرا من ذلك على الشروع في استرداد عمومي اجباري لكافة اموال الاسرائيليين المنتزفة من دماء الاهالي والحكومة فيتحصل كل منهما على نصيبه من النفع والفائدة. اما المشروع فعلى غاية من البساطة وهو كما ياتي

اذ تشهر فرنسا على اعدائها الحرب وتعلن بالحصار. تصدر الاوامر وتبعث الرسل الى الجهات في منع اي يهودي كان من مجاوزة الحدود. وبعد ان تتخذ الحكومة هذه الاحتياطات تشرع في ما ياتي

يفتتح مشروع الاسترداد بان تمحى كل اسماء اليهود من سجل الديون العمومية الذي يحنّ اليه روتشيلد ويعظم شانه لديه. والحاصل يكون اول مبلغ من اصل الاسترداد العام. يعين في كل بلاد الجمهورية مندوبون لاجراء تفتيش عام قانوني في البنوكه والبيوتات المالية وسجلاتها فيجعلون اسم الحكومة خلفاً لاسم اليهودي فيها فترثه في الديون والسلفات. يصدر امر مطلق بحجز ما يملكه يهود فرنسا ويهود الجزائر على السواء من العقارات والاثاث ويباع بالمزايدة بابخس الاثمان وبعد اتمام الاسترداد القانوني يعطى اليهود ثمانية ايام حرة لمبارحة الحدود الفرنساوية حيث يقام في النقط مامورون لتفتيش مهماتهم واشخاصهم بتنقيب واعتناء. اذ انه يمتنع بان يحمل الواحد منهم من النقود مبلغاً يتجاوز الالفي فرنك لكن مهماتهم تنقل مجاناً. وكل من لم يرحل منهم بعد الاجل المحدد يرسل الى التونكين حيث تعطى له الاراضي الواسعة والفيافى الممتدة ليتمتع بلذة الاستعمار في رمال تلك البلاد التى اضطرنا قومه الى امتلاكها ويحوّل

من ينفى الى تلك البلاد الحق باستجلاب من يريده من اليهود والمتنصرين لم بمجرد طلب رسمي ولكن على شرط ان يخضع كل آت للشروط نفسها واخيرًا تلقى ادارة اعمال هذا الاستعمار اليهودي التونكيني على عاتق «المسيو» جول فرّي وان تكون هذه المهمة برتب او مكافأة فلتكن اجبارية دائمة ويناط ربان باريس بشخصه الخصوصي

وكلٌّ يعلم ان مجموع ثروة اليهود في فرنسا لا تقل عن ثلاثين مليارًا من الفرنكات . فاذا حسبنا ان اليهود بمكرهم المعتاد ومهارتهم في ضروب الاحتيال والاختلاس يخفون عن اعيننا ثلث هذا المبلغ فهل يتامل القارئ فيما تكون نتيجة دخول عشرين مليارًا فجأةً على الخزينة الفرنسوية فان فرنسا تصبح في الحال اغنى دول العالم واوسعها ثروة. واذ تكن تخلصت من اليهود ومما يحدثونه في داخليتها من الارتباكات وانشقاق الاحزاب تحل فيها السعادة بعد ان بارحتها ويتمتع اهلها بطيب العيش بعد ان ذاقوا من مرارة شر اليهود وبلائهم ما احرمهم منه . فلا غش بعدها في الانتخابات ولا باقية لحزب المتنصرين . لا امتيازات في الحكومة والاحكام لا ولا خلل فيها . لا اثر لدولة الظلم والاغتصاب . لا ولا عين لحروب بعيدة لا معنى لها . ففي ذلك حلول دولة العدل وطلوع بدر السعادة . واي عمل لا تشرع به حكومتنا اذ ذاك لتشرك رعاياها بالغنيمة وتخولهم نصيبهم بالمنفعة . فاولها رفع كثير من الضرائب الفادحة عن عاتق الاهالي وتسهيل اسباب الارباح والرفاه لجماعة العمال فتتحسن احوال الزراعة وحالة العسكري والجيش . وبشر البلاد واهلها بعد ذلك بالوصول الى درجة من السعادة لم يعرفاها بعد . وان نظرنا الى الخارج نرى بان

طرد اليهود وابعادهم يعود بفائدة اخرى ادبية لا تقل اهمية لدينا عن الفائدة الاولى المادية . فكلنا يعلم بان اكثر اليهود جاؤنا من المانيا ولا يلبثون ان يرجعوا اليها اليوم اذا ابعدناهم وقطعنا دابرهم . ونعلم ايضاً ان دابهم التستر وراء راية الحرية والاستمساك بعرى الجمهورية ولهذا نراهم متزلفين لحزب المحافظين ليستعينوا بمبادي هذا الحزب المصممة على حماية تلك القوة التي نالوها في بثهم الافكار الحرة فلا بد اذا رجعوا الى المانيا ان يرجعوا الى مباديهم الحرة التي تخولهم النفوذ والقوة ولا يمضي ايام قلائل حتى يثيروا بهذه البلاد الملكية ثورة توقعها بالارتباك وخوار القوى كما اوقعت فرنسا من قبلها فلا تعود محلا للرهبة . وهكذا ينتقم لنا اليهود من واقعة سدان بغير ان نجرد سيفاً او نطلق مدفعاً (١) ومهما تكون واسطة الفرنسوي للخلاص من اسر اليهود وشرورهم فلا يفتك بعدوه كما هو جار في البلاد الاخرى لاتصافه بالحلم وعلوّ الهمة . ولكن يحتمل بانه اذ ياخذ الغضب والحدة منه حدهما في بادي بدء ينسي حلمه المشهور وزى اسرائيل وقد اضاف الى ماضيه مجموعاً جديداً من الاهانة وضربات الذمال اشتراه بظلمه واعتدائه الماضيين فيكون ذلك له مدرسة ولغيره عبرة . فلعل اليهود يعتبرون

(١) اعظم موقعة حصلت في حرب السبعين وعليها توقف انتصار المانيا على فرنسا .

اليهود في مصر

ان حضرة المؤلف قد ابدع واجاد في ذكر اعمال اليهود في مصر ولكنه التزم في بحثه ذكر الاشخاص الذين ينتصرون لهم و يخولونهم ذلك النفوذ من وطنيين واجانب والذين سرت اليهم العدوى فجاروا اليهود بالاعمال حتى فاقوهم . وقد سرد اعمالهم بالتفصيل مع ذكر الازمنة والامكنة والاشخاص . واني مع تأكدي حقيقة ما يقول اثرت عدم ذكر ذاك الفصل لان ذكره ينافي ما اقصده بتعريب هذا الكتاب الجليل . وذلك اولا لان حضرة المؤلف تصدى للطعن في اشخاص معروفين وهذا لا اميل اليه لا سيما وان اولئك الاشخاص هم من غير اليهود وان يكونوا من انصارهم . ثانياً لان ما اوعزه اليهم من الاعمال يتعلق بالحكومة المحلية ويمس بشرفها . فرأيت العدول عن ذكره اولى وابدلته بذكر ما اشاهده بنفسي من اعمال اليهود رأي العين وما يتأكده القارىء لدى بعض البحث والتامل . فارجو من حضرة المؤلف عفواً ومن قرائي الكرام عذراً . واقول

ينبئنا التاريخ بان مصر قد رزئت في الايام الخاليه بسبب اليهود بعشر ضربات عظيمة اوقعت بها المحن وانزلت بها المصائب والعبر . ولكن وجودهم فيها كان اشد تلك الضربات واعظم تلك المصائب . وهذه البلاد ما زالت منكودة الحظ مذ نزلوا فيها وانزلوا شرورهم . فتراهم ناقمين عليها

تكنّ صدورهم احقاداً وقلوبهم حزازات كان اليهود لم ينسوا بعد الى الان ما قاساه اباؤهم العبرانيون من الذل والاهانة ايام كانوا عبيداً للمصريين . فان ما وهبه الله لوادي النيل من حسن التربة والخصب الطبيعي واعتدال الهواء وماخُص به سكانه من رقة الجانب ولين العريكة وسلامة الاخلاق كان السبب الذي لاجله اصيب المصريون بجوار اليهود المشوم . لان تلك المحسنات التى وهبت لمصر واهلها رغبت هذا الشعب الطفيلي بحلول هذه البلاد الغناء وحببت اليه استثمار خيراتها . وقد تفاءل بلين المصريين على نوال بغيته و بلوغ قصده فاتاها اجداده حاملين اليها المصائب والعبر وما زالوا يتكاثرون ويعظم سوادهم كلما توالت الايام . ولما فارق العبرانيون هذه البلاد انقياداً لصوت نبيهم موسى حاملين غنى المصريين وذخائر خزائنهم بعد ان جلبوا على راسهم المصائب وابلوهم بالحداد بموت ابكارهم لم تبقَ مصر مرتاحة من جوارهم الا زمناً وجيزاً فقد رجعوا وارجعوا اليها نوايب جوارهم . ومن ذاك الحين اصبحت ميداناً واسعاً لاعمال اليهود فهم يسلبون وينهبون باي الطرق الاحتيالية ويعيثون في الارض فساداً والمصريون لاهون عنهم وساهون فكانوا عن تكدير صفاء العيش بعيدين ومن الخطر امنين .

فهذا الفلاح المصرى ينقلب بين الشقاء والعناء سعياً وراء احياء نفسه . والحكومة تسعى في تخفيف الاثقال عن عاتقه تصليحاً لحاله وتسهل له الوسائط رغبةً في اسعاده وهو لا يزداد الا تعساً ودائه الا انكساً بينما اليهود يتمتعون بالسيادة المطلقه والتصرف الحر

ومن المعلوم لدى القاصي والداني ان اليهود في مصر كما في جميع الجهات ارباب المال وخزائن ثروة البلاد . فكيف تحصلوا على تلك

الاموال وما الذي يمكنهم من ضبطها واحتكارها ؟ رأى القراء في " نفثة الخناس " بأن اليهود يعتبرون المال القوة الاولى في هذا العالم واصل السلطة والنفوذ ولا قوة غيرها تضمن لهم ما تطمح انظارهم اليه ·
وقد اصابوا فيما يظنون فجردوا انفسهم عن كل احساس شريف من شانه ان يرمي في قلبهم عزة النفس مثلاً او الرأفة بالفقير وتجردوا لسحب الاموال باي الطرق الاحتيالية كلّ على حسب ما يمكنه مركزه الدنيوي وحالته المركزية · فساروا جميعاً من كبير وصغير وغني وفقير ورجل وامرأة في ثنيات تلك الطريق · ولما لم يجد احدهم من نفسه لاعماله رادعاً ومن الاهالي والحكومة مانعاً مشوا الهوينا بيدهم سلاحان حسام المكر والدهاء ودرع الحرية الشخصية يضربون بالاول ويفتكون ويدرأون بالثاني ويحمون حتى وصل كل منهم المحجة واعلام النصر تخفق على راسه وحسام الغدر يقطر دماً في يده فكم ترك به مجندلا وقتيلا وكم سفك به دماً وهتك حرمةً حتى ملأ الجوانب بالعويل وابلى بالمصائب كل سفيل واصيل ·
ورب قائل بانك تكبر وتهلل وتغالى وتهوّل ولم نرَ منك توضيحاً ولا على كلامك بياناً · فمهلاً انني سارضيه بما يرغب واطلعه على ما يتطلع
لا يخفى ان اليهود تركوا الزراعة والفلاحة والبناء والخدمة وكل عمل يحتاج الى تعب وعناء واشتغلوا جميعاً بالاعمال المالية وهم في تلك الطريق انصرفوا فرقاً متفرّقة على حسب ما بيناه · فمنهم الصيارف والصياغ · " والبنكيريه " . والمحلات التجارية · ثم الجمعيات المالية العظيمة · فكان كل منهم ضربة على مصر تتفاوت في الضرر تفاوت تلك الدرجات

الضربة الصغرى

الصراف

اول ما يبدأ به الصراف تبديل النقود فان ابدل الذهب بفضة استقطع القرش او بالعكس اخذ القرش ايضاً . او الذهب بالذهب كالانكليزي بالفرنساوي مثلا اخذ عليها ربحاً . وقد توصل بدهائه الى سحب الذهب عن الجنيه بحيث لا يمكن تمييزه حتى صارت اغلب النقود الذهبية المتداولة ناقصة مسحوبة . وهذا يعرفه اليوم الكبير والصغير . ثم اذا اتاه احدهم بواحد من تلك الدنانير المسحوبة عرفه . وان نقص قمحة اخذه بنقص عشرين قرشاً او اكثر . اما هو فيدفعه كغيره من الجنيهات الى الجهلاء وان رجع اليه انكر انه منه . يدور هؤلاء الصيارف على مستخدمي الحكومة والدوائر فيدخلون عليهم بزي المحب الزائر او الصديق المنعم . فان راوا من احدهم انعطافاً والى قصلالهم انقياداً علموا انه صرف وتصرف بالمرتب واصبح في منتصف الشهر من المفلسين . فعرضوا عليه بضاعتهم الرائجة وهي الاصفر الرنان فيميل الموظف لحسنها ويلتهي بطلعتها عن النظر في عاقبتها . وتشغله لذة الحصول عليها عن حسبان الهاوية التي توصله اليها فيتساوى عنده اذ ذاك اخذ المائة بمائتين والجنيه بثلاثه لانه مشتاق الى طلعتها مضطر الى صلتها . لكن اذ ياتي اوان الدفع يستعظم الامر ويقع في حيص بيص ولكن يطمئن خاطره من حيث لا يرى من المرابي مطالبة ولا طلباً . او تساهلا وامتناعاً عن القبض . ويغرب عليه السم الكامن طي الدسم . فان غاية ما يتمناه اليهودي بقاء ذلك الدين اشهراً واعواماً

لتراكم المبالغ وتجسم القرض فهو في ثقة من الحصول عليه لسند في يده يرجع اليه . وهكذا يصبح الجنيه عشرة جنيهات والعشرة مائة . فيكشر اليهودي عند ذلك عن انياب كأنها السهام الحادة ويدفع المدين بها دفعاً مستمراً . وان الفى منه تاخيراً قاضاه وحجز على عقاره واثاثه او على مرتبه الشهري . وهنا يضطر المدين المسكين لعقد القرض بعد القرض ولا يزال هكذا تتنابه سهام الغدر ويكلمه سلاح العدوان حتى يقع بغير حراك وقد انتزفت دماه وخارت قواه . فحدث ولا حرج عن العواقب الممكن نزولها على راس المتكود الحظ من ضياع الوظيفة أو الاثاث والعقار او الافلاس وخراب الديار . واظن بانه لم يغرب بعد عن خاطر القراء ذاك المنشور الذي اصدرته الحكومة السنية بعدم الحجز على ماهيات المستخدمين اذ رات تعدد اعمال اليهود المغايرة وطمعهم في سلب المستخدمين وانتهاب حقوقهم . هذه بعض مكائد الصراف وحبائله لا يزال يوقع بها الغنائم ويصيد بها القنائص حتى تعظم ثروته وتتوفر لديه الوسائل فلا يقنع بالدريهمات القليلة بل تطمح انظاره الى ما وراء ذلك من الاعمال المالية العظيمة واحتكار الارباح الجسيمة فيصبح « بنكيرياً »

الضربة الكبرى

« البنكير »

اذا اصبح الصراف ذا ثروة واسعة تمكنه من توسيع دائرة اعماله

يترك تبديل النقود ولا يقتصر على تسليف المبالغ الواهية للمستخدمين بل يتجرد لشراء السندات القطعية والقضايا المالية الجسيمة ممن اضطرهم الحال الى بيع تلك السندات لضيق ذات اليد او لسد طلب معجل او تلك القضايا لعجزهم عن تادية المصاريف اللازمة واضطرارهم الى النقود فيشتري اليهودي منهم تلك السندات بنصف ثمنها والقضايا بربع ما تساوي وهو على كل حال في ثقة من الحصول عليها ولديه من الوسائط ما يضمن له استيفاء كامل قيمتها ... وهناك طريقة اخرى للنصب والسلب ابدعوا فيها بالاحتيال واجادوا في ضروب الخداع والاختلاس وهي انهم اشتروا اسهم الجمعيات المالية كالسويس وبناما والبنك العقاري في باريس ومصر وغيرها وفتحوا لها باب الاشتراك بهذه الطريقة . السهم الذي يساوي مثلا مائتين فرنك جعلوه بثلاثمائة يدفع المشترك ثمنها بالتقسيط عشرين فرنكاً عن كل شهر . ثم انتدبوا لتوزيع الاشتراكات سماسرة من اليهود ايضاً فانبثوا في المدن والقرى يزينون للناس الحصول على هذه الاسهم مغالينهم بالاماني الوهمية من الحصول على المبالغ الجسيمة اذا سحبت نمرة « اليانصيب » وساعدهم حسن الحظ . هذا مع ان المبلغ المفروض زهيد فضلا عن انه يفوز في الآخر بالسهم ويتمتع بفوائده ؛ وما شاكل ذلك من بروق الاماني . ثم انهم يعرضون على الطالب صورة الشروط واذ يراها مطابقة لما يسمعه من المحتال تسطع على عينيه بروق الاماني الخلب ويدفع المفروض عن الشهر الاول بعد التوقيع على الشروط . فان داوم المشترك الدفع الى النهاية دفعوا اليه السهم ماسوفاً عليه وقد ربحوا من ذلك بقدر ثمنه ؛ اي اولا المائة فرنك المضافة الى السهم

ثانياً فوايد الثلاثماية فرنك التي دفعها المشترك مدة الخمسة عشر شهراً
ثالثاً فوايد السهم مدة وجوده في ايديهم . اما اذا ربحت نمرة ذلك
السهم فتكون الغنيمة لا تحصر · من ماية الف فرنك مثلا واكثر او
اقل · وقد يظن البعض من بسطاء العقول انه اذا ربحت نمرة سهم احد
المشتركين فاز بالربح وحصل على المبلغ الذي تربحه تلك النمرة فهولاء
هم في ضلال مبين فان من ظن هذا آمن بوجود المستحيلات فاننا
لم نسمع الى اليوم بان احدهم ربحت نمرته الاّ رجل من اصدقائي وقد نقل
لي قصته بالحرف الواحد كما ياتي ·

اغراني احد اليهود على الاشتراك باحد اسهم سكة حديد تركيا فدفعت كافة
التقاسيط .وفزت اخيراً بالسهم وكنت انتظر اوقات سحب النمر الرابحة من وقت
الى آخر مع ان املي كان ضعيفاً بالربح فاطلع عليه في احدى الجرائد
الاجنبية · فبينما كنت اراجع النمر الرابحة يوماً على حسب عادتي استلفت
انظاري عدد الاحاد والعشرات من احدى النمر فقرات العدد بالتدقيق
واذ قابلته الى عدد نمرة سهمي وجدت الارقام واحدة فطرت من
فرحي وهرولت الى بنك س · في الاسكندرية لأفوز بالغنيمة الغير المنتظرة
وهي مبلغ مائة الف فرنك ربحته نمرتي فمثلت بحضرة المدير واريته
جريدة النمر ونمرة السهم وطلبت اليه ان يسلمني المبلغ الذي اصابني
فما كان من الخنّاس الا ان تغير لونه واضطربت حواسه ثم تنفس الصعداء
ونظر اليّ نظرة مكتشف وانا معلق بين شفتيه انتظر منه الحكم لي او
القضاء عليّ · اخيرا ضحك حتى استلقى على قفاه وقال لي يا للعجب
كيف باعوك السهم بعد ان اشتراه غيرك فهذا خطأ يجب ان لا يحصل

مرة اخرى فيكون السبب في تصديع سيد نظيرك فنطلب منك عذراً
عن هذا الخطأ . فلا ضربة حسام ولا الموت الزوآم كان اشد ضربة
عليّ من هذا الكلام فكان كصاعقة انقضت علي فلم تبقِ ولم تذر .
فشعرت ان الدم صعد الى راسي واضطربت جميع حواسي فكنت كمن
اصيب بخلل او جنون وكادت تحملني ثورة الدم على الفتك بهذا اللعين
لكنه تدارك الامر بقرع الجرس نخف اليه الموظفون والخدم فتمالكت
نفسي اذ ذاك وقلت للخبيث ان ما تقول غير معقول وما تاتى به غير
مقبول نخلّ عنك المحاوله والمراوغة وادفع اليّ نصيبي بلا تاخير لئلا
يحصل مالا ترغب . فاجابني ان كلامي هذا لصحيح فلا كذب ولا مين
وانني ساطلعك في الحال على ما تتاكد منه حقيقة الخبر وجلية الاثر .
ثم قام الى مخدع آخر واتاني منه بسجل غليظ واخذ يقلب في اوراقه
الى ان وقف عند واحدة منها فقال لي تعال وانظر فدنوت منه ونظرت
الى حيث وضع اصبعه فرايت نمرة السهم المعلومة مني وبجانبها تاريخ
البيع الذي يتقدم شرائي بثلاثة شهور ثم رأيت في آخر السطر اسم
المشتري فاذا به رجل يهودي اعرفه بصفة رجل خالي الاعمال يليق
بان يطلق عليه اسم نصاب . فلم يعد عندى شك بان الرجل قد كذب
ومان وان ما فعله تزوير و بهتان ولكن رايت من نفسي العجز عن مقاومة حيل
اليهود فرضخت لقضاء الله ولكني قلت للرجل . بما ان الامر كذلك
وقد بعتم السهم لغيري فردوا اليّ القيمة المدفوعة بدون تاخير فقال لي
حقاً ما تطلب والصواب ما تقول فانت مخير بين ان تقبض الثمن او
تاخذ سهماً آخر فقلت لا حاجة لي بسهمكم وكفاني الله شركم فدفع

لي الثمن باسماً وشيعني الى الباب محترماً وانا اتعجب من مكره واتعوذ من شره

هذا ما يفعله اصحاب البنوكه فيما اذا دفع المشترك التقاسيط الى النهاية وربحت ثمرته فان انباء الربح تاتيهم فوراً بعد السحب فيغيرون ويبدلون ويحورون ويزورون ولا يدعون لغيرهم سبيلا للربح. اما اذا تاخر المشترك عن دفع التقاسيط بعد ستة اشهر مثلا لعذر او سبب انذره البنك ببيع السهم بالثمن الحالي للحصول على باقي قيمة السهم ان لم يدفع التقاسيط . وان تاخر بعد هذا ايضاً عن الدفع اتاه اعلان عن بيع السهم مع قائمة الحساب يطالبه البنك فيها بدفع بقية ثمن السهم المفروض على المشترك اذ انه من البديهي ان تقاسيط ستة اشهر تقابل ما اضيف على السهم قيمة الفوائد فتصل وقاحة صاحب البنك الى هذا الحد مع انه هو المشتري وهو البائع والمتصرف . وكي لا يظن القارىء ان كلامي يداخله الغلو والمبالغه فتلك حادثة وقعت بها بنفسي مع احد هؤلاء الملاعين اذكرها تثبيتاً لكلامي وتفكهة للقراء

دخل عليّ ذات يوم يهودي حسن الزى يتابط محفظة لم اعلم انها لشر . فاحسن الادب وبعد السلام اخرج لي من جيبه ورقة زيارة علمت منها انه مندوب بنك اجيون وسوارس في الاسكندريه فسالته عن سبب زيارته لي فبسط محفظته وابرز لي منها اوراقاً مزوقة مزينة عليها صورة الشروط الآنفة الذكر وبعد ان قراتها اخذ يتملقني ويبين لي فوائد الاشتراك ويعللني بالامال وبعبارة اخرى يزين لي الشر . حتى ملأ قلبي املاً وقلت بارك الله فيها من صدفه ، فخيرني بين الاشتراك باحد اسهم

بنك باريس او غيره فاخترت بنك باريس وثمن سهمه خمسماية فرنك " ثمن البنك " ودفعت في الحال المقدم ٢٠ فرنكاً مع التوقيع على الشروط فكانت نمرة السهم ٦٢٦٨٧٦ . فثابرت على دفع العشرين فرنكاً ثمانية شهور و بعدها عرض لي ما اضطرني لمبارحة مصر زمناً فرايت الاوفق اذ ذاك استرداد المبلغ الذى دفعته حيث انه يتعسر عليّ مداومة الدفع وانا في الخارج فكتبت الى البنك اطلب استرداد المأية والستين فرنك المدفوعه مع قيمة الفائدة عن ثمانية شهور كما هو مذكور في شروط الاشتراك " اضغاث احلام " . وفي ثاني الايام اتاني الجواب عن كتابي فرايت فيه هذه الكلمات " وصلنا كتابك وعملنا باشارتك فبعنا السهم بثلاثماية فرنك ثمنه الحالي يضاف عليها ١٦٠ فرنك وصلتنا منك بالتقسيط يبقى عليك اربعون فرنكاً نرجوك ان تدفعها في الحال لمندوب البنك في مصر " فظننت نفسي في منام او تلك اضغاث احلام ولكن لم ألبث حتى انتبهت من غفلتي وتبينت لى الحقيقة بلباسها الواضح فلطمت على راسي وصفعت نفسي وصحت يا لضيعة المال وخيبة الامال ثم قلت هذا ما كان يحذرني منه ابي فلا حول ولا قوة الا بالله . فوحقك ايها القاريء الكريم لم يزل بي اليهودى حتى اخذ مني الاربعين الباقية واتبعها بالماضية فسرق مني عشر ليرات وانا اشاهده وانظر اليه

فكيف لا يصبح اليهود اغنياء ما دامت هذه اعمالهم وكيف لا يحتكرون الاموال والاحتيال دأبهم والخداع سلاحهم . فالويل ثم الويل لمن وقع في حبايل اليهود واصطيد بفخهم فتحل به العبر ويصبح عبرة لمن اعتبر

ولعل القارىء يظن بان اصحاب البنوكه من اليهود اشتغلوا بهذه الاعمال

عن الدين بالربا فقد اخطأ بظنه وحاد عن الحقيقة بفكره فان الربا موردهم العظيم ووسيلتهم الكبرى . لا غنى لهم عنه ولا حول منه . فانهم بينما هم مشتغلون بالنصب واستنباط ضروب الاحتيال تنبث سماسرتهم في القرى وبلاد الارياف في ايام معلومة من السنة حاملين الاموال يسلفونها الى فلاح اضنكه القحط او ضيق ذات اليد فياخذها لسداد ضريبة او وفاء دين المائة بمائتين والالف بالفين وهو غافل عن عاقبة ذلك فرح بقضاء حاجته حتى اذا ستحق الدين وعجز المنكود الحظ عن السداد يقع في البلاء العظيم فيستخلص اليهودى ارضه مقابل المال او يبقيه الى السنة التالية او التي بعدها فيصبح الربى عشرة اضعاف الاصل فتدور عليه الدوائر ويمنى بالخراب . واذ ينتهي المحتالون من نصب شباكهم في الضواحي يشنون الغارة على ثروة الامراء والاعيان ولا يرجعون الا بالغنائم والمكاسب . والذى يفعله هولاء انهم يلجون بيوت الذوات والاكابر والاخلاص مدخلهم والمذلة وسيلتهم . فمن خدع بحلاوة كلامهم ذاق مرارة شرهم . ومن اغتر بدسمهم مات بسمهم فقد علق بالفخ واصبح فريسة لاسرائيل . لانه اذ يدفعه المرابي بالمطالبة يضطر لوفاء الدين وفايدته التى هي ضعفيه فيقرع لذلك باباً آخر وهكذا يبقى المنكود الحظ مدفوعاً تطرده الكلاب حتى يصل الفخ ويطبق عليه فتحجز املاكه وينتف ريشه . وقد بلغت قحة هولاء المرابين الى حد انهم يسلفون اولاد الذوات والاكابر اموالا لاجل غير محدود وحدّه وفاة ابائهم واستيلائهم على الميراث فكم من جاهل منغمس في الملاهي والملذات يزجره والده ويمنع عنه المال تاديباً له وابعادا لنفسه عن الفساد فيضطره لحظ فاتنة او دلال غانية ان يقرع ابواب احد

اليهود فيرمي هذا الشبكة قائلا بارك فيها « يا جيوفاه » فتطق بذلك المتهافت على الوقوع فيها فياخذ المال مقابل وريقــة مسودة لا قيمة لها لديه ويظن الجاهل انه قد فاز بغنيمة باردة اذ يرى الدين لا يطالب منه الا بعد خمس من السنين او عشرة وان يكن المبلغ بعشرة اضعافه فيقول في نفسه : تمتع الان « يا بك » وتنعم وغازل الغزلان وتعاطى معهن بنت الحان

خذ فرصة اللذات قبل فواتها وإذا دعتك الى المدام فواتها

فمن يضمن لك ان تعيش عشر سنوات وان عشت فما الذي يضرك ان وفيت هذا الكريم الانفي جنيه وبقي لديك عشرة او الخمسة آلاف وعندك عشرون. فانه متعك بماله اذ منعك منه والدك وجعلك في رفاهٍ ونعمةٍ اذ حجر عليك ابوك هذا مع انه سيصبر عليك عشر سنوات «يا سلام والله انه راجل طيب » عشر سنوات ! هكذا تكون الكرام والا فلا . ولا ينتبه الجاهل من غفلته ويستفيق من سكرته الا بعد ان ينتقل الاب المشفق الى دار البقاء وهو مرتاح البال على المال الذي جمعه والكنز الذي ذخره حباً براحة ولده العاق غير عالم بما قدره الله فكان. فيرجع الغافل الى نفسه ويرى ان ما ورثه من والده لا يكاد يكفي لوفاء دين ذلك المنعم ... بعد ان كان لا يذكر بجانبه فيندم ولا ينفعه الندم ويستغيث ولا من مغيث . ويستمد الاعانة . ومن يعين ؟ فهو الرامي بنفسه الى التهلكة وهو الباحث عن حتفه بظلفه . ثم يلتفت الوراء علّه يجد باباً للفرار فيرى اليهودي مكشراً عن انيابه مظهراً نواجذه ويعلم ان التهلكة

ورائه وامامه ولا مناص من الوقوع فيها فييأس من الحياة . ومن هذا القبيل ما جرى اخيراً بالبك ر. نجل المرحوم ش . باشا. فانه كان قد استدان في حياة والده المرحوم بعض مئات من الجنيهات من ب. اليهودي ولما توفي كان نصيب البك المذكور من الارث ٢٠٠ فدان من احسن اراضي مديرية الشرقية فقام عند ذلك المرابي اللعين ب . وابرز سندات بمبلغ ٨٠٠٠ جنيه لم ياخذ منها البك المذكور الا بعض مئات كما ذكرنا وحدث نفسه باستخلاص الارض المذكورة مقابل ذلك المبلغ وكاد ينجح في مشروعه هذا لو لم ينهض ع . بك شقيق المدين ويطلب الارض بحقوق الشفعة لان الارض ملك العائلة ولا يسمح بانتقالها الى يد اجنبية اما الثمانية الاف جنيه فانه سيدفعها عند الحكم له بالشفعة ولم تزل القضية معلقة في محكمة مصر المختلطة . فاعتبروا يا اولي الالباب

ولارباب البنوكة طريقة اخرى لاحتكار الاموال وهي المضاربة وتجارة القراطيس المالية . فعند حدوث اي تغيير او انقلاب سياسي او اداري يترتب عليه ارتفاع الاسعار او هبوطها تنقل اليهم انباؤها على اجنحة البرق اتية من نحو روتشيلد مفتاحها ومحط رحالها فتسير اعمالهم وهم بعواقبها عالمون . فان هبطت او ارتفعت فهم وحدهم الرابحون

الضربة اللطيفة

الامرأة

بينما يشتغل اليهودي بسلب الرجال مهتماً بانتزاف ثروة الكبراء واسقاطهم

الى الحضيض تقوم الامرأة بدورها ايضاً فتلج بيوت الاميرات وتدخل خلف السجوف على ربات الحجال حاملة من الحلي ونفيس المنسوجات ما يخلب سيداتنا ربات الدلال فيملن الى اقتناء هذه المزينات. وتسوّل لهنّ النفس التبرّج بتلك المحسنات. لا سيما اذ يرين تساهل الدلالة المحتالة الى حد ان لا تطلب عن ذلك ثمناً معجلاً لتلك النفائس ولا يكلفهنّ ذلك الا التوقيع على ورقة بيضاء. فتغرهنّ رغبة الامتلاك ويشغلهنّ حب الزينة عن النظر بما يعقب تلك الحلاوة من مرارة الغدر فتعلق بالفخ وتصاب بالخسران لان المحتالة تخرج فرحة متهللة رافعة راية النصر البيضاء ... فتدفعها الى زوجها يملأها كتابة ويصفها ارقاماً. ثم يطالب بالمال فيطلب عن الواحد مائة او عن المائة الفاً [١] فاما ان يصعب وفاء ذلك الدين على السيدة او ذويها او ان يضطر المديون لدفع الدين حفظاً لناموسه ومحافظة على اسمه فان كان الثاني فاز زوج اليهودية بالمال وكانت الكرة مباركة وان كان الاول كان المصاب عظيم والداهية ادهى فان نفس

(١) ولم اغال قط في قولي ان اليهود يجعلون العشرة مائة والمائة الفاً فانني اطلعت بنفسي على قائمتين من هذا النوع كل منهما بقيمه خمسة الاف جنيه وذلك ثمن بعض منسوجات وحليّ لا تتجاوز قيمتها المائتي جنيه. وما هو افظع من هذا انني رايت قائمة بمبلغ ثلاثة الاف جنيه قيمة ملابس داخلية من اقمصة وغيرها موردة في مدة تقل عن السنة وانني اعرف حق المعرفة ذاك اليهودى ك. وامرانه المشهورين الآن بهذه الاعمال. فقد اتيا هذه البلاد من مدة وجيزة في حالة من الفقر غريبة. واني لا اعلم كيف تحصلت مدامك. على المبلغ الاول ... حتى بدات بالعمل ولكن الذي اعلمه واتحققه انهما يملكان الان للبالغ الجسيمة وعلى الخصوص ذاك القصر المشيد في جهة « درب البرابره » الذي تحصلا عليه من احدى الاميرات بالطريقة التى ذكرناها.

اليهودي توسوس له الحجز على العقار واستخلاص الغيط والدار ومع ذلك فانه يتساهل مع المديون الى حد انه يقلب السند بالربا الى السنة التالية فيعظم المبلغ او ان يحدث قرضاً آخر بالربا لوفاء الدين فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار من السقوط على الشفا ومن الافلاس على الوشك

تلك بعض اعمال اليهود ذكرتها عبرةً للغافلين وتذكرةً لاولي الالباب ولولا خوف الاطالة لخضت اكثر من هذا في هذا البحر العجاج واتيت القاري منه بالفوائد الجمة. ولكن اكتفي من اعمال اليهود هنا على الالماع اليها ومن تعداد مآثرهم على التلميح عليها

ورب قائل بكيف يكون لليهود تلك القوة ومن الذي يرجعون اليه عند الشدة فيشد ازرهم ويدرأ عنهم فاقول. ان اليهود استمالوا اليهم حزباً من اعاظم الرجال واصحاب الكلمة النافذة فجعلوه من صبغة الحزب الاوبورتينستي في فرنسا والقابض على ازمة الاحكام فيها واصبحوا يستخدمونه في قضاء اغراضهم الذاتية ويستعيرون ما له من النفوذ لاتمام المشروعات المهمة. وحدث ولا حرج عما يفعلونه من الخيانات وفظيع الاعمال ولذلك يستوي عندهم سلب الاهالي ونهب الحكومة فهم من العواقب امنون. واقوى من يساعدهم على تلك الاعمال ويخولهم ذلك النفوذ هم وكلاء فرنسا في مصر فان السواد الاعظم من اليهود قد اكتسبوا التبعة الفرنسوية واستمالوا اليهم القناصل المتعاقبة بواسطة يهود فرنسا الاقوياء فسنروهم بالاعمال ونسبوا اليهم كلما يقترفونه من الذنوب. فلا عجب ان رأينا فرنسا وقد ثُلم اسمها وضيعت نفوذها الاول ما دام كاهلها مثقل باعمال اسرائيل. فلو سُلم احد اليهود او من لاذ بهم لايدي الحكام لعبثه بقيود اي

لحقوق العمومية او الخصوصية تمداخلة وكيل الجمهورية تضع حدا لتلك لدعوى وتجعل الجانى في امن من العقاب. اما اذا جنى احد « الجويم » ضد « ابناء شعب الله المصطفى ... » فيصب البلاء النازل على راس ذلك الذى حمله نكد الطالع على العبث بحقوق اليهودي . فاليهود وحدهم ان قالوا فعلوا وان طلبوا فازوا في حالتي الحق والباطل . وهذا الامر قد اوقع النفور في قلب من عرف هذا من عقلاء المصريين وذوي الغيرة الوطنية منهم فراوا انفسهم قبالة دولتين انكلترا بحكمها وتحكمها وفرنسا بانتصارها لليهود مخيرين بين سلطتين كل منهما تنوي العبث بصالحهم وتطمح انظارها الى الاستيلاء عليهم غير ان الواحدة مستولية ظاهرة والاخرى خفية خادعة محتالة . فلم يترددوا في اختيار اخف الضررين واهون الشرين فالقوا بانفسهم بين ايدي الانكليز مستجيرين من شر اعمال اسرائيل يبتغون من مخالبه خلاصاً . نعم انهم يندبون استقلالهم المفقود ويبكون حريتهم المسلوبة ولكنهم اذ وجدوا في حماية الانكليز رعاية ورفقاً ولو في الظاهر وفي اليهود سهاماً حادّة ومخالباً للغتاف مستعدة ارتدوا الى الوراء مذعورين ورجعوا الى الانكليز خاضعين ولسان حالهم يقول .. يا ويلنا ان ابتعد الانكليز عنا وارتحل الجراد الاحمر عن منازلنا فان ذلك يوقعنا بايدي الفرنسويين آلة اليهود القوية وسندهم المكين فينتزف هولاء دمائنا في حمايتهم وينتهبون اموالنا في ظلهم والحق ما يقولون والصواب ما يفتكرون

فبينما المصري في تردد واقبال ينفر عن الانكليز لتغرضهم واستئثارهم بالسلطة ويخشى ان تمزقه انياب اليهود الغادرين واليهود في سلب ونهب تسنى للانكليز

الفرص فيدخلون الاصبع بعد الاصبع وتاخذ شوكتهم بالازدياد ونفوذهم بالتمكن. ويرى اليهود ان الدولة المحتلة تتصرف في مصر " ملكهم الدائم القديم " تصرف الفاتح المالك تقلد رجالها مناصبها العالية وتغترف من خزائنها بغير حساب فيشق ذلك عليهم لزعمهم ان دفع اليهود عن الخزائن المصرية والحل محلهم يعد عبثاً في صوالحهم واغتصاباً لحقوقهم. فكأنهم من اليهود يسرقون واي القوتين يا ترى تفوز بار بها المقصود وغايتها القصوى ؟ اترك الحكم بهذه القضية للمستقبل فانه يلد العجب العجاب. وقبل ان انتقل من بحثي هذا الى غيره ارجو عفواً من القاريء ان وقفت وقفة النادب على سعادة هذه البلاد الطيبة والآسف للحالة التي اوصلتها اليها سياسة فرنسا التي بدل ان توقف مالها من النفوذ في سبيل انتشالها من وهدة الفاقة وتحكم الانكليز وتسلطهم استعملته في اعلاء شان اليهود ومساعدتهم على اعمالهم القبيحة. ويا ليت فرنسا اعتبرت بثقة المصريين بها واعتمادهم عليها في خلع نير الظالمين فتجعل نفسها اهلاً لتلك الثقة ومحلاً لذاك الاعتماد فتحقق ما طالما تدعيه من الرغبة في اصلاح حال المصري والغيرة على صوالحه فان انفع امر للبلاد اسهل الامور لديها وهو تخليص البلاد من هولاء الطفيليين الذين سعوا بارض مصر بالفساد واوقعوها بالارتباك فتامن الغدر والاستبداد وترجع اليها سعادتها المفقودة واستقلالها المسلوب

ارض الميعاد

لا يخفى ان بلاد سوريا وفلسطين هي الارض التي وُهبت لشعب الله المصطفى شعب ابرهيم وموسى فكانت سكنه قبل ان يخرج منها ويرحل الى مصر عنها ووُعد بها عند خروجه من ارض مصر حتى دخل بعد التيه اليها . فيها قامت عروش ملوكه وفيها مضت ايام عزه ومجده . فيها منشأ انبيائه ورثات عظامهم ومقام ابائه واجداده . فيها ملك داود وعزّه ومهبط اسرار حكمة سليمان ومجده . فكم اخضع اليهود فيها من ملك وكم اذلوا من شعب . وكان يخولهم الله النصر على كل امم البسيطة الى ان اغضبوا الله ونبذوا جميله فزجرهم وادبهم وقال لهم . يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين . لعلهم عن غيهم يرتدعون وعن ضلالهم يرتجعون . فعجزت عن كبح جماحهم المعجزات وقصرت دون اقناعهم البينات فزادوا في ضلالهم واعظموا في عصيانهم حتى اصابهم عقاب لله العادل ونقمة الله الصارمة . فقهرتهم الشعوب وتنازعت ملكوهم الامم . وضُربت عليهم الذلةُ والمسكنةُ وباءوا بغضبٍ من الله .

ولما تفرقوا وتاهوا في المسكونة واختلطوا باممها وشعوبها تركوا اكثر

نواميسهم وجل معتقداتهم فخاف روساؤهم من انتقاض شعب الله المقدس ولم يجدوا واسطة لحصر نسلهم وابقائهم على دينهم ومعتقدهم سوى تعاليل الحزم وتعليلهم ببروق الاماني . فزعموا ان عروش محمد . اسرائيل لم تدك وسطوته لم تسقط الا واراد الله اختبارا بنائه وتمرينهم بالذلة والمسكنة ولكن ان بقيوا محافظين على الدين القويم دين موسى وابرهيم مع انه اطلق لهم العنان وسهل لهم وسائط النجاح بعدهم الله بامتلاك الارض كما امتلكوها قبلا والرجوع الى الارض المقدسة ارض اجدادهم ومسقط راس ابائهم وستكون اورشليم عرش ملكه وبابل مصدر سلطته . فاضافوا الى كلام الله وكذبوا . فبدّل الذين ظلموا قولا غير الذي قيل لهم . فويلٌ للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله .

وقد استولت هذه الاوهام على عقول اليهود الاقدمين والحديثين وتمكنت من قلوبهم وثاقا فكانت لهم تثبيتاً في الاجتهاد وتقويةً على احتمال المذلة والاحتقار . وتراهم يعدون الدقائق بانتظار تلك الساعة السعيدة التي تعود فيها اليهم اورشليم والارض المقدسة . مدفن ابائهم ورميم مجدهم

وبالحقيقة ان تلك الاراضي والاطلال التي اخنت عليها الايام ولعبت بها ايدي الاقفار قد حفظت جناها او رجعت بكرًا لا تلبث ان تأتي بجليل النتاج . ففيها من الانهار المندفقة والعيون المنبثقة والسواقي الجارية ما لم يوهب لارض غيرها . ويومل اليهود ان يرجعوا اليها عظماء بسطوتهم سعداء بثروتهم . ولو اتفقوا عليها بعض اموالهم وصرفوا فيها بعض العمل والعناء لاصبحت جنة عدن كما كانتها قبلاً . واقيمت

تلك الانقاض وشيدت تلك الرمم بقية ما غرب عن اطلالها من التمدن القديم ولا يلبث ان يرجع اليها مجدها الاول وعزها الرفيع وتمسي ملكاً مزهراً ليهوذا وعرشاً زاهياً لاسرائيل . ففيها اورشليم وبابل وفيها صور وصيدا وتدمر وبعلبك والشام دفائن عروش الملوك ومصادر عظم الشرق . وعلى ذلك لا يلام اليهود ان طمحت انظارهم الى امتلاكها واقامة عرش ملكهم فيها ولكن الويل لنا ان تحققت امالهم ونجحت مساعيهم . ولا يخفى ايضاً ان اليهود لا يعترفون جهاراً بهذه الغاية بل انهم ينكرونها عند اللزوم ولكن كفى باعمالهم شهيدا عليها واقوى دليل اليها . ففضلاً عن ان ديانتهم تشير لتلك البلاد كالى وطن مقدس محفوظ لهم عليه حقوق مقدسة وارض ممتازة عن غيرها من الاراضي التي سيمتلكونها فان اعمالهم التي جعلوها مقدمة لامتلاك تلك البلاد تثبت ان تلك الاوهام اصبحت حقائقاً غريزية في عقول كبار اليهود وصغارهم وتوارثها الخلف عن السلف حتى ان كثيرين من اليهود الميسورين اذا اشعروا بقرب اجلهم رحلوا الى الارض الموعودة كي لا يُحرموا من امتلاك شبر فيها وتضم عظامهم الى رفات اجدادهم ورؤساء اسباط شعبهم . ومن اعظم الشواهد والدلائل على رسوخ هذه الاماني في عقول اليهود تلك العبارة التي يرددونها في كل اجتماع يهودي في العالم اجمع وهي « العام الاتي في اورشليم » وتقال هذه العبارة عند الوداع والافتراق وعلى الخصوص في الاعياد والمواسم

وهذه الجملة المعناة التي رددها اليهود الاجيال العديدة قد يُظن بانها صبحت من العبارات العادية التي لا يحفل بمعناها . ولكن نخشي ان يكون

ذلك الاعتقاد وذلك الادل على وشك التحقيق اليوم اذا تأملنا في اعمالهم في هذه البلاد والوسائل التي تختلف كل الاختلاف عما سواها في كل جهات العالم وذلك الاجتهاد والعمل اللذين لم نعرفهما في طبيعة اليهودي منذ نشأ حتى الآن ومن المعلوم بان اليهود في فرنسا اعظم اليهود قوة واشدهم نفوذاً وهم والحق يقال المتصرفون في فرنسا والحاكمون بالارواح والاشباح . ولما كانت الحكومة بيدهم آلة صماء يديرونها كيف يشاءون وان فرنسا هذه في أول الدول ذوات الصوت الاقوى والكلمة النافذة في سوريا وفلسطين ولها فيها اثار وحقوق لم يروا وظيفة لها انفع من استعمال نفوذها في تلك البلاد لتحقيق امانيهم وابراز قصدهم من حيز الفكر الى حيز القوة.

واول شيء فعلوه ادخال معظم يهود تلك البلاد تحت العلم الفرنسوي وشد ازرهم بحماية الجمهورية . ثم ان اغنياء اليهود عقدوا الخناصر والفوا في ظل فرنسا جمعية سموها بالاتحاد الاسرائيلي واوقفوا لها الاموال الطائلة والايرادات العظيمة حتى اصبحت ثروتها تضاهي ثروة احدى الدول . وما القصد من انشاء تلك الجمعية العظيمة وما هي اعمالها ؟

لا شك ان كلاً من القراء ادرك غايتها وفهم بعد ما قدمناه مكنون نواياها الا وهي تسهيل وسائل الاستعمار لجماعة اسرائيل في البلاد المقدسة حتى تهرع اليها الوفود منهم فيعملون بارضها ويشيدون فيها المدن والقصور حتى يكثر العنصر اليهودي فيها وتصبح اذا ازف زمن السعادة لائقة لان تكون عرشاً لاسرائيل وحاضرة ملكه . فبذلت هذه الجمعية الاموال الطائلة لشراء الاراضي والعقارات في كل جهات الاراضي المقدسة وخصصت المبالغ

الجسيمة لكل يهودي طلب المهاجرة اليها و يكفي ذلك الطالب ان يظهر لها رغبته في الرحيل لارض ابائه فتغمره بالانعام وتعين له مبلغاً من المال للسفر وداراً هناك يسكنها وارضاً يعمل فيها على شرط ان لا يبارحها بعد الدخول اليها

وقد نجح مشروع الاتحاد الاسرائيلي هذا نجاحاً بيناً فتسابقت فقراء اليهود في طلب الاستعمار الى ارض فلسطين وعلى الخصوص العرب منهم من شمالي افريقيا حتى تكاثروا فيها وعظم عددهم · ولكن ظهر لجمعية الاتحاد بعد قليل بانه لا ينتظر من رعاع اليهود وعربهم المتوحشين عمران تلك البلاد وتمدنها وعلى الخصوص لما اتصف به اليهود من الكسل وكراهة العمل الامر الذي لاجله يستحيل عليهم القيام باحتياجاتهم الضرورية في غير البلاد الغنية المأهولة حيث انهم جميعاً يشتغلون بالربى والاختلاس · فوجب على جمعية الاتحاد اذاً ان تضيف الى اولئك المهاجرين بعض اليهود المتعلمين الذين تهذبت اخلاقهم بالاحتكاك مع الامم الاوربية فكانت الصعوبة اذ ذاك شديدة حيث ان الامر اضطرهم الى تخصيص المبالغ التي لاتحصر لاقناع بعض يهود اوروبا على سكنى تلك البلاد القفرة ثم لحصرهم في تلك الارض كي ياتي منهم نسلا يألفها ويخصص في المستقبل لتشييد مملكة اسرائيل العتيدة ولما علمت جمعية الاتحاد الاسرائيلي بانه لا يقوم لليهود قائمة ما لم يكونوا في حالة يمكنهم فيها القيام باودهم وسد جميع احتياجاتهم بغير احتياجهم الى الغير فقد استجلبت جماعة من المزارعين والبنائين واصحاب الصنائع المختلفة ووضعتهم في نقط ارض فلسطين التي اشترتها فشادوا فيها قصوراً على الطرق الاوربي وعمارات

عصبة الجوانب وبهذه دعت اليها اليهود القليلي الثروة من اوروبا ولم تلبث
رض الميعاد ان ضاقت بالوافدين والابنية فاضافوا اليها غيرها ثم غيرها
يهي سائرة بالعمران من يوم الى يوم. واعظم العمارات التي انشأها اليهود
في فلسطين عمارة «ميكوه - اسرائيل» بالقرب من مدينة يافا فهي
كثرها سكاناً واعظمها شأناً . ثم عمارة «ريشون» واعضاؤها بعضهم
من يهود فرنسا واغلبهم من يهود المانيا وموقعها بين القدس ويافا . ومع
ان اليهود الساكنين فيها هم روسيون فانها ترجع بالادارة الى عمارة
ميكوه اسرئيل اما المدير العام للعمارتين فهو المسيو هيرش وتحت
سلطته في ميكوه اسرائيل . وقد كفى كون هيرش هذا فرنسوياً لادخال
جميع هولاء الغرباء من المانيين وروسيين و بولونيين تحت ظل العلم الفرنسوي
وهم لا يعرفون من اللغة الفرنسوية غير اسمها (١) ولما تكاثر
عدد مهاجري اليهود في فلسطين وتعاظم امرهم ادرك الجناب السلطاني
غايتهم وعلم عظم الخطر الذي يتهدد تلك البلاد ان اهمل امرهم
فاراد تلافي الامر قبل تفاقم الداء ورأى الاوفق وضع حد لتكاثر العنصر
اليهودى في البلاد المقدسة فاصدر امره الشاهاني في سنة ١٨٨٣
بمنع كل يهودي من امتلاك عقار او بناء بيت في فلسطين . ولكن قد

---

(١) لا يمضي زمن الا ونرى يهود الدنيا قد أدخلوا في الحماية الفرنسوية
ولا يمكن احدى الدول ان تحرك ساكناً لتغسل الارض من دنس هذه الامة
الخبيثة حتى تقوم فرنسا اليهودية منتصرة مهددة بحشد الجيوش وتجهيز العساكر
للذب عن اليهود.

أهمل العمل بهذه الاوامر بالنظر لتداخل وكيل فرنسا وحكومتها كلما اهتم حكام تلك البلاد بتنفيذ ارادة مولاهم · وكيف يسمح روتشيلد بمنع امتداد السلطة اليهودية ونمو العنصر اليهودي في البلاد المقدسة مرقد موسى وابراهيم وفرنسا ذات السلطة والنفوذ ؟ انه لا يقبل بذلك وفي فرنسا نافخ نار · اقول هذا وانا على يقين ان الفرنسويين لا يضنون باموالهم ورجالهم ولا يتوقفون عن محاربة امم الدنيا اذا علموا ان بذلك ارتحال اليهود عن بلادهم والراحة من شرورهم · ولكن لسوء حظهم لا نرى القليل من يهودهم يرحلون عنها بل يهرع اليهود من كل الامم الاخرى وينتسبون اليها · والسبب ان يهود فرنسا يرون انفسهم فيها متمتعين برغد العيش راتعين بظل الحكومة الوارف متنعمين بخيرات البلاد وانعامها آمنين من كل خطر وسوء عاقبة · فكيف يدخل اليهود الى بلاد هذه حالتها ويرضون بعدها بالخروج منها · فلقد حتم على فرنسا بجوارهم وقضي عليها بملامستهم . فيا لمصيبتها من شرورهم وسوء عقباها وذل مصيرها من غدرهم لا سيما وهم فيها الحاكمون المتصرفون الناقمون المنتقمون المفسدون

وقد انشأت جمعية الاتحاد الاسرائيلي في عمارة ميكوه المذكورة مخازن وحوانيت ومدارس لتجعل بين المستعمرين الاتفاق ويشب من ابنائهم نسل واحد يخطو الخطوة الاولى في رفع رمم اسرائيل · وهي تستخدم في جميع اعمالها الشاقة المتعبة عربان تلك الجهات بقليل الاجرة فعملوا بنشاطهم المشهور حتى غادروها بهجة لمن رآها وقد ابتدأت ايام راحتها بالبزوغ وشمس سعادتها بالشروق · ولكن لو بلغ تحسنها وتقدمها الدرجة

القصوى فهل تاتي ببعض فوايد ما استغرقته من الاكلاف وما لم يزل يصرف فيها من الاموال ؟ ان الربح والخسارة لدى جمعية الاتحاد الاسرائيلي سيان لانها لم تقصد بعملها تجارة او ربحاً وانما ذلك عمل سياسي باشرته يترتب عليه مجدها ومستقبل سعادة امتها فهي لن تؤخر رجلا بعد ان قدمتها ولو انفقت في سبيل ذلك نصف ثروتها . فكل يهودي الماني او روسي او عربي او اسباني اتاها طالباً ارسلته الى ريشون او غيرها من العمارات المتعلقة بيكوه اسرائيل وهناك يعطى له الحقل والارض ويبني له المنزل ان لم يوجد محل خال وكلما يلزمه من البذار والخيول والبقر والآلات الزراعيه يقدم له من غير طلب ولا يطلب منه غير مباشرة العمل وكل ما ذكر هو ملكه على شرط ان تعمر به الارض ويستغلها وان تعسر عليه عمل ما لجهله الزراعة فلديه اساتذة ماهرون بعلم زراعة الحقول والكروم والرياض انتدبتهم الجمعية لهذا القصد

يظهر للقاريء من كل هذا بان جمعية الاتحاد لم تترك واسطة في حيز الامكان الا واستعملتها لتسهل على اليهود العمل وتحبب اليهم الاشتغال فلم يبقَ عليهم اذاً الا مقاساة بعض العناء بانتظار تلك السعادة الموعودة . ولكن ما كانت نتيجة اجتهادها هذه وما لاقت جزاء اعمالها بعد بذل الجهد والمال ؟ . من البديهي انه لو ندبنا افراد اي امة من امم الشرق والغرب لتاسيس العمارات وتشييد المدن وقدمنا لهم بعض ما قدمته جمعية الاتحاد من التسهيلات بالمساعدات لراينا المهاجرين قد هرعوا اليها فرادى وافواجاً واسجت

تلك البلاد في قليل الايام جنة فيحاء وروضة غناء لا يصدق من رآها بانها كانت في الزمن الماضي ارضاً مقفرة وجبالا موعرة وبعد قليل من السنين يصبح المستعمرون فيها في حالة الرخاء والرغد ان لم نقل في درجة الغنى والثروة . ولكن كل يعلم ان العمل على الاطلاق ولا سيما الفلاحة هما مع اميال اليهود الطبيعية واستعدادهم الشخصي على طرفي نقيض فهل يرجى منهم بعد ذلك نجاحاً وينتظر لعملهم فلاحاً ؟ ان هذا النزر القليل الذي فارق بلاده رغبة في زيارة الارض المقدسة وسكنى بلاد اجداده وذلك لحاجة في النفس ووهم ربي وشب عليه قد ندم الآن على مفارقته البلاد المتمدنة التى كان يعيش فيها بالرغد ويتنعم بخيراتها بغير عناء ولا تعب . واصبح يسائل نفسه في كيف رضي بابدال النعيم بالجحيم والروضة بالقفر والراحة بالتعب والغنى بالفقر . واوصله جبنه وسوء سريرته الى الظن بان جمعية الاتحاد قد دعته الى شراك نصبته له او فخ رامت ايقاعه فيه فساقه تغفله واغتراره بالامال الى وخامة العاقبة وسوء المآل .

وما خلا عمارة ميكوه - اسرائيل التى تستعمل العربان في اشغالها المتعبة المشقة كما ذكرنا فان جميع العمارات التى انشاتها جمعية الاتحاد الاسرائيلي قد سارت اعمالها بالتاخر واصبح لها منظر كئيب ومشهد كثيف محزن عار عن الرونق والبهجة حتى امسيت ترى كل مهاجري اليهود كاسفي البال ولوائح الياس وقطع الرجاء تلوح عليهم . ومن مكنته وسائله من الرجوع من حيث اتى ترك الملك الموهوب والعقار المبذول هرباً من مشاق العمل وسعياً وراء الاختلاس والربا

فبعداً لكم من يهود وسحقاً لكم من جبناء انذال (١)

وتوجد عمارة اخرى بالقرب من حيفا وجبل الكرمل موقعها في الجبال الطالة على سهل طنطوره في وسط ارض كنعان ارض الميعاد الحقيقية • وتدعى هذه العمارة عمارة " زيكرو يعقوب " اهلها يهود اوربيون وهم ناجحون بعض النجاح فيها نظراً لتوفر الآلات وغزارة المادة لديهم

وقد حدث في سنة ١٨٨٢ ان ثلاثين نفراً من يهود الفلاخ زين لهم ربانهم المهاجرة وسكنى ارض الميعاد فاذعنوا لرايه واشتروا ارض السامرة بجميع ما يتملكونه من المال ونزلوا فيها بعائلاتهم • ولما كان الجبن طبيعتهم والكسل غريزتهم وكانوا بعيدين كغيرهم من اليهود البعد الشاسع عن العمل زينت لهم الاوهام ان ارض الميعاد تنبت الزرع لنفسها ويحصد المحصول ملائكتها بكرامات آل اسرائيل ولهذا لم تلبث الارض حتى حصدت حبوط مسعاهم وانتجت خيبة امالهم واصبحوا على اخر رمق من الضيق وارتباك الاحوال رغماً عن خصب الارض وحسن تربتها ولم يبق لديهم بعد قليل الا الارض النضرة والعيون المنفجرة ولكنها خالية الزرع بكر لم تمس • فارادوا بيعها ولما لم يجدوا لها طالبا وقعوا في حيص بيص

(١) ان مدير العمارات العام يصف حالة اليهود السيئة بغير محاباة و ياسف لما هم عليه من الكسل والجبن وكراهة العمل ، الامر الذي لاجله تركوا الاراضي هدفاً لاضرار التغييرات الجوية • وهو يصرح مضطراً بان النتيجة الحاصلة لا تجيب داعي اهتمامه و بعيدة عن تحقيق امالي الاتحاد الاسرائيلي

ومنيوا بعظيم الارتباك وكان ذلك عقب صدور الامر الشاهاني القاضي بمنع اليهود من الاستعمار في الاراضي المقدسة فأعلن يهود السامرة بخروج تلك الاطيان من زمامهم ودعيوا لمبارحة تلك البلاد في اسرع ما يمكن . فعمد هولاء الى الاستنجاد بروتشيلد والاتحاد الاسرائيلي ولم يبلغ مسامعهما الخبر حتى ارسلا المدد المالي الى السامرة مع يهودي الزاسي الاصل فرنسوي التبعية يدعى " مسيو " وفي صبيحة احد ايام سنة ١٨٨٣ ظهرت الراية الفرنسوية على اعالي آكام السامرة تلعب بها الارياح . وكفى وجود يهودي واحد الزاسي لادخال سكان تلك العمارة في الحماية الفرنسوية وكان ذلك حجة بايدي الحزب المنتصر والنائبين عنه في الخارج للتوسط لاجلهم بجانب الباب العالي . وقد قبل الباب العالي توسط روتشيلد وفرنسا والحاحهما وامن يهود السامرة على انفسهم وعلى اموالهم . وقد يتعجب القارئ في كيف يهتم حكام الفرنسيس بزمرة من رعاع يهود الاجانب عارين عن المدنية لا يعرفون من الفرنسوية كلمة " بونجور " ولكن لا عجب فان قصد الاتحاد الاسرائيلي لم يكن فقط مساعدة افراد من اليهود جل غايتهم الآن الرجوع من حيث اتوا تخلصاً من عناء الزراعة والمعيشة الضنكة بل غايتها القصوى هي منع هولاء اليهود وغيرهم من مبارحة فلسطين فيكونون جزءاً من امانيهم الى تطمح انظارهم اليها ويعقدون الخناصر على ابرازها الى حيز الوجود . وقد نظم اليهودي مسيو مندوب جمعية الاتحاد تلك العمارة على نمط عمارة ميكوه - اسرائيل فاستجلب اليها ملابس العمل الرسمية والالات الصناعية والماكنات الزراعية واتاها برجل من اساتذة الزراعة المذهرين .

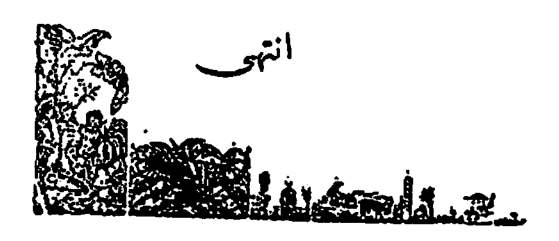
ليكون دليلها ومرشدها . وهكذا سار بالصبر والثبات وعمـل بنشاط وهمة حتى تحسنت حالة العمارة واصبحت الزراعة فيها بحالة مرضية . نعم ان اليهود لا يمكنهم استغلال الارض كما يستغلها غيرهم ولكنهم يعيشون الآن فيها بالرخاء والسعة وكفى بها من نتيجة حصلوا عليها بعد قطع الرجاء

ولا نعلم ان كان هؤلاء الفلاخيون يحفظون جميل روتشيلد ويعترفون بفضله ولكن الذى نعلمه ونثبته هو عدم خضوع هذه الزمرة او بالحري كراهتها للرجل الذي بفضله امنوا الطرد والنفي وبظله حسنت حالهم وبقيت لهم ارضهم . والذي يضحك هو ان حقدهم هذا على المدبر ليس الا لانه يجبرهم على العمل في ارضهم ويرغب في نجاحهم وتقدمهم . ولولا خوفهم من الدولة العلية وخشيتهم من تخلي روتشيلد عنهم لما تركوا لمسير هذا بقاء بينهم

ولم يغرب عن بال احد من القراء حادثة ذاك اليهودي الالماني الذي اتى من قبل الاتحاد الاسرائيلي بالمراكب مشحونة بالرجال والاموال الى نواحي جبل الطور بدعوى ان تلك الارض هي ملك اليهود القديم وهي ارض موسى التى تلقى فيها الشريعة الالهية فوجب ان يمتلكوها . وكادت آمالهم تتحقق وتعمر بهم تلك البـلاد لولا انتباه الدولة العلية لهذا الامر فدعت الحكومة المصرية الى اخراجهم من تلك البلاد فرجعوا بالخيبة والخذلان . فمنها يظهر للقاريء عظم قحة اليهود وتظاهرهم بغايتهم الوحيدة حيث لا يرون داعياً لاخفائها اليوم مع ما هم فيه من القوة

المالية والنفوذ السياسي ولكن هل يبلغون تلك الغاية ويظفرون بذلك القصد ؟ . . .

فالليالي من الزمان حبالى مثقلات يلدن كل عجيبة



انتهى

استلفات

ربما ظن من طالع هذا الكتاب ان كاتبه التزم الغلو والمبالغة في سرده اعمال اليهود ووصفه اخلاقهم وعاداتهم . فمنعاً لهذا الظن وتثبيتاً لجميع ما ذكر فيه اثرت سرد حكاية كانت بلاد المغرب ميداناً لها قصها علي في تونس اذ كنت نزيلا فيها فاضل اثق به واعتمد في حقيقتها عليه ؛ هذا فضلا عن ان بسردها تكثيراً لسواد قراء هذا الكتاب وتفكهة لطالبيه ؛ والحق يقال أنها قد اوعت اهم ما حواه من جليل الفوائد وكانت مرآة لاخس صفات اليهود ومثالاً لسيئآتهم . وقد تصرفت فيها تصرفاً كلياً حتى غادرتها رواية لطيفة المبنى ادبية المعنى سميتها رواية «اليهودي المنتقم» لان بها اظهاراً لفظاعة اعمال اليهود ورداءة قصدهم ودلالة على تقمهم على عباد الله وحقدهم فلعلها تقع موقع الاستحسان لدى اولي الفضل وتكون عبرة لأولي النهى والعقل . وبالله الاعتصام في المبداء والختـام



تأليف الفقير نجيب الحاج

الفصل الاول

دخول وايضاح

حدثني صاحبي قال . يحكى بانه في السنة الخمسين والمائتين بعد الالف للهجرة كان في مدينة صوصه من اعمال تونس رجل من كبار تجارها اسمه الفضل بن يحيى قد عُرف بالاستقامة والكمال وحسن السيرة والخصال ومن احسن ما اتصف به انه كان يزداد لطفاً وانضاعاً كلما زاد ثروة واعتلاء حتى تعلقت به القلوب ولهجت بادابه الالسن . وكان له اصدقاء كثيرون اخصهم شاب من العائلات الكريمة اسمه على بن صالح المغربي

ربي وشب في النعم ولكنه افرط في الكرم حتى عُدَّ مبذراً وتفنن في الجود حتى اصبح مسرفاً وآل به الامر للخسران معظم امواله وضياع اكثر املاكه . ولكنَّ ما فيه من حسن الخصال والصفات كان يلجم عنه السنة السفهاء المعتدين فحفظ اسمه وصان شرفه وناموسه . وكثيراً ما كان يحتاج الى المال فيستمد بصديقه الحميم الفضل بن يحيى المذكور فيحسن ملقاه ولا يضن عليه بمال مع انه لا يطلب عليه فائدة ولا يذكره بوفاء فبينما كان الفضل بن يحيى جالسا ذات يوم في بيته دخل عليه صديقه علي وكان قد غاب عنه زمناً فراى علائم الكدر تلوح على وجهه ودلائل الحزن والكآبة بادية على محياه فساءه ذلك واشتاق للاطلاع على سره ومعرفة خفايا امره فبعد ان ارتاح صديقه هنيهة قال له

– اهلاً بك بعد طول الغيبة ومرحباً بعد زمن الفراق فاخبرني اين كنت ومن اين انت آت وعلى الخصوص ما الذي يحزنك ويكدر خاطرك فاني اراك كاسف البال بادي البلبال فلعل في الامكان تعزيتك وتسليتك فانا احب الناس اليك واعز الاصدقاء لديك

– ان ما يكدرني لامر ذو بال لا يخففه عني الوالد او الخال ولا ارى فائدة من كشف حاجتي اليك الا السبب في تصديع خاطرك وتكدير صفاء راحتك بينما انت عن ذلك غني وعن معرفتها مستغني

– ان كلامك هذا يزيدني شوقاً وتلهفاً للاطلاع على مكنونات سرك فاحلفك بما بيننا من وثيق المودة ان تبوح اليَّ بسرك وتخبرني بحاجتك فاني مستعد لتضحية النفس والنفيس في سبيل راحتك وتخفيف عنائك وان

لم اقدر على ذلك فاقسم جزنك واقاسمك همك وغمك فلقد قيل

ولا بدّ من شكوى الى ذي مروءة   يواسيك او يسليك او يتوجع

- ما جئت اليك الا لاعلمك بسري واطلب منك العون والمساعدة على امري فقد تعودت الاستقاء من وبلك اذا ما تلهب غليلي والاحتماء بظلك اذا ما اصابني الضر . ولكني احجمت عن طلبي هذا اولاً لاني مديون اليك بمبالغ جسيمة اعجز عن وفائها اليوم او غدا . وثانياً لاني اعلم بان اموالك اليوم تحملها السفن في البحار ويستحيل عليك الان قضاء حاجتي وافراج كربتي

- اراك عالماً بحالي ومطلعاً على حقيقة امري فان جميع اموالي متفرقة والقسم الاعظم منها حملها يوسف وكيلي الامين الى اسبانيا ليوسق بها السفن بضائعاً ولكن ان كان المال حاجتك فلا يتعذر عليّ اقتراض ما تطلبه او التعهد بوفاء دينك لمن تستدين منه نقل لي اذاً ما الذي يلزمك من المال وما الامر الذى احوجك اليه

بارك الله يا صديقي في مروءتك وجزاك خيراً على صنيعك فمثلك تكون الاصدقاء وبك تقتدي الخلان فهاك يا عزيزي حقيقة امري واصل غمي وكدري : اني ما زلت سائراً بسيرتي المعهودة اضيع اموالي وانفق ثروتي بالبذخ والاسراف حتى تكاثرت عليّ الديون واصبحت من ضيق اليد في شجون فرحلت ابتغي لي في حاضرة تونس من الفضيحة ملجأ ومن شماتة الاعداء مهرباً . ولما وصلتها سمعت الناس يلهجون بذكر اميرة من العائلة المستولية تدعى فاتنة وهي كاسمها فاتنة . قد نبغت بالعلم والادب واتصفت بالعفة والشهامة والكمال والصيانة فضلا عما تفردت به من

الجمال الباهر والحسن الزاهر · وقد مات ابوها وخلفها وحيدة مع ثروة لا تحصر وغنىً لا يقدر فتقاطر عليها الطلاب افرادا وافواجاً وقصدها الخطاب وحداناً وازواجاً من اعيان واغنياء فكانت تردهم خائبين تارة بالعنف وتارة باللين دون ان تدع لاحد باباً للكدر او وجهاً للنقم · والغريب انها عرضت نفسها للطلاب من كل امة وجنس لتختار منهم زوجاً متفرداً بالصفات مجملاً بالحسنات فجاءها فرنسوي فرفضته لخفته وطيشه - وايطالي فردته لنزقه وحمقه - واسباني فاحذرته لعجرفته وجهله - وانكليزي فارجعته بخفي حنين لصمته وثقل حركته - والماني فخيبت مسعاه لغلاظته وفظاظته حتى ظن الناس انها تكره الزواج وتؤثر العزلة والانفراد ولكن اخطأوا في ظنهم فان هذه السيدة مقيدة بارادة ابيها المتوفي الذي وضع لها حدا لا تتجاوزه · وذلك انه استحضر قبل موته ثلاثة اوان احدها من الذهب والثانية من الفضة والثالثة من رصاص ووضع في احداها رسم ابنته وفي كل منها ابياتاً من الشعر واوصاها بان لا تختار لها زوجاً الا من يقع اختياره على الانية التي فيها صورتها . فامتثلت الاميرة مضطرة لامر والدها فمن احبت منظره واستحسنت مخبره ادخلته الى محل الاواني فيخيب سعيه ويعود حزيناً كاسف البال اما اذا لم يعجبها فانها كانت ترده من غير ان تطلعه على سر الانية · ولما بلغني خبرها تشوقت لرؤياها وحدثتني نفسي بالحصول عليها فعرضت عليها حسبي ونسبي فالفيت منها عين الرضى وحسن الالتفات ولكني استصغرت نفسي لديها ورايت نفسي قاصراً عن مضاهاة اصحاب النفوذ والسطوة والغنى والثروة الذين يتقاطرون الى خدمتها ولكني لم اقطع الامل من الفوز بها حيث انني

رايت منها اعتناء بامري ومراعاة لجانبي فرجعت الى هذه البلدة حزيناً
وانت محل املي ومحط رحالي فما لي لاخراج هذه الغمة سواك ولقضاء
هذه المهمة الاك وحاجتي الآن بثلاثة الاف دينار من الاصفر الوهاج
فان ظفرت بعدها بالدرة اليتيمة ارجعت اليك كدفعة اموالك وان حال
دون ذلك سوء طالعي رجعت بالخيبة ورددت لك هذا المبلغ وابقيت
وفاء الباقي الى فرصة اخرى

- فاجابه الفضل قائلا وهل تؤمل بالفوز مع علمك بان هذه السيدة
لا ترضى من البشر زوجاً

- سأقرع هذا الباب طارقاً مستعطياً فان رايت فيه ملجأ ومأوى حصلت
على غاية المنى وان حبط مسعاي رضيت من الغنيمة بالاياب وارجعت
المال اليك ولا اعود بعد الان لما تعودته من التبذير والاسراف.

- اذهب اذاً الى التجار والمتموِّلين واطلب منهم استلاف ما شئت من
الاموال وانا اتعهد لهم بدفع المبلغ في حينه ان تاخرت انت عنه فانا
واثق بانه لا يتاخر احدهم عن اقراضك هذا القدر اذا علموا بضمانتي
لك فاني عندهم من اعظم الاغنياء

- لاعدمتك ايها الاخ الكريم والصديق الحميم واني ساعود اليك حالما
يتيسر لي اقتراض المال وابشرك باني ساحظى عن قريب بربة الجمال
والكمال فان قلبي يحدثني بنجاح مسعاي على يديك فاطلب لي التوفيق
كما اطلب لك الخير واشكرك كل الشكر. قال على هذا وخرج فرحاً بقضاء
حاجته مؤملا الحصول على منيته

الفصل الثاني

حقدٌ ومؤامرةٌ

اسحق اليهودي

هو رجل من بلد صوصه دميم الخلقه ذميم الاخلاق سيء السريرة ومع انه واسع الثروة كثير المال فانه كثير البخل والطمع شديد الحرص واللآمة لا همَّ له الا جمع المال وحشد الذهب. قضى ايام شبوبيته وشيبه في بث الدسائس والايقاع بعباد الله. ومع ما اتصف به من اخسّ الصفات فانه كان متفرداً بالدهاء فريداً بالخداع والمكر قادراً على التزيي بالازياء المختلفة يتظاهر امام جيرانه المسلمين والنصارى بالوداد وحب الانسانية مع انه لا يضمر الا الشر ويظهر بصبغة محب الخير والمعروف مع انه لا يكنُّ الا الغدر وهكذا بقي خبثه مستوراً وفساده مكتوماً فاعتقد الناس فيه خلاف ما يكن قلبه ولا يعلمون منه الا انه مرابي لا يسلف المائة الا بمائتين ولا يعطي الدرهم الا باثنين. وهو يعجب بماله ولا يلقى المستلفون منه الا اعراضاً وابتعادا لعلمه بانه لا يوجد في المدينة من يضاهيه بالغنى ويقدر على تسليف المبالغ الجسيمة الا رجل واحد وهو الفضل بن يحيى صاحبنا المذكور ولهذا تراه ناقماً عليه يغلي صدره حقداً وقلبه انتقاماً وبغضاً لاسيما لان الفضل المذكور هو على غير دين التلمود وانه يقرض المبالغ الجسيمة لكل طالب بغير فائدة او

ربى فذلك يمنعهم من الوقوع في مخالبه والاستجارة بجوره وظلمه . حتى عقد النية اخيرا على الايقاع بهذا المجنون الذي يضيع امواله على الناس بغير فائدة وحلف بابائه واجداده بانه سيقتصّ منه وينشب فيه مخالب غدره فيبليه اولا بالافلاس والخراب ثم ياكل لحمه ويشرب دمه. وجعل يفكر في حيلة لبلوغ القصد والفوز بالمنى حتى ضاقت به المذاهب واعيته الحيل وعلم من نفسه العجز عن اتيان هذا القادر باذى نظرًا لما له من منعة الجانب بين الناس وعلو المكانة في قلوب الاعيان فاضحى كاسف البال عليه دلائل اليأس وقطع الرجاء حتى ضني جسده ونحل جسمه وغارت عيناه واصبح في حالة من الضعف محزنة

وكان لاسحق اليهودي هذا ابنة في ريعان الصبا لا تتجاوز الثامنة عشرة من العمر اسمها رفقا ليس لابيها سواها وهي فائقة الجمال زائدة الدلال ذات طرف كحيل وخد اسيل وخصر نحيل لطيفة المعشر ترمي بعينيها السوداوين القلوب وتبلي ناظرها ببلاء ايوب وهي مع صغر سنها وغضاضة صباها كثيرة المادة في الحيل كثيرة الوبل في الخداع قادرة في الدهاء والتقلب والمراوغة. وبالاختصار هي اشبه الناس بابيها. وكان يستشيرها هذا في المهمات ويرجع اليها في الملمات فكانت تخاطر بنفسها حبًا بابيها فتمده بالحيل وتساعده بدهائها على حل المشكلات ولها من عينيها وسحر طرفيها سلاحًا قويًا ينصرها كلما شنت الغارة فلم ترجع قط بالخيبة والخذلان واذ رات بابيها الحزن والكآبة هذه المرة والفت منه الضعف والنحول ساءها ذلك ونكد عيشها ولكنها كتمت هذا في قلبها منتظرة ان يبوح ابوها بسره اليها. ولما طال عليها المطال سئمت نفسها الانتظار وقلقت لحالة ابيها اذ راته سائرًا

بالضعف والنحول فوطدت النفس على استطلاع طلع الخبر والاطلاع على جلية الاثر فدخلت عليه يوماً في مخدعه الخصوصي الذي يتفرغ فيه لحسبان الاموال وصف المات والالوف فرأته متفكراً مطرق الراس لم يرَ من عظم افتكاره على دخولها الا اذ كلمته قائلة ·

حياك يا والدي رب موسى وابرهيم وحمتك بهارون ويهوذا وكاليب وجيوفاه من شر ما انت مفتكر · مالي اراك كاسف البال مشتغل البلبال ناحل الجسم بادي الضعف فهل لك حاجة فاقضيها او هم فاقاسمكه وهل تعدى عليك احد فانتقم منه او اغضبك فاسفك دمه

حيل الفحول من الرجال كذرة ... تلقاء المواد احتيالي وخدعتي

و بسالة الابطال في بحر الوغى ... بإذاء قوة اصغري كقطرة

فانط الي بي حل كل مهمة ... تلقَ فتاةً تفتكن ببغية

هل من مهام كي اقوم بفضها ... او من عدوٍ ابتليه بنكبة

اعلم فلو كانت ابنتك العلا ... بالمكر نلت مقام عرش الجنة

قل لي بحق اله اسرائيل وجميع الانبياء والقديسين · ما اصل حزنك وسبب همك وغمك فانك تعلم حبي لك ومقدرتي على مساعدتك

- دعيني يا رفقا اقاسي الهم وحدي ولا تتعبي النفس في تسليتي وتعزيتي فانت غير قادرة هذه المرة على مساعدتي وتخفيف همومي ولا فائدة من اطلاعك على سري الا انشغال بالك واضطراب حواسك فابقي متمتعة برغد العيش بعيدة عن نكد هذه الدنيا وذوقي لذة شبوبيتك وريعان صباك

- لا يهنأ لي عيش يا والدي ما دمت اراك مضطرب الجاش والحواس ولا بد من اطلاعي على حقيقة الخبر واني اعاهدك ببذل نفسي لتخفيف همك وارجاع راحتك فالويل لمن تسبب في تنكيد عيشك ولا عاش من كان اصلاً لغمك وهمك

- ان كان لا بد من اخبارك بسري فاسمعي يا بنتي واصغي لمقالي فالامر جلل والكرة مخطرة. تذكرين جيداً ما طالما رددته على مماعك من افعال هذا المجنون العاتي الفضل بن يحيى الذي يوزع امواله يمنةً ويسرة و يجود بالذهب الوضاح بغير فائدة او ربى وكنت اترقب ان تدور عليه لذلك الدوائر وتعود عليه افعاله بالخسائر وهو لا يزداد الا غنيً وثروةً وبقدرها جودا وتبذيرا وترينه محبوباً من الجميع نافذ الكلمة عند الرفيع والوضيع. وقد سدَّ عليَّ ابواب الارباح وسارت اعمالي المالية بالتاخير يوماً عن يوم حتى سئمت نفسي احتمال وطأة هذا اللعين ووطدت النفس على الفتك به وحلفت بهارون وموسى انني سانتقم منه. وترينني الآن مضطرا للحنث بيميني المغلظة والعود بالخيبة وحبوط المسعى اذ ارى ما هو عليه هذا الجاحد من الاقتدار والنفوذ وعظم الثروة والغنى. وهذا يجرح قلبي ويحرق فؤادي ويسبب لي ما انا فيه من الحزن والضعف. فما العمل بهذا الشيطان الذي ضاقت دونه حيلي وعجز عنه مكري. فاطرقت الغادة براسها برهة الى الارض ثم رفعته وقد ابتسم ثغرها واحمرت عيناها فاهتزت هزة الطرب واعجبت اعجاب المنتصر الحاقد فتعجب اسحق لتلك الاشارات واستبشر بابتسامها وفرح من لاحمرار عينيها فطار قلبه شعاعاً وانتصب واقفاً على قدميه وبغير ان ينتظر جواب ابنته

قال لها. قولي يارفقتا تكلمي يا بنتى ما الذي خطر ببالك وما الذي ارشدك اليه دهائك فقد حيرني تغير حالك وبشرنى بالظفر والنصر على عدوي ابتسامك

- نعم لقد خطر ببالي خاطر والممني اله اسرائيل لواسطة تضمن لك الفوز وتخولك الظفر فاسقاط هذا اللعين بين شفتيّ وخراب دياره بكلمة مني ومع ان بهذا خطر على نفسي فاني ساجاذف بها ولا اضنّ بها عليك لتعلم اخلاص ابنتك لك ورغبتها في راحتك : لا يخفاك يا ابت بان الوكيل المتصرف للفضل بن يحيى والنائب المستولي على ثروته هو يوسف النصراني عدوك الالد وهذا الشاب قد فتنه جمالي واحرق قلبه دلالي وقد طالما اراد التودد اليّ والاقتراب مني وكان لا يلقى مني الا اعراضاً ولا يلقى الا الصدّ وجفاء وذلك لعلمي ان لا فائدة من معاشرته ولا نفع من اصطفائه لانه فقير الحال قليل المال وتكره نفسه خيانة مولاه وانتهاك حرمته. اما الآن فالذي اعلمه انه سافر بالمراكب الى بلاد اسبانيا يحمل معظم ثروة مولاه ليشتري بها البضائع ويختار التحف فلا يتعسر علي ان اسافر اليه فاعلله بالآمال واغريه على الفرار بالمال الى بلاد غريبة او اوقعه في بلاء عظيم ولو اضطرني ذلك لتسليم نفسي اليه فيبلى الفضل بالافلاس ولا يلبث ان تطالبه اصحاب الديون وتلعب به ايدي الخراب فيبقى عليك ان تدبر في هلاكه واعدامه الحياة فتصدق بيمينك وتفوز بمرامك.

فطار اللعين فرحاً عند سماعه كلام ابنته واستبشر بقضاء وطره وبلوغ منيته فاخذته لذة الانتقام ورعشة القاتل فجعل يقبل ابنته تارة وطوراً يرقص كمن اصابه خلل او جنون وهو يتكلم بنفسه ويقول . لقد نلت

بغيتي وفزت بوطري فيالها يا فضل من ضربة عليك قاضية ومصيبة على راسك ماضية فسارتاح من شرك اذا خربت منك الديار ويخلو لي الجو بعدك ايها الجاحد الجبار ولأقتلنك بعدها شر قتلة واشرب دمك واطعم لحمك للكلاب

قد نلت ما ابغي وفزت بما ربي — من هلك فضل بالذي اتوقع
فلا خربنّ دياره واذيقه — كاساً بها سم المنية يجرع
يا فضل لم يفضل بعمرك كله — الا سويعات تزول وتقشع
فلاقتلنك شرّ قتل بعدما — ارمي بلحمك للكلاب وادفع
واراح منك ويخلونّ الجو لي — وافوز في قصدي عليك وارتع

ثم التفت الى ابنته وقال · لاعدمتك يا ربة الجمال من محتالة ماكرة وداهية داهية فقد فرّجت كربتي وازلت غمتي وخلصتني من غضب اسرائيل لو حنثت بيميني فمثلك تكون النساء والا فلا ولكن ان اصابك ضرّ يا سيدة النساء فكيف اعيش بعدك او يهنأ لي عيش بعد بعدك نعم اني سانتقم من الدّ اعدائي ولكن سافقد اعز الناس لديّ · فهلا ترجعين عن هذا الراي وتدبرين بحيلة اخرى لافلاس هذا الملعون اقل خطراً عليك واسهل لديك

- انه لأمرٌ تقصر دون ادراكه الحيل ومهمة تعجز عنها فحول الرجال وانها لا تخلو من الخطر عليّ ولكن سيعينني عليها الله اسرائيل

فثق واعلم ابي ان لا سبيل — تنال به المنى غير احتيالي
نعم ان الذي ابغيه خطب — خطيرٌ هائل صعب المنال
لئن كلّت عن الاقوام فيه — صناديد الفحول من الرجال
بعون الله اسرائيل اقوى — عليه بعزمتي وقوى اغتيالي

وسارجع اليك منصورة ظافرة واحظى بالاموال وافوز بالمنى . واني قد اليت على نفسي بألاّ اتزوج الا بمهر حصلته بعنائي وتعبي فها انا ذاهبة من الان لاعداد لوازم السفر فادع لي بالنجاح والتوفيق

- اذهبي مصحوبة بالسلامة محصنة برب موسى وجبرائيل واسرافيل وعزرائيل

تامل يا حضرة القارىء بهذا الحنو الوالدي وهذه الشفقة الابوية اللذين حملاه على فوات فلذة كبده ووحيدة نسله وتسليمها الى اعظم المخاطر واصغرها تعرضها للتهلكة والافتضاح. فاعمى غرضه منه البصر والهاه عن النظر في فظاعة ما يفعل وكل هذا رغبةً في الانتقام من رجل لاذنب له الا تدينه بغير دين التلمود ولا عيب فيه سوى الكرم وحسن الخصال وعمل الخير والمعروف. فانه اذ راى واسطة للانتقام وعلم ان في امكانه الوصول الى الفتك بهذا « الجوى » والتصرف بلحمه ودمه اسكرته خمرة الدم واخذته هزة الانتقام فلم يعد يعي على ان دون ذلك هتك حرمته وانتهاك عرضه ولو بماضياع حياة وحيدة الناس عنده واعزهم لديه . . . . الم يرتعش قلبك لدى التامل بهذا العمل الوحشي او لم يقشعرّ جسمك عند هذه القساوة الصخرية. فيا ويلك ايها اليهودي اذا حضرت امام القاضي الديان ومثلت لدى الحضرة القدسية لتطالب بما جنته يداك!

الفصل الثالث

قضاء وقدر

خرجت رفقا وتركت اباها وحيدًا ثملاً بخمرة الانتقام فرحاً بقضاء الوطر فجعل يفكر بالاموال التي سيربحها ان خلا له الجو و بالسطوة والنفوذ اللذين سينالهما ان بقي متفردًا في البلدة بالغنى ·عليه لمعتمد في المهمات واليه المرجع في الملمات فذكره هذا بما كان يسبب له عدوه قبل ذلك من الاضرار وخسارة المال وما قاساه منه من الاهوال فانتصب على قدميه يرتعد غضباً ويرتعش غيظاً وحقدًا وجعل يمشي في ارض الغرفة مرحاً وهو يقول ·لا لا.ان هذا لا يكفيني وهذا الفعل لا يصدق به يميني فاني اقسمت اليمين المغلظة ان ابليه بالخراب واشرب دمه واطعم لحمه لوحوش الغاب فلا يهنأ لي عيش ولا يرضى عليّ جيوفاه ان لم اتدبر بهلاك هذا الملعون وارمي بنفسه الى الهاوية الهارية التي لا قعر لها ولا زاوية وانشد

لا لا فلا يكفي خراب دياره	ودثار ما قد شاد من اوطان
انكرتُ ربي ثمَّ موسى كليمه	وجلالة التلمود والحاخان
وجحدتُ توراة النبيّ مكذِّباً	وكنسينا المبني على الايمان
والطور والقدس الشريف ومالنا	من حرمة الصلوات والقربان
وشنقتُ في عيسى المسيح مصدقاً	لجيشه في غابر الازمان
وأمنت اذ آمنت في انجيله	ونكرت صلبته على الصلبان
ورفضت توراتي وعفت تلاوتي	فيها وملت لسائر الاديان

وكفرت في اسرائيل مع اسباطنا　　وامنت اباني ومن رباني

ان لم اضرّ به واترك جسمه　　نهباً الى الغربان والعقبان

من بعد ما اروي بشرب دمائه　　جوفي وتنهش لحمه اسناني

لا يهنا لي عيش بغير هلاكه　　وبدونه لا يرتضي دياني

فاعنّي اسرائيل يا املي ويا　　ذا الطّول عزرائيل كن معواني

جيوفاه ألهمني لواسطةٍ بها　　افني عدوك كافر الاحسانِ

واهلكهْ وابعثهْ لدار جهنمٍ　　في قعر تهلكةٍ من النيرانِ

فبعد ان تصح الضربة القاضية عليه بالسقوط ياتيني صغيرًا صاغرًا مستعطيًا ممتثلاً فيسهل عليّ الفتك به وايقاعه بالوبال ولكن ما الواسطة؟ الهمني يا اسرائيل واوح اليّ يا عزرائيل واسرافيل وانت يا جيوفاه يا سيدنا المهاب هب الى قلبي نعمة الحلول واهدني الى واسطة لاهلاك من كفر بك وانكر نعمتك . . . نعم صدق القديسون الابرار- لا واسطة اوفق من التودد لهذا الكافر بالتهود والتظاهر له بالصداقة والمحبة فادعوه اليّ واكلفه لمناولة طعامي فادسّ له السم واسقيه من يدي كاس الحمام. والا انصب له الفخ واوقعه بمكيدة فارميه في البئر واخفي منه الاثر ولكن كل هذا لا يكفيني . . . فلم آكل لحمه ولم اشرب من دمه. فيجب ان . . .

طرق الباب فانتشله من بحر افتكاره واوقفه عن نسج حيله فوقف برهة مضطرب الحواس كمنتبهٍ من نوم ثقيل واذا بالباب يطرق ثانية فرجع الى نفسه بالتمام وهرول نحو الباب يستطلع الخبر. ولما وقعت عينه على الزائر اصفر لونه وغمز انفه ورفع عمامته وحك قرعته ودمدم وتمتم ثم قال. اهلا بالشهم الهمام ذو الجود والكرم كيف حالك ايها الصديق على بن صالح الجليل وكيف حال صديقك الحميم واخوك الكريم الفضل

ابن يحيى ذو الفضل العميم . شرفتني ومننت عليّ بما طالما احرمتني منه فادخل علي الرحب والسعة والكرامة والدعة . ولما استقر بهما الجلوس قال . هل لسيدي حاجة فاقضيها او خدمة فاتشرف بها

- لقد جئتك يا اسحق بامر جلل وحاجة تهمني وتسهل عليك وهي ان تقرضني ثلاثة الاف دينار اضف عليها ما ترغبه من الفوائد والارباح فادفع لك الجميع قبل مضي الثلاثة شهور فان قضيت حاجتي وفرجت كربتي فاني احفظ معروفك ما عشت واشكرك ما حييت

- اهلا بك ومرحباً فانى اقدم لك ما شئت ولاي ميعاد رغبت ولكن لي في معاملتي شرط ارتاح عليه وقانون ارجع في السلفات اليه وذلك انني لا اسلف مالاً بغير رهن او ضمانة فهل عندك ما ترهنه او لديك ضامن مقتدر على دفع المال ان تاخرت عن دفعه انت

- لديّ اعظم ضامن واكبر ثقة الا وهو صاحبي الودود الفضل بن يحيى صاحب الثروة الواسعة والمال الكثير . فحك اليهودي في راسه وانكمشت اعصاب وجهه ثم تغير لونه واحمرت عيناه وسحق اسنانه وتغيرت جميع حواسه وبعد ذلك تهلل وجهه بالفرح وبانت لوائح الاضطراب على وجهه مذ بانت نواجذه ابتساماً وعليّ ينظر اليه ظاناً انه يقدّر الفوائد ويحسب القروش والبارات الى ان قال

- انني راض بضمانة صديقك وصديقي الفضل بن يحيى وقابل بتعهده وتراني مستعداً لاسلافك ما تطلب على ان تخبره باني رضيت به ضامناً وتساله المجيء اليّ في الحال لكتابة الشروط وقضاء الامر فمواجهته لازمة لازبة

- اشكرك يا اسحق على معروفك واهتمامك برد لهفة ملهوف ولكن هل لك ان تاتي برفقتي اليه فنتناول الطعام معاً ونقضي الامر هناك

- لا وحق الله اسرائيل . اني اعاشركم يا معشر المسلمين واعاملكم وانقدكم المال بالربا وامازجكم وامازحكم ولكني لا آكل لكم طعاماً تصنعونه بايديكم الدنسة فكيف بي وقد أكلت جدياً مطبوخاً بلبن امه او لحم ضان بعروقه فانا لا ناكل السمن ولا نذوق من اللحم الا الكاشير فخل عنك هذا الكلام واسرع باحضار صاحبك والسلام

ولما خلا باسحق المكان جعل يتمشى في ارض المخدع بسرعة كئيبة وهو مطرق الراس مقطب الوجه ثم وقف بغتة وقال اما كفى انني ضحيت ابنتي وحرمتي ومننت باعز الاشياء عندي للانتقام من هذا «الجوي» حتى اخاطر ايضاً بالمال وابذل المبالغ الجسيمة لافوز بغرضي واصدق بنيتي ...؟ ولكن ما الذي يضرني ان ضحيت ثلاثة آلاف دينار لارضي بذلك اله اسرائيل وافعل ما امرني به التلمود فاسفك دم عدوه وعدو الدين الاسرائيلي واكون بهذه الواسطة امينا من الخطر وصرامة القانون . وانشد

اجاب الله اسرائيل صوتي	وعزرائيل خولني مناني
وفزت بماربي يا فضل فوزاً	فسوف اعبد جسمك للتراء
واوقعك الاله بفخ مكري	وخدعي وابتلاك بشر داء
ساشري في سبيلك كل ضر	بمالي وكل ما يحوي ثرائي
واشرب من دمائك بعد ضرب	يذيق حشاك كاسات البلاء
فمالك من حنان في فؤادي	ولست عليك اشفق بالرجاء
لك الويل الويل فاين تمضي	واين تفر من حكم القضاء
فما من مهرب لك من بلائي	ولو علقت نفسك بالسماء

فنعم الصدفه وحبذا التوفيق فلا شك بان هذا قد ساقه الي

عزرائيل ليجماني في مأمن من وخامة العاقبة والمصير فما ان عدوي الاكبر قد اتى صاغراً يرجوني قضاء حاجته فامن الله جنسي وسبطي ان كنت لا اقتصُّ منه ومسخ الله وجهي ان رحمته فما الرحمة شاني ولا الشفقة من اخلاقي فتلك اوهام يعدونها هولاء الانذال فضيلة اما انا فالايقاع بمن يكره ديني وامتي اعظم فضيلة لديَّ

وبعد برهة وجيزة عاد علي الى منزل اسحق يصحبه الفضل بن يحيى فهش لهما اليهودي وبش في وجههما ولما استقر بهما الجلوس قال اسحق للفضل

- انني اجزل الشكر لاله اسرائيل حيث انه وفق لي خدمتك التي طالما تمنيتها . فلو احتاج صاحبك جميع ثروتي لما بخلت بها عليه اكراماً لخاطرك

- اشكرك على اهتمامك هذا وجل ما ارغبه سرعة دفع المال الى صديقي لاضطراره اليه وانت تعلم بانني لولا ذلك لما اتيت اليك لاني لا احب الربا

- وهل اخالف بهذا الفعل خطة اسرائيل ابي امتي يعقوب ابن اسحق

- ويلك وهل كان يعقوب يسلف الاموال بالربى

- لا ولكن كان يسعى وراء الفائدة . افلا تذكر يا هذا انه عند ما اتفق مع خاله لابان على قسمة الخراف واخذ المخطط منها احتال على تكثير المخططة فربح بطريقته هذه ولا لوم ولا حرج . وقل لي بحقك ما فائدة المال اذا لم يجر المال . فالحرص في الانسان فضيلة . وقد قيل ليس الاسراف من الانصاف

- انك تتخذ هذا دليلاً على تحليل المحرم وليس ذلك بدليل ولكن

الشيطان الخناس لا يعسر عليه ايجاد آية مشكلة في الكتب المنزلة ليفسرها بحسب عقله السخيف وامياله الفاسدة ولكن ما لنا ولهذا الآن فانه لنا مسالة القرض

فكاد اليهودي يتميز من الغيظ ويغمى عليه من شدة الحنق ولكن تمالك نفسه وقال

- قد طالما عيرتني يا فضل بين القوم بعمالي واعمالي فاحتملت ذلك بالصبر والصبر في امتي فضيلة · وبصقت في وجهي مرة واوسعتني شتماً واهانة لاني على غير دينك فسكتُ والسكوت في وقته فينا خصوصية محمودة وقد جئت اليَّ هذه المرة تطلب عوني واسعافي وما زلت تهينني وتحتقرني فهل تنتظر ان افرج كربك الآن جزاءً على حسن صنيعك معي واحسانك المتوالي عليَّ

- اني لم اتِك متذللاً ولم اطلب منك لداعي حب او صداقة فاسلفني المال وانت عالم باني عدوك حتى اذا تاخر صديقي عن وفاء دينك في حينه ولم ادفعه انا لك فيكون لك الحق باجراء العدالة والقانون

ولما راى اسحق ان الحدة استولت على الفضل رجع الى نفسه باللوم وعمد الى مكره المعتاد فقال

- لا تاخذك الحدة ايها الفاضل كاسمه ولا تظن باني قصدت بكلامي هذا مس احساسك لا تذكارك بل اعلم اني راغب بمصافاتك ميال لموالاتك · وانني عربونًا لصداقتي ورهنًا لمودتي ساقدم لك الثلاثة الاف دينار بلا فائدة ولا ربى ولا اكلفك انت وصديقك الا بوفائها بعد ثلاثة اشهر بحسب الاتفاق

- اشكرك على حسن صنيعك ولكن لا اريد ان اكلفك بما لم تعتاده

فافرض علينا ما شئت من الفائدة

- لا واله اسرائيل لا آخذ عليها ربحاً ولا فائدة ولا ابتغي الا مصافاتك ومودتك ولكن ان كان لا بد من فرض الفائدة فرضت عليك شيئاً آخر

- اطلب ما تريد وثق باني شاكر لفضلك

- اني وعمر الحقيقة لا ابتغي عن صداقتك بديلا فهي عندي خير فائدة واعظم ربح ولكن ما دمت مصمما على فرض الفائدة فلنشترط على سبيل المزاح شرطاً يضحك الثكلان وهو ان لم تفِ المال بعد ثلاثة اشهر وفي مثل هذه الساعة اخذ من جسمك رطلا من اللحم من اي محل شئت . فاقبل بهذا الشرط الفاسد ودع الامر ينتهي بالمزاح

- اني قبلت والمروءة بشرطك فهي الشروط لاختمها واني اصفك من هذه الساعة بالرقة والمعروف . فقال علي بن صالح لصاحبه

- قسماً بالله لا ادعك تقبل بمثل هذا الشرط الفظيع واعلم بان الفاقة عندي احسن من ايقاعك في مثل الورطة

- كن مطمئن الخاطر فانا واثق بانه سيأتيني اضعاف هذا المبلغ قبل فوات المدة المعهودة بكثير

فقال اليهودي - يا اله ابرهيم واسحق ويعقوب نجني من شر اردياء السريرة الذين يظنون بي السوء وفساد الطوية فاخبرني بحقك ايها الفاضل عليّ بما تظن وبما تخشى وما الذي يخامر ظنك من مزاحي هذا وهب ان الصحيح ما اقول واخذت رطل اللحم من جسم هذا الشهم الفاضل اذا تاخرتما عن الدفع فما الذي ينفعني وبما استعيض عن خسارة مالي أبالرطل اللحم الذي لا يساوي لحم الماعز والغنم ؟ او هل

سمعتما بان صديقكما اسحق ياكل لحم البشر حتى ظننتم مزاحي هذا قساوة وظلماً ؟ فان كان ذلك ما تظنون فارجوكم ان لا تسالوني بعد هذا مالا ولا تقبلوا مني معروفاً وردوا الطرف عما اظهرته لكم من الود والولاء فسأمت نفس الفضل بن يحيى من كثرة الانتظار ولم يخالج ظنه قط لسلامة نيته بان اليهودي قد كذب ومان ولا يقصد بشرطه الا الانتقام منه وانتزاف دمه فقال - قلت لك يا اسحق انى قابل بالشرط فاقض ما انت قاض لان الوقت قد فات فتناول اليهودي قرطاساً وقلماً وجعل يرسم الشروط وكان علي يقول لصاحبه انه خائف من ان يكون ذلك مكيدة نصبها اليهودي لهما لينتقم من سابق عداوته مع الفضل · وانه مستغرب من الشرط وتحدثه نفسه بوقوع الشر والفضل يضحك من تشاءمه وينسب ظنه للاوهام التي لا طائل تحتها ويؤكد له انه واثق بالحصول على اضعاف هذا المبلغ قبل مضى المدة . حتى انتهى اليهودي من تحرير الشروط فوقعوا عليها جميعاً ثم اخذ علي المال وذهب مع صاحبه وتركا اليهودي مع مثيله الخناس يضرب اخماساً لاسداس

الفصل الرابع

مكرٌ واغتيال

علم القراء بان للفضل بن يحيى وكيل اسمه يوسف · وكان هذا الشاب حميد الخصال حسن السيرة دمث الاخلاق لطيف المعشر وكان مع

ذلك ذا مروءة وشهامة شريف النفس اميناً صادقاً تابى نفسه الخداع
والخيانة حتى صار له في قلب سيده منزلة عظمى فسلمه جميع امواله
وحكمه في ثروته واعماله وكان ينتدبه لذكاه في المهمات ويستشيره لعقله في
الملمات وهو مع ذلك لا يزداد الا صدقاً وامانة وثباتاً على العهد .
فحصل انه رأى يوماً رفقا ابنة اسحق اليهودي فخلبت لبه وسلبت عقله
فسحره لطفها وجمالها واسره ظرفها ودلالها وقد طال به الحب وازداد به
الهوى حتى اضعفه واحرمه لذيذ الرقاد وعوضه عنه الارق والسهاد . فجعل
يتقرب الى الغادة بالزلفى ويسعى لديها بالتذلل فاصغت اليه باديء بدء
وسمعت شكواه ولم تقطع له الرجاء . ولكنها صدته اخيراً وجفته اذ علمت
بانه قليل المال ضيق الذرع فزاده صدها ولهاً وبعدها عشقاً وتلهفاً
فكلما اراد التقرب اليها رأى منها نفوراً او كتب اليها بشكوى لواعج
غرامه الفى اعراضاً وتغاضياً حتى زارته الاحزان وهجمت عليه الاشجان
فضاقت في وجهه المذاهب وسلم لقضاء الله . ورأى منه مولاه هزالاً ونحولاً
وحزناً وكآبة فساءه ذلك لانه كان يحبه لامانته وصدق خدمته واستطلع
السبب فانكره عليه وقصد تسليته وتعزيته فلم يجده ذلك نفعاً . حتى
تاكد ان بقلبه جرحاً صعب البريء وداء بعيد الشفاء فلم يرَ اوفق من
ارساله الى الخارج بمهمة يقضيها . فيلهيه العمل عن الاشتغال بهمه وتسليه
لذة التنقل عن تذكار مصابه فتنتعش روحه بهواء البحار وينشرح صدره
باختلاف المناظر فاستدعاه ذات يوم اليه وقال له

– لا يخفاك يا يوسف ان البضايع قد فرغت لدينا وتكاثرت طلباتها
لينا وقد اصبح عندنا كثير من المال وليس من الانصاف ان نبقيه ملئ

الخزائن بغير فائدة ولا ربح ثم ان مراكبنا راسية في مياه صوصه تكلفنا التكاليف الباهظة ولا يعود علينا منها اقل فائدة فمن رايي ان نرسلها لوسق البضائع وتحميل السلع غير اني احب ان استحضر في هذه الكرة تحفا لا تعرف في بلدتنا من التي انجبتها معامل اوروبا العجيبة واختراعاتها الجديدة وهذه مهمة لا ارى لها غيرك ولا اعتمد فيها الا عليك نظرا لما اعهده بك من الهمة العلياء والذكاء والذوق السليم فما ترى فيما اقول·

فاجابه · لقد رايت الراي الصواب واشرت بالذي لا يعاب فمرني بالذي تريد فتراني اقرب الى طاعتك من حبل الوريد

– انني اشكرك على استصوابك رايي وانقيادك لامري فاحمل اذا كلما في الخزينة من المال واذهب بالسفن الى اسبانيا وامكث بها زمنا تخير فيه من البضايع احسنها ومن التحف اجملها مما لا نظير له في هذه البلاد لتكون الكرة غانمة والتجرة رابحة وعليك بان تمكث فيها زمنا ولا تسرع بالسفر منها ليمكنك نظر كل شيء والاطلاع على كل جديد لكن حضورك واجب بعد ثلاثة شهور لمطالب لا تجهلها اما الان فقم لاعداد المهمات وتهيأ للسفر

فخرج يوسف من حضرة سيده ممتثلا لارادته فاعد المعدات واللوازم وسافر بالمراكب في اليوم الرابع متأسفا على مفارقته البلاد التى فيها قلبه ولبه وحياته وجنته متنهدا الحسرات منشدا هذه الابيات

يا طلعة الشمس بل ياظبية الوادى ··· تختال ما بين اغوار وانجاد

انت بقلبي لا في الواد رائعة ··· مرعاك نبت حشاشات واكباد

واعين الماء من دمع العيون جرت ··· ومهجتي كالغضا في حر ايقاد

رفقاً بصبك يا رفقا ومني على قلب المعنّى بقرب دون ابعاد
هجرتني ومرامي البين واصلني اجوب كالعيس اذركب النوى حادى
فيا مطوقة صاحت بيانتها من فوق انهار روضات واعواد
هلا اعرت غريب الدار اجنحة بها يطير الى ذيالك النادي
نادي الحبيبة علّ الدهر يجمعه بها على رقم اعداء وحساد
فيا نسيماً سرى من حيها سحراً عد وافرها من سلامي حمل اطواد
وقل لها صبك المهجور رهن ضنا اصاره ميتاً من دون الحاد
رثى له الضد من سقم براه هوى حتى اختفى طيفه عن عين عواد
راحت به الروح فارثي واردد كرماً بزورة الطيف ارواحاً لاجساد

ثم صعد الى اعلى المركب وجعل ينظر الى تلك البلاد التي فارقها والاطلال التي نأى عنها يتنسم هواها ويستنشق عبير نسيمها حتى توارت عن عينه واستترت بالافق عنه فانفرد في السفينة بعيدا عن الربان والنوتيين وضج بالبكاء والعويل وزاد في الحسرات والزفرات حتى نضبت دمعته وخفت صوته فوقع على فراشه بدون حراك وقد خمدت انفاسه واغمي عليه · ولم يعِ على نفسه الا بعيد الاصيل فصعد الى اعلى المركب يطلب بنظر البحر تسلية ونسيه انتعاشاً فوجد فيها بعض الراحة لقلبه و بعض التسلية على همه · هذا والريح معتدل والسفن سائرة تحملها الرياح وتدفعها الامواج في الليل والنهار حتى وصلت بهم ڤالانس في مساء اليوم الرابع فرموا في مياهها المراسي وانزلوا الشراع ونام صاحبنا يوسف فيها ليرتاح من عناء السفر وضعف السهاد · ولما نشرت الغزالة شعاعها نزل يوسف المدينة وبعد ان تفرج على مناظرها العجيبة و بدائعها المدهشة وتنقل في طرقها وشوارعها خرج لتسلية النفس في ضواحيها وترويحها في رياضها ومنتزهاتها حتى مالت الشمس الى

الغروب فرجع الى المدينة وافضى به الترحال الى فندق مشيد هناك فدخل واختار غرفة للسكن وبعد ان تناول فيه العشاء مع تجمع من الناس دخلوا جميعاً لقاعة الجلوس فقطعوا وقتا بالمسامرة والحديث ثم ارفض المجلس فعمد يوسف الى غرفته وهناك تحركت عليه الجروح وكرّت عليه الشجون فتذكر بعده عن المحبوب وما قاساه من اليم الجفا وتجرعه من مرارة الفراق فتنهد الحسرات وسال دمعه على الوجنات فازال بكاه عن قلبه بعض الحزن وهجم عليه سلطان الرقاد فتغلب عليه ونام الى الصباح ·

ولما بدد الفجر جيوش الظلام نهض يوسف من مرقده منكسر القلب كليم الفواد ولكنه تصبر وتجلد وخرج الى الشاطيء واستحضر منه الاموال والمهمات التي تلزمه مدة اقامته في تلك البلاد واخذ بعدها يدور المعامل و بيوت التجارة ويتفرج على المصنوعات والتحف. وفي المساء عاد الى النزل وظل على هذه الحالة عشرون يوماً بلياليها فتاقت نفسه للتوغل في تلك البلاد الجميلة فركب اجنحة البخار قاصدا مدينة مادريد عاصمتها فنزل في احسن فنادقها و بعد ان تفرج على المدينة وعرف شوارعها وطرقها ومداخلها ومخارجها جعل يزور المعامل ويختار البضايع كما فعل في مدينة فالانس مدة ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع خرج من النزل على حسب عادته وعاد اليه عند منتصف النهار لمناولة الغذاء فبينا هو على المائدة حانت منه التفاتة الى الجانب الاخر فرأى فتاة والى جانبها رجل متوسط السن تسامره وتمازحه وهما يضحكان بصوت عال صوب نحوهما الانظار · فللحال ارتعشت يدا صاحبنا ووقعت آلة الاكل من يده واصفر لونه وشخصت عيناه بالفتاة وجليسها ولم يزل كذلك مضطرب الجأش منزعج الحواس وهو مع ذلك

لا يبدي حراكاً ولا ينبث ببنت شفة كانه اصاب اعضاءه الشلل ولسانه الخرس مدة دقائق خمس ٠ اخيراً رجع الى نفسه فتحركت يداه ونظر ذات اليمين وذات الشمال ثم حقق النظر في الفتاة فصاح صيحة استوقفت الابصار واستلفتت الاسماع ووقع الى الارض مغشياً عليه ٠ فاضطرب الجمع لوقوعه وحمله اصحاب الفندق الى غرفته وتبعهم بعض الجلاس فاعتنوا جميعاً بامره الى ان افاق على نفسه فالتفت يمنة ويسرة ونظر بين الحاضرين كانه يفتش على شخص ينتظره او انسان يترقبه ثم نظر الى نفسه نظر الخجل الحصر وطاب ممن حوله العفو على ما كلفهم من العناء وشكرهم على اعتنائهم بامره ثم طلب منهم العزلة والانفراد فاخلوا له الجو وكل منهم مشتغل بامره متحدث بسره ٠ ولما خلا به المكان جعل يمشي في ارض الغرفة ذهاباً واياباً منكس الراس مضطرب الحواس وهو يقول ٠ هل انا في منام او في اضغاث احلام وهل التي رايتها تغازل الرجل وتسامره هي رفقا ام ارتني عيني غير الحقيقة وتلك فتاة شبيهة لها ٠ ٠ ٠ لا لا انني لا شك في ضـــلال مبين وما الذي ياتي برفقا الى هذه البلاد وقد فارقتها في صوصه وتركت روحي عندها وكيف يسمح لها ابوها بالسفر وركوب الاخطار وهي وحيدته وسلوته لا عيشة له الا بها ولا عمل الا برايها ٠ ٠ ٠ نعم نعم هي هي بنفسها فلم ترَ عيني الاها ولا وقع نظري على سواها ٠ وكيف اجد لها شبيهاً وهي فريدة عصرها ٠ وكيف اشتبه في معرفتها وصورتها مرسومة في فؤادي منقوشة على صفحات قلبي ٠ ٠ ٠ فلا بد ان اتحقق الامر واطلع على حقيقة الخبر ولا يمكني البقاء في هذه الحالة القاسية وانا معلق بين الارض والسما متقلب على جمر الغضا ٠ فيا سعادتى ان لم يخب ظني ويا فرحتي ان تحقق املي ٠ ثم ازال عنه وعثاء الاغماء وتغلب على

اضطرابه فتمالك نفسه ونزل الى منتدى القوم ولكن لم تطاوعه نفسه على الدخول اليه فارسل فيه رائد طرفه من الخارج وحقق النظر في الجلوس فلم يجد غادته بينهم فتحير في امره وجعل يفكر في كيف يمكنه استقصاء الخبر فخطر في باله ان يسال صاحب النزل عن تلك الفتاة الحسناء ولكنه خاف ان يطلع القوم على سره ويعلموا انها سبب اضطرابه فاحجم لهذا القصد عن السوال وراى الاوفق ان يطلع على سجل هناك يكتب فيه اسماء الواردين للنزل في كل يوم ففعل . ولم يتقدم نحو السجل الا وارتد الى الوراء مذعوراً مجفلا وقد تغرغرت عيناه بدموع الفرح والسرور على وجهه قد طفح ولكنه تمالك نفسه للحال خوفاً من تحويل الانظار اليه وعمد الى غرفته فاختلى فيها . وهناك اطلق لدموعه العنان فسالت مدراراً واعطى لقلبه السرور فجعل يرقص كمن اصابه جنون وهو ينشد ويقول

يا قلب قد وافى حبيبك فاطربِ وبلغت من لقياه غاية ماربِ

فابكي عيوني فرحة بقدومه وايابه من بعد طول تغيبِ

وتمتعي منه برؤية طلعة ان قابلت شمس الظهيرة تغربِ

وتهللي روحي باحمد عوده بعد النوى والي لقاه تقربي

روحي ايا روحي فلي حاجة بك حيث روحي من احب ومطلبي

ان غبت عن جسمي فان حبيبتي رفقا حياتي وهي روحي ومذهبي

ولكنه لم يلبث ان تغيرت احواله وبدل فرحه بالكآبة وسروره بالحزن فرمى نفسه على كرسي هناك وهو منكس الراس مضطرب الحواس وبعد ان افتكر قليلا تصاعدت منه الزفرات وسالت العبرات وانشد

كم ذا تعلل منك النفس بالامل والقلب للوصل بالمحبوب لم يصلِ

قنعت لو منّ في شهد برشفه فذقت صاب الجفا من ذلك العسلِ

فهل يمنُّ حبيبي بعد هجرته بوصله وهو ذو صد وذو جفلِ

فقضى عليَّ الهوى اني ابيت على رغمي واصبح رهن الهم والوجلِ

اقضي نهاري بتذكار وتحرقة ويمطر الليل دمعي ساهد المقلِ

حقق الهي آمالي بعطف رشاً كالغصن ميلا ولي بالعطف لم يملِ

ثم انتصب على قدميه وقد كفكف دموعه وملك نفسه وجعل يقول. ما الذي اتى برفقا الى هذا المكان وكيف نزلت في هذا النزل مع كثرة النُزُل وانتشارها في انحاء المدينة. أهل لاجلي قد رحلت عن بلادها ونأت عن ابيها ولاجلي اقتعدت غارب الاغتراب وعرضت نفسها للمخاطر والاوصاب حتى اذا وصلت الى فالانس علمت منها انني بارحتها اقصد العاصمة فتبعتني واهتدت هنا لمحل نزولي ... اه اه انني لا شك مجنون قد ذهبت بعقلي الاحزان والشجون . فكيف ترحل عن بلادها لاجلي وقد جفتني اذ كنت بجانبها وصدتني ونفرت مني اذ كنت اقرب اليها فهي لا تحبنى ولا تميل اليَّ والسماء اقرب من قلبها اليّ . فما تلك الا اضغاث احلام وتخيلات واوهام يزينها لي الامل ويظهرها لي الغرام . فقد اتت هذه البلاد لمهمة اناطها بها ابوها وقد نزلت في هذا الفندق كما نزلت فيه انا ولا وجه هنا للاستغراب ولا سبيل للتعجب ... فعليّ ان ابعد عن بالي هذه الاوهام ولا اشتغل بالاحلام ... ولكن كيف اسلوها وهي بجانبي وكيف ابعد صورتها عنى وهي منقوشة على صفحات قلبي وكيف اعرض عن روياها وطيفها لا يغرب عن عينى وهل يجوز لي بان اتسلى عن هواها وقد كرست لها نفسي واهتم بابعاد غرامها عني وقد اوقفت له قلبي ... فتحكمي بقلبي ياربة الجمال فهو ملكك وعذبى

فؤادي يا فاتنة اللحظ فهو اسيرك وافعلي ما شئت فانا عبدك · فلاضحين النفس في مناك واموتن بهواك ·

عذبي الصب بالجفا والتجني	يا حياتي و بالتقرب ضني مني
واخلبي اللب بالدلال وتيهي	واسابي مهجتي وروحي مني
واهجري واجرحي الفؤاد بصد	وابتعاد واعرضي الدهر عني
واحرقيني بلوعة وغرام	واغرقيني بادمع شبه مزن
مهما شئتيه فافعلي بي فاني	منك راض ياذات دل وحسن
رفقا مالي عن وجه حبك ميل	وانصراف ولو منيت بدفن

ولا بد لى من بذل الجهد من التقرب اليها فلعل قلبها يلين بعدالشدة ويرحم بعد القسوة فارى منها التفاتاً بعد الاعراض وصلة بعد الصد والهجر فيكون الله قد ساقها اليّ هنا لاجل خلاصي ومنّ بها عليّ لراحتي وسعادتي · ولكن يجب عليّ التاني والصبر فالعجلة تورث الندامة والاسف .

فهم القراء بلا شك بان التي رآها صاحبنا يوسف وسببت له الاضطراب وانزعاج الحواس كانت ابنة اسحق اليهودي · نعم انها هي بنفسها فانها بعد ان خرجت من حضرة ابيها ذهبت فهيأت نفسها للرحيل وسافرت في ثاني الايام قاصدة فالانس · ولما وصلت اليها علمت من السفن الراسية في مياهها ان يوسف سافر معها منذ يومين الى مادريد فاقتفت اثره دون ان تضيع وقتاً وهناك اتصلت بواسطة احد خدمة السكة الحديدية الى معرفة النزل الذي اختاره فاتخذت فيه غرفة الى الجانب الايمن من غرفته ومكثت تترقب مجيئه حتى اتى للغذاء وجلس الى الجانب الايمن من المائدة ففرحت بقدومه ووثقت من نفسها الاستيلاء عليه فجلست تجاهه الى الجانب الآخر ليراها اذا ما حانت منه التفاتة ولما راته مطرق

الراس لا يلتفت الى احد من شدة الافتكار علمت بانها هي سبب همه وموضوع فكرته فازدهت بنفسها واعجبت واستولى عليها الفرح وظهرت بين عينيها هزة الانتقام وعلائم النصر فقالت في نفسها لم يزل حبي شاغلا منه الفؤاد وغرامي محرقاً منه القلب وانعم بذلك من سلاح يخولني عليه النصر ويسهل عليّ الكرة فقد ازف وقت الحرب والصدام. فلأقيمنها يا يوسف عليك عواناً واذيقك من مكري واحتيالي الواناً . ثم انها جعلت تشاغل رجلا بجانبها فسحرته بسحر بيانها واسرت له بغنجها ودلالها ثم صادته بسهام لحظيها واحرقت قلبه بنار خديها فتركته قتيلا بين يديها ثم ابتسمت له فاحيت فؤاده وبشت في وجهه فانشرح صدره ومازحته فعلا ضحكه . وهي لا تقصد من ذلك الا تنبيه يوسف اليها واصلاء قلبه بنار الغيرة عليها حتى حصل ما كانت تترقبه ورأت شدة تاثير الكرة الاولى عليه فطار قلبها من الفرح وتأكد لديها النصر والظفر . ولما حُمل يوسف الى غرفته صعدت هي ايضاً الى غرفتها التي بجانبها لتترقب حركاته وما يصدر عنه . ولما افاق على نفسه بعد الاغماء سمعته يتأوه ويتحسر ويبكي ويتذمر فسرت هي وتهللت . واذ انشد الابيات وشكى الغرام والهوى ضحكت منه وهزأت وهنأت نفسها بالظفر واعجبت بنفسها مزدهية كانها تقول له لم ترَ بعد الاطليعة جيوش مكري وبعض مكائدي وغدري فلأذيقنك ضروب العذاب واطعم لحمك للكلاب . اما صاحبنا فانه بقي يترقب الفرصة لبث لواعج غرامه وينتظر سنوح الزمن الذي به يتقرب اليها ويكسب رضاها وهو ثمل بخمرة الحب آمن من صروف الزمن فكان يراها كل يوم على المائدة فيشغله رؤياها عن الاكل وهي مشتغلة

عنه بمباسطة الرجل الاسباني ومسامرته فيلتهب قلبه غيرة ويضطرم فؤاده حسدا ونقماً و يترقب خروجها من مائدة الطعام فيراها قد اخذت بذراع الشاب المذكور وخرجا من النزل فيتبعهما متستراً ولكن لا يخفى على اللعينة امره فتزيد في دلالها وتضاعف من تراهيها وتلويها ورفيقها يزداد فيها ولهاً و بهواها جنوناً فيطفح على وجهه الغرام و يحسب نفسه في منام فيموت صاحبنا كمدا و يطفح صدره حقدا وغضباً فيتمنى الوصول اليهما ليفتك بذاك المعتدي على حقوقه و يحل محله في ذاك النعيم الارضي. ولكن اذ يرى نفسه عاجزاً قتيل اللحظ واسير الهوى وليس من يطلق سراحه فيبلغ مناه يكتفي من الحبيب برويا ليل شعره المسدل وثقل ردفه المتماوج ويقتصر من التمتع به على تقبيل اثار رجليه اللطيفتين . هذا وهو ذاهل العقل ذاهب الاحساس يمشي في الطريق كالملهوف لا يعي على ما امامه ولا يحيد الا عما يحجب عنه خيال من جذب عقله وسلب لبه حتى اذا رجعا الى الفندق راى نفسه بجانبهما وهو لا يعلم ما يفعل ولا يعرف ما يرى. وكان اذا ازف وقت المنام وحجبت جدران الغرفة سنا الحبيب عن عينه يجلس على عتبة الباب ويحيي سواد ليله بالبكاء والنحيب والتنهد والشهيق . وهي تسمعه وتطرب وتتامل بحاله وتتعجب ولا تزيده في الغد الا اعراضاً وجفاء ولا توليه الا تجنياً وتغاضياً. ولم يمض عليه في تلك الحال بضعة ايام حتى هزل جسمه واصفر لونه وغارت عيناه وخارت قواه حتى عده من رآه من الاموات فلزم الفراش مضطراً وحرم روية حبيبه مقهورا فاخذ جسمه بالانحلال وادركت روحه التراق والاطباء لا يعلمون له داء ولا يجدون له دواء حتى

يشبوا من شفاه ومكثوا يترقبون حلول اجله وتلاشي جسمه . اما رفقا
اللعينة فانها كانت تتنسم كل يوم اخباره حتى علمت اخيراً مصيره الى
حالة الخطر وقطع الرجاء فندمت على تفريطها بالرجل الى هذا الحد
لانها لم تقصد باعراضها عنه وتظاهرها بالنفور منه الا تملكه بالاكثر
وتقييده بهواها فلا يعود له من بدها مناص اذا ما اظهرت له الميل
وظهرت امامه بالمحبة . اما الان وقد افضى امره الى الخطر وسيقضى
عليه ويغدو كانه لم يكن فسيذهب تعبها ادراج الرياح وترجع بالخيبة
والخذلان لانها ما جاءت الا لتتدبر بافلاس الفضل بن يحيى اذا ما اغرت
وكيله على خيانته او سلب المال الذي يحمله هذا بالاحتيال فتربح المال
ويفوز ابوها بالمرام . اما اذا قضى يوسف نحبه فانه سيحجز على ما معه من المال
ويرد الى صاحبه الفضل بحسب وصية الوكيل فتكون بهذا قد ضيعت
المال الذي كانت كسبته لو احسنت التدبير وبليت هي مع ابيها بالخسارة
وسوء المصير. وقد افتكرت بجميع هذا وسبب لها القلق وانشغال البال
وعليه رات بأن تصلح ما افسدته وترجع ما ضيعته وما ذاك الا ارجاع
يوسف الى قيد الحياة وهذا سهل لديها لان بها كان مماته وبها ستكون
حياته فشمرت للحال عن ساعد الجد وترقبت خروج الاطباء من عنده
ولم يبق بجانبه احد فدخلت الى غرفته واقتربت من سريره
ولكنها لم تكد تنظر الى وجه المنكود الحظ الا وارتدت الى الخلف
مذعورة ترتعد فرقاً من عاقبة ما جنته يداها. واكاد اقول بانها تاثرت
لحاله لو لم اعرف ان اليهود لا يعرفون للتاثير اسماً ولا للشعائر الانسانية
معنى وانما توجد فيهم تلك الشعائر التي نقشها في قلبهم التلمود وتوارثوها

خلفاً عن سلف . الا وهي الحقد على كل عباد الله والانتقام ممن خرج عن دين التلمود او الفتك بمن يكسبهم قتله المال . فالى هذه الحالة اتصل المسكين اي الى حالة يرثى لها اليهودي . فخافت رفقا لهذا من الوقوع فيما كانت تخشاه ولكنها تجلدت واظهرت الثبات واقتربت من سرير العليل وقالت بصوتها الرخيم كانها تكلم احدا - كيف حالة المريض وما يقول الاطباء في شانه وهل حالته سائرة بالتحسن او بالعكس . فتحرك المريض عند سماع هذا الصوت وتنفس الصعداء ، ثم فتح عيناه واجال نظره في الغرفة حتى وقع على رفقا فاطاله فيها مدة وبعد ذلك ابتسم ثغره وغمضت عيناه ورجع الى الغيبوبة . فلما رات انتعاش المريض لصوتها فرحت وعاودت الكرة فقالت بصوت يخالجه الدلال ويداخله التزاهي - لا شك انهم يحكمون بوجوده في حالة الخطر فهذا ظاهر عليه ولولا وجود تنفسه الضعيف لحكم من رآه بانه اصبح من سكان القبور . فهذه المرة كانت الكرة اعظم والصدمة اقوى دفعت المريض عن فراشه فانتصب عليه جالساً ثم نظر ذات اليمين وذات الشمال واوقف نظره على رفقا فاغمض عينيه ونكس راسه وجعل يشير بيديه كأنه يرغب ابعاد خيال تجلى له او ازالة تذكار طرأ عليه وهو يقول

- اذهب عني ايها الخيال الكاذب فما كنت لتخدعني بالاوهام بعد هذا . ومن اين لي ان يزورني الحبيب واراه بقربي وقد حكم عليّ ببعده وحتم عليّ جفاه وصده . ثم ضحك كمن يهزأ بنفسه وانطرح بعدها على الفراش ورجع الى الغيبوبة . فلو كان فى الحجر احساس لتصدع او في الجدران لتشققت حزناً لهذا المنظر المؤثر واسفاً على ذبول زهرة هذا الشباب الغض التي وطاتها ارجل العدوان وكادت تقضي في سبيل الضغائن والاحقاد

فاي وقع كان لهذا المشهد في قلب هذه اللعينة نتيجة نطفة ابيها الخناس ومثال تربيته . انها تهللت فرحاً واهتزت طرباً لهذا المشهد المصدع ولم تفتكر منه الا انها هي كانت اصله وسببه وهذا يخولها النصر ويف..
الظفر . يا ويلكم ايها اليهود من شر ما تعملون . ثم استعدت للص وانتضت سلاح المكر فانطرحت على ركبتيها امام سرير العليل وهي تقول

- يوسف حبيبي انا هي رفقا بنفسي فلم ترَ الى الحقيقة فارحمني واشفق عليّ وقل لي بانك عفوت عني وغفرت خطيتي وعدني بانك تعيش لي وفيّ وتمتعني بحياتك وقربك والا فانني اموت لاجلك لا محالة فلا حياة لي بعدك ولا راحة الا بقربك . فانتصب يوسف جالساً عند اول كلمة وهو يرتعد ويضطرب فنظر اليها نظرة ذاهل العقل ذاهب اللب وهو لا يصدق ما يرى ولا يثق بما يسمع ولما انتهت اللعينة من كلامها ادار وجهه نحوها واذ رفت عيناه الدموع وقال - الى متى تعذبني يا طيف الحبيب وحتى مَ تجرح قلبي بتجليك اما كفاك تعذيبك وانا صحيح حتى تروم عذابي وانا عليل مريض اذهب عني يا خيالها المحبوب وخلني اموت بحبها ضحية جفاها وصدها . فمسكت رفقا يديه وشدت عليهما حتى المتهما وقالت .

- يوسف حبيبي ومهجة قلبي ارجع الى نفسك وانظر الى امامك فانا رفقا بنفسي عزيزتك واسيرة غرامك ساجدة امامك انظر اليك بعيني والمسك بيدي واكلمك بلساني فارحمني بنظرة واحيني بكلمة ولا تكن سبباً لمماتي . فانتصب يوسف قائماً على الاقدام كمن صدمته يد جبار وابعد يده عن يدها كمن لسعته افعى ثم وقف عن رفقا بعيدا وبعد ان اطال فيها النظر انطرح على قدميها باكياً قائلا

- رفقا حبيبتي مهجة قلبي منيتي جنتي حياتي انت رفقا بعينك وشخصك قد اتيت لزيارة عبدك وقتيل غرامك وهو على فراش الضنا والعذاب فبشرى لكِ ايتها النفس فقد عادت اليك الحياة وسعداً لكِ ايها القلب فقدوهبت لك السعادة

قدم الحبيب و بالدنو تعطفا	وشـفى بزورته الحشا وتلطفا
قرّي عيوني في سنا لحظاته	فالسهد منك بلمح مقلته انتفى
ولك الهنا سمعي بطيب حديثه	فلقد حباك حلي اللآل وشنفا
قد كنت قبل قدومه بصدوده	شبحاً تناهبه السقام فادنفا
و بعوده عادت حياتي وانجـلا	صداءُ بنفسي كنت منه على شفا
روحي فداؤك ياحبيبة فاعطفي	املي وميلي للمحبة والوفا
يا رفقا بي رفقاً بحقك وارجعي	عن هجر صبك لا تعودي الى الجفا
ما عاد لي روحي على ألم النوى	جلدٌ وما قاسيته فلقـد كفى

ولكن لما ايها الحبيب قتلتني بالهجران وامت قلبي بالصد والجفا وكيف استحليت دمي وسمحت بهلاكي افلم يكن الاجدر بك ان تعاملني بما ينطبق على جمالك اللطيف وخيالك الرقيق ... ولكنٍ عفواً يا حياتي فلالوم بذا عليك فانا الذي سلمتك النفس واوقفت لك الفؤاد ورضيت بان موت بغرامك ان لم احيَ به ... اما الآن وقد مننت بالقرب بعد البعاد و بالوصل بعد الصد والجفا فعديني بان لا تضني بعد الجود ولا تهجري بعد القربى والا فاتركيني اموت بحبك واروح ضحية تجنيك فما لي على بعادك اصطبار وعلى هجرك طاقة اذ الموت عندها راحتي والقبر ملجأي

فانطرحت المحتاله على اقدام يوسف تقبلها وهي تبكي وتتحسر وتتأسف تاسف النادم الحصير وهي تقول - عفواً سيدي عما سببته لك من العذاب بغيرقصد

ومن الالم بغير المراد فان اكن اذنبت فبحر حلمك واسع او اتيت امراً اداً فى بحبك اقوى مجير وشافع · واعلم باني ما رحلت عن اوطانى الا لاجلك ولاركبت الاخطار الا ودليلي غرامك · فرغبة في لقياك بارحت وطني ومسقط راسي وسعياً وراء التمتع بقربك تركت ابي وكل اقاربى وما كنت اصدك هناك وابعد عنك الا خوفاً من والدي وخشية من تحدث الناس بي مع اني اسيرة غرامك وقتيلة حبك ولم اكد اعلم انك بارحت هاتيك الاطلال آتياً نحو اسبانيا الا وتاججت نيران الحب في احشاي فالهبتها ولم يعد لي طاقة على المكوث بعدك ساعة واحدة بل لربما حظيت منك بالذي ارغب في البلاد الغريبة حيث لا اخشى بحبك عذلا ولا في غرامك لوماً وما قصدت بصدك هنا الا التمكن من محبتك وما منعي من الانطراح على اقدامك الا حياء النساء وماء وجه ربات الخدور وانا لا اعلم ان سيفضي الامر الى ضرك وعذابك ومرضك وسقمك

غادرت في حبيك رؤية والدي	وديار خلاني وعز الملتقى
وتركت اعزازي وكل سعادتي	وعرضت نفسي للمذلة والشقا
وغدوت مثل حمامة في قفرة	ناحت على عذبات بانات النقا
اذنبت في هجراءك مهجتي	ونسمت فاعف وكن بربك مشفقا

اما الآن وقد تاكدت بقائك على محبتى وقد منيت من حبي بالنحول والاعتلال فقد اتيت اطلب من حلمك عفواً ومن محبتك عذراً فانى مستعدة لتضحية النفس في سبيلك والموت في غرامك فخذ قلبي هدية بغير ثمن ونقبل حياتى ضحية ذكية · وها انا ذاهبة عنك الان لئلا يضر بك التاثير والانزعاج فقد اصبحت لاتقوى على المكوث طويلا خارج الفراش

فارجع اليه واسترح وتعاف وعش لاجلي فانا لا ابغي الحياة من الان الاّ بك ولاجلك . قالت هذا ومشت نحو الباب تتمايل تمايل الغصن الزاهي ويوسف شاخص بها متامل في بديع جمالها مطرب بلذيذ حديثها ولم يدعها تخرج الا لانه غاب عن الحواس ولم يعد يعرف اهو في الارض الفانية ام في جنة الفردوس الدائمة . ولما غابت عن عينه رجع الى نفسه وتذكر بما كان فيه وبالسعادة التي نالها والتي سينالها فانشد

احيِ غرامك فالغرام حياة — والعيش من دون الهيام مماتُ
لا خير في عيش يمرُّ بلا هوى — فالعشق قد جمعت به اللذاتُ
بعد الحبيبة شبه نار جهنم — ودنوها لمحبها جناتُ
هنئتِ يا نفسي بقرب حبيبة — بهرت بشمس دنوّها الاوقاتُ
فستلتقين على الدوام سعادة — رفعت لها فوق العلا الدرجاتُ

ثم اذرفت عيناه من دموع الفرح مدراراً فنفت عنه الاكدار والغموم ثم انتبه ان به تعب وخوار قوى فعلم انه بحالة المرض فعمد الى سريره ونام مطمئن البال مرتاح الفواد . ولما انتبه رأى الطبيب بجانبه يتامل فيه وينظر الى حاله وعليه علائم السرور والاستبشار فكلمه الطبيب قائلا — لقد نمت هنيئاً ومُتعت عافية وشفاء انني ارى فيك من علائم الشفاء والصحة ما حيرني امره وبعد ان كان املي ضعيف بشفائك اضمنه لك الان واهنئك به سلفاً . ولكنني في غاية الانذهال والاستعجاب من هذا التغير السريع واظن بان لذلك سراً وارجح ان هذا السر غم قد زال وكربة قد فرجت . فتبسم يوسف اذ ذاك وفرح لكلام الطبيب وقال — انني اري بنفسي قوة ونشاطاً واشتهاء للطعام وكل ذلك دليل الخير وبشير الصحة فالامل ان يكون كلامك صحيحاً ولكن لا سر

لذلك سوى اعتنائك بي واهتمامك بمداواتي فاشكرك عليها كل الشكر وتراني مديوناً لك بالحياة . فلم يغير كلام يوسف فكر الطبيب ولكنه لم يحاول استطلاع الخبر احتراماً للاسرار ثم خرج بعد ان فحصه ووصف له العلاج واوصاه بالتحرز من البرد والتزام الحمية خوفاً ان تكون النكسة شراً من الداء

وبالحقيقة ان بالحب اسرار اوجدها الخالق الحكيم يحير فيها كل متامل ويقف عن ادراكها كل تصور فما هي تلك القوة السرية وتلك الروح الخفية التي احيتا صاحبنا بعد الممات وارجعتا اليه الصحة بعد ان فارقته انني اوجف خوفاً من سبر غور هذا السر المكنون واحجم احتراما لهذه الروح اللطيفة الخفية فاقصر القلم عن الخوض فيما حارت فيه العقول ٠ ولكن لا حرج عليَّ ان بسطت ما سهل لديَّ فهمه وهو ان صاحبنا يوسف لم يصب بعلة ولا بمرض ولا بداء صعب البرء والشفاء بل ان علته كانت مجرد سقم ناتج عن انشغال الفكر واضطراب البال وما اصل كل هذا الاحبه لشخص وشدة شوقه للتمتع به والانتعاش برؤياه فكان قرب الحبيب من فؤاده مقام القوت من الجسد وصلته مقام الروح من الجسم ٠ ولما احرم فؤاد يوسف من القوت وجسمه من الروح عند صد الحبيب وهجره الهاه هذا عن الانشغال بامر جسمه واحرمه القوت والرقاد فضنى وسقم وسار بالخوار وقارب الاضمحلال ٠ فكان من البسيط اذاً ان نرى هذا الميت قد عاش اذ رجعت اليه الروح وهذا الفواد قد اشتد عندما اتاه القوت ٠ نعم ان يوسف قد عاش بعد الممات ولم يمض عليه الا ايام قلائل حتى رجعت اليه صحته وقام ينفض غبار العلة بسرعة توجب الحيرة والانذهال ٠ وكثيراً ما كانت تزوره رفقا ويزورها وتسامره ويسامرها

وهي لا تفاتحه بما يخالج سرها لانها كانت تنتظر رجوع القوة الى يوسف ليمكنه بها مقاومة الصدام وصد الكرة حتى حصل على تمام الشفاء وتمكن من الخروج منها للتنزه في احدى ضواحي المدينة المقفرة فاقبلت عليه وقالت له - ها قد منّ الله عليك بالشفاء وردك الله اليّ بعد قطع الرجاء والحمد له على ذلك فعدني الان بانك لا تبعد عنى وعاهدني على البقاء بجانبي فلم يعد لي صبر على فراقك ولاحياة بعد البعد عنك

- انني افتخر بحبك لي واسعد لعلمي ان قلبك في يدي وكيف ابعد عنك يا مالكة الفواد وبعدك كاد يحرمني الحياة او كيف افارقك وقربك اعادها اليّ فاعاهدك بانني لا اعيش من الان الا بك ولاجلك وافضل الموت على البعد عنك لا سيما واني اعلم ان ذلك يسوءك ويكدرك فلا عاش من يكون السبب في تكدير صفاء راحتك . فانني بعد ان اقضي اشغال سيدي هنا واقوم بالمهمة التي اناطها بي ارحل بك الى صوصه واخطبك رسمياً من ابيك وان كان دينك يغاير ديني . اما اذا لم يقبل هو بهذا فاني اتزوجك بدون رضاه وان اردت البقاء على معتقدك فانت وشانك فلا تعلق للدين في حبنا فانت ديني ومذهبي ومعبودي ومعتقدي .

قال هذا ونظر الى عينيها نظر من يروم الاطلاع على خفايا قلبها فرآها كثيفة البال غارقة في بحار التامل ثم رآها نظرت اليه بطرف حزين وجرت دموعها السكينة على خديها وهي صامتة شاخصة لا تحرك فطار قلب حبيبها لفعلها وقام اليها فمسك يديها وجعل يقبلهما و يقول اخبريني يا حياتى ما الذي يحزنك وما الذي يبكيك فقد احرق قلبي فعلك فقالت له

- انك ترى السراب وتحسبه ماء والمنام وتظنه يقظة . كيف

يمكنني يا هذا الرجوع الى اوطاني بعد ان شاع امري واشتهر فيه حبي لك حتى علم اني رحلت منها لاجلك وفضلك عن والدي واهلي واقاربي وكل ما هو عزيز لديّ او كيف يزوجني والدي لك وهو يكره كلما هو خارج عن دين موسى و بعيد عن دين التلمود ولو كان في الامكان حصولي على مناي وانا في بلدي لما كنت رحلت عنها واتبعتك · واذ رايتك تنوي الرجوع اليها بكيت على نفسي وندبت سوء حظي وعلمت بأني من امانيّ في غرور · واعلم يا يوسف ان لا حياة لي بعدك وقد صممت لذلك النية على القتل بنفسي ما لم تعدني بانك لا تبارحني ولا ترحل عني ولا تخليني هدفاً لسهام المصائب

– وكيف يمكن يا ربة الفؤاد ان ابقى في هذه البلاد وانا مامور منتدب لقضاء مهمة سيدي فقد كلفني هذا بحاجته وسلمني ماله ومراكبه وجميع ثروته فهل يمكنني الا الرجوع اليه بعد قضاء حاجته لارجع له ما سلمني من الصالح والمال فما العمل يا فاتنة اللحظ وكيف التدبير وباي واسطة يمكنني ان ارضيك · فلم يكد يتم كلامه الا وضحكت حتى استلقت على قفاها وقالت – انك في الحقيقة قليل الحيلة عديم التدبير فاي امر ابسط واي واسطة احسن من فرارنا معاً الى بلاد غريبة حيث لا يعرف لنا خبر ولا يوقف لنا على اثر وهناك نكون في امان من صروف الزمان بعيدين عن استقصاء الحكومة وصرامة القانون · · ·

فكانت الصدمة عظيمة والضربة قوية على راس صاحبنا المنكود الحظ فدفعته الى الوراء عدة خطوات فكانه كان في منام واستيقظ وفي غفلة وانتبه وتجلت له الحقيقة الساطعة وكادت تعمي عينيه فارتعد منها فرقاً

ونظر الى رفقا نظرة المستطلع المتعجب الخائف لعله يرى منها ما يستدل منه
بانها قصدت بذلك مزاحاً فرآها ثابتة صامتة ناظرة اليه نظرة الآمر المتحكم كأنها
تامره بعينيها الانقياد لاشارتها والخضوع لامرها وهي تنتظر منه الجواب
بالايجاب فرد عنها طرفه واطرق برهة الى الارض لا يتكلم ثم رفع راسه
مقطب الوجه دامع العين وقال لها - لا لا فلا اخون سيدي ولا انكث
بعهده فانه إئتمنى على ماله وسلمني ثروته وصوالحه واشغاله وانتدبني لقضاء
مهمة في هذه البلاد فلا اضيع ثقته بي ولا اخيب ظنه في اماني ·
لا ليس الخيانة من شاني ولا نبذ الجميل من خصالي واني افضل
الموت على ان ابادي من وثق بي بالخيانة ومن غمرني جميله بالكفران

فانتفضت رفقا من الغضب عند سماع هذا الكلام ووثبت قائمة على
الاقدام ونظرت مهددة موعدة وقالت

قد ظننت انك صادق في محبتك ثابت في غرامك فعللت نفسي بالامال
واملت بالسعادة في قربك واتبعتك · فلاجلك ركبت الاخطار و بارحت
وطني العزيز ونبذت الوالد والاقرباء والاهل والعشيرة ولاجلك جعلت نفسي
مضغة في افواه الناس وارتكبت العار والشنار واخيراً لاجلك تركت ديني ومذهبي
وجلبت عليَّ غضب ربي ووالدي كل هذا حباً بك ورغبة في القرب
منك ولم اكلفك مقابل هذا الا المكوث بجانبي واجتناء ثمرة حبي كل
هذا وانا اظنك صادقاً في محبتك مقيم على عهدك فعلمت بانك كمن سواك
من الرجال لا تعرف للحب معنى الا الشكوى ولا للغرام داعياً سوى الاميال
الجسمية · فاراد يوسف ان يقاطعها هنا معترضاً فقال رفقا سيدتي فمنعته
قائلة - صه يوسف فلم يعد يخدعني كلامك و يغرني ظاهرك ولو كنت

صادقاً لاثرت البقاء بجانبي ولم تحفل بما تسميه خيانة ونكث عهد. وما هو فعلك بجانب ما فعلته انا . فانا الخائنة الجانية المجرمة واي خيانة اعظم من فرار فتاة من بيت ابيهـا وراء معشوق يدعي العشق والهيام وتسليم نفسها لمن لا يعرف مقدار فعلها. كل هذا فعلته لاجلك وما زلت ترى المكوث بجانبي خيانة . . ؟ فاعلم ان الخيانة الحقيقية هي تخليك عن امرأة ضعيفة تركت العالم اجمع وتبعتك وتركك اياها منكسرة القلب كليمة الفواد وحيدة بغير عون ولاسند ستقاسي من بعدك اليم العذاب وتموت منفية عن ذويها قتيلة حبك وضحية هواك . قالت هذا ثم بكت واشتكت وتنهدت الحسرات واسالت العبرات كل هذا وصاحبنا شاخص في جمالها مسحور ببيانها وقد كسر غضبها سلاحه وابطل حسن القاها شوكته وهو لا يشك بان كلامها صادر عن عظيم حبها وثورة غرامها لا سيما اذ راى بكاها وسمع عويلها فانه اصبح ذاهل اللب ذاهب العقل محتاراً فيما يقول متردداً فيما يفعل. ولمارات المحتاله تاثير فعلها فيه ودلائل استيلائها على عقله فرحت وارادت تمام الاستيلاء وغاية الانتصار فمدت يدها الى ما بين ثدييها واخرجت خنجراً ماضي الشفرتين وابتعدت عنه عدة خطوات وقالت بصوت تخنقه العبرة ويميته الحزن.

آه ما اسوأ حظي بالهوى وعذابي من تباريح الجوى
كم تقاسي مهجتي من حرق من هوى محبوب قلبي والنوى
هل لقلبي في هوي من صدني من معين او مجير في الهوى
ضاق صدري قل صبري وانقضى عمري وانصرمت مني القوى
وارى موتي لي اربح من بعد محبوبي وحبذا الدوا

نعم نعم لا عيشة لي بعدك ولا لذة لي بالبقاء بعد بعدك فالموت ملجأي

والحمام راحتي ٠ ولكن تذكر بانك انت الذي قتلتنى غدرًا وامتني ظلماً وان سامحتك بقتلي وضحيت لك حياتي فان روحي المظلومة ستزورك في كل حين وتظهر لك بثوب المتشكي المتظلم وتناديك بذاك النداء المرهب المهيب : انت كنت السبب في قتلي فاطالبك امام الحق بحياتى ٠٠٠ ! ثم رفعت يدها بالخنجر وكادت تضرب نفسها به حقيقة لولم يهجم عليها يوسف وهو ذاهب العقل طائر اللب وحاول امساك الخنجر من يدها فدفعته بعنف قائلة خلني اموت الان وانا اراك ولا اموت ضناً وسقماً بعدك واذهب قتيلة صدك وبعدك ٠ ثم جعلت تحاول ابعاد يوسف عنها واطلاق يدها بالخنجر لتضرب به نفسها

ان القلم يقصر لعمر الحق عن وصف حالة هذا المسكين اسير الهوى والعوبة الغدر ٠ فانه كان يتمنى ان تزوره المنية في تلك الساعة المهولة ولا يقف هذا الموقف الحرج ويكون مخيرًا بين ان يخون سيده ويفر بامواله كالمختلس السارق او ان يسمع بموت مالكة قلبه وسالبة لبه بل حياته وراحته ومناه وجنته فيفي بعهده و يكون كالقاتل السافك ثم يموت بعدها اذ لا حياة له بعد موت قلبه ٠ ولكن لا وقت هناك للتردد ولا فرصة للتامل ولا بد من الاختيار العاجل فاختار اخف الضررين واهون الشرين وهو ان يعد سارقاً مختلساً ولا يكون قاتلا سافك الدماء ٠ فانطرح على اقدام رفقا باكياً منتحباً قائلا - لم يبقَ لي ارادة غير ارادتك ولا فعلا مختارا سوى ما تامرين فمريني باللتى تريدين فاني عبدك المطيع واسيرك الخاضع ٠ وقد صدق فيما قال فانه قال هذا ولم يعلم ما يقول واتى اعظم المنكرات وهو لا يعلم ما يفعل فطوباه من ضحية غدر ورحم الله ثراه من قتيل غرام ٠ فقالت الماكرة عند ذلك وهي فرحة منتصرة - انا لك مذ الآن فخذني وتمتع بجمالي واجتنِ زهرة صباي فالفرصة مناسبة

والموقف خطير . . !

الفصل الخامس

على الباغي تدور الدوائر

خرج علي بن صالح المغربي من تونس وترك الاميرة فاتنةاسيرة هواه لان قلبها قد مال اليه لاول نظرة وتمنت لو امكنها في الحال ان ترمي بنفسها اليه وتقول له . خذني فاني لك فلم يبق لي صبر عن جمالك وغنى عن حميد خصالك ولكنها كانت مقيدة بارادة ابيها فلا يليق بها ان تحنث بيمينها التي اقسمتها امامه فتهينه في المجد وتصبح هدفاً لغضب المولى . ولكنها تمنت لو اختار علي ذلك الاناء الذي فيه صورتها فترضي بذلك والدها وتفوز هي بمناها ووطدت النفس على تسهيل العلامات وتكثير الاشارات له لئلا يخطى سهمه المرمى فتكون الخسارة على الاثنين . ومكثت تترقب رجوعه اليها فلم يرجع وقد جهلت بانه سافر الى بلده صوصه للحصول على المال . ولو علمت لمنعته عن ذلك لا محالة وتلافت ما كان عتيداً ان يحصل من المصائب والاهوال ولكن قدر الله ذلك ليقضي امراً كان مفعولاً . فسبحانه مدبر الكون بحكمته القدسية مسخر الكل لتنفيذ ارادته الالهية . ولما طال على فاتنة المطال تعجبت من عدم رجوع علي اليها لانها اظهرت له كل انس وبشاشة وتركت له محلاً للامل هذا فضلا عن انه وعد بالعودة القريبة ولعله العود الاحمد . ولكنها كانت تشعر بسرور في قلبها وانشراح في صدرها امات منهما الحصول على مناها لانها كانت ممن يعتقد بدلائل القلب وامارات النفس ولهذا مكثت تنتظر رجوعه العاجل اوالآجل

هذا ولم تنقطع عنها الطلاب ولكنهم ندروا عن ذي قبل لحبوط مسعى الجميع ولم يكن يقصدها الا اسير لحبها مغرم بهواها حتى جاءها يوماً امير من الجزائر من ذوي البسالة والاقدام المشتهرين بالشهامة وحميد الخصال ولكنه كان اسمر اللون تلوح على وجهه اثار الشجاعة والرجولية لا اثار الجمال واللطافة فاعرضت عنه باديء بدء اولا لقبح منظره ثم لان قلبها مقيد غير مطلق . ولكنه كان قد سمع بامر الاواني والصورة فابى الرجوع الا بعد اختيار الانية وجعل يستعطف خاطرها ويرجوها الالتفات والرفق فاضطرت مقهرة لمساواته بمن سواه وقبل ان تدخل به محل الاختبار حاولت منعه بقولها

انى سادخلك الان الى محل الانتخاب ولكن قبل الدخول اليه يجب بان تقسم لي اليمين المغلظة بالا تعود تفكر بعد بمحادثة النساء والتزوج بغيري اذا ما خابت امالك وحبطت مساعيك لديّ والا فارجع من حيث اتيت ولا تحدث النفس بالحصول عليّ

فقال لها بغير تردد — اقسم لكِ بهذا البتار وشرف ابائي وقومي الشجعان الاخيار بانني لا اعود الى الفكر بالنساء وانذر بعد اليوم الزهد والبكارة فلا يحركني جمال امرأة ولا يهزني دلال غانية ان حرمت التمتع بجمالك يا ربة الجمال الباهر وذات الدلال الزاهر فدخلت الاميرة امامه الى قاعة الانتخاب وهي توجف خوفاً من نجاح مسعاه ولما وصلا اليها اوقفته تجاه الاواني وقالت له اقرأ ما عليها وتانى في الاختيار فانت الان بين امرين اما الحصول عليّ او تحريم النساء عليك. فنظر الامير الى الاواني فقرأ على الذهب هذا البيت

ان الذي يختارني يحظى بما ... يبغي الكثير من الانام نواله

ثم قرأ على الفضة

اذا اختارني طامع بالنوال ... فيعطى على قدر ما يستحق

ثم قرأ على الرصاص

ومن يختارني يقضي عليه ... يبذل النفس وا ال النفس

فتامل طويلا في هذه الابيات وفكر مليّاً في معانيها وهو متحير خائف فقال في نفسه ان اخترت انية الرصاص خاطرت بنفسي وبكل مالي وذلك في سبيل اناء من الرصاص الاسود الوجه· ومن جهة اخرى فلا يحتمل بان هذه السيدة العديمة المثال تشرى بالرصاص فعليّ اذاً باللجين الوضاح فلعلي اجد بياض حظي ببياضه فقد نقش عليه بان منتخبه ينال ما يستحقه · ومن يستحق الاميرة اكثر مني وانا من بيت اثيل المجد رفيع العماد تخشى الاسود باسي وتهاب الملوك قوة مراسي··· ولكن كيف اختار الفضة واترك الذهب فانه منقوش عليه من اختارني نال ما تمناه كثيرون · فهي المنى وهي غاية الارب وفوق ما استحق فلا شك ان الذهب محل لصورتها فهي سيدة النساء وهذا سيد المعادن فلأطمعن بالذهب واعرض عن الفضة ولا شرينها باغلى الاثمان · ثم التفت الى الاميرة وقال لها اعطني المفتاح يا مولاتي فقد اخترت الذهب لانه لون شعرك الفاتن فتبسمت فاتنة فرحاً وهو يظن بانه اصاب المرمى وناولته المفتاح· ولما ازال به الحجاب عن داخل الآنية راى فيها ورقة بدل الصورة فامتقع لونه واضطربت حواسه وكاد يغيب عن الصواب لولا حياته من الاميرة فتمالك نفسه وتشدد وتناول الورقة بايد مرتعشة وقلب مرتجف فقرأ فيها هذه الابيات

يغتر كل امرء فيا له ذهبا ... ما كل لامعة من معدن ذهبا

يا طالما باعت الاقوام انفسهم حباً بوصلي ليحووا الجاه والنشبا
راوا الى وجهي الوضاح فانبهروا وفاتهم ان تحت الوجه بئس نبا
وان طي نواويس مزخرفة نتانة ورفاة تجلب العطبا
فلو حويت الذكا والعقل فيك كما تحوى الجسارة وبالاقدام والادبا
لما ضللت وفي ذا الحكم عن غلط اخطات واخترت حمل الهم والنصبا
قد خاب مسعاك فاذهب آيساً قنطاً وارجع بخفي حنين واقصر الطلبا

فكاد فؤاده يتمزق من شدة الغيظ ورشده يغيب من كثرة الاسف ولكن علم ان لا مرد لهذا الحكم ولا سبيل لاعادة الانتخاب فودع الاميرة وهو منكسر الفواد وزكى قسمه الاول باخر انه لا يفكر بعد هذا قط بالنساء وهكذا قُضي على هذا الباسل بان يموت بحبه ولا ينال من الغرام بغيته . وبعد ايام قصدها اخر لحلفته اليمين ورجع كالامير بخيبة المسعى لانه اختار الفضة وابى ان يخاطر بنفسه وما لديه لو وقع اختياره على الرصاص وحصل هذا من كثيرين غيرهما فرجعوا بخفيّ حنين وهي تنتظر مجيء صاحبنا علي. والغريب بانها كانت كلما توالت الايام على غيابه ازدادت يقيناً برجوعه واملا بالحصول عليه فسبحان المناجي الحكيم الرؤوف الحليم. واخيرا ما زال املها حتى تحقق. فان علياً مذ حصل على المبلغ بضمانة صاحبه لم يمكث ببلدة صوصه الا بضعة ايام لقضاء ما يلزمه من الحاجات ثم سافر بعدها الى تونس فوصل اليها وهو يطير فرحاً ويهتز طرباً وقصد على الفور قصر الاميرة فاتنة وهناك خفق فؤاده وحسب للفشل الف حساب ولكنه لم يلبث ان اطمأن باله اذ ظهر له نور ابتسامها وعين رضاها فرحبت به وانزلته محل السعة وقامت باكرامه كل القيام وبعد ان مكث لديها ساعة قال لها انني قد اتيتك الآن خاطباً ولفريد جمالك طالباً نعم انني لست

اهلا لك يا من تفردت بالجمال ولا استحقك يا من هي وحيدة في شرف الاصل وحسن الخصال ولكني ساضحينَّ النفس حباً برضاك واستسهل الصعب في سبيل مناك فلعلي استحق هذا الجمال با مانتى وهذه الذات باخلاصي فارجوك ان تقابلي طلبي بالرضى وتحليه محل القبول

- جئت على الرحب والسعة ايها السيد المهاب فاني ارضى بك زوجاً واختارك لي بعلاً لان الشهامة تلوح عليك وملامح المروءة والرقة تشير اليك ولكنك تعلم انى مقيدة بامر والدي فلا اعصي امره واخالف وصيته وقد بلغك على ما اظن خبر الاواني الثلاث ففي احدها صورتي ان اخترتها فانا لك وملك يديك . وغاية مناي ان تصيب المرمى وتختار الصحيح لافوز بك واحظى بلطفك فقد سئمت نفسي الانتظار واخشى من الوقوع في ايدي من لا ارضاه فاجابها اشكرك مولاتي على ما ابديتهِ من الرقة والتعطف وحسن الالتفات واني اعد نفسي سعيداً ان حل طلبي لديك محل الرضا والقبول . فهيا بنا من الان الى محل الاختيار فلعلي افوز بالمنى بالهام الحكيم الستار . وحالما وقع نظره على البيت المنقوش على انية الرصاص قال هذا هو حالي وما يليق بشاني . فانني جئت مخاطراً بنفسي وكل ما لدي فان لم انجح في هذه الكرة لم يبقَ لي في الحياة مطمع وصار الموت عندي اعز الاشياء . فابتسم عند ذلك وقال . قد اخترت انية الرصاص يا سيدتي بعد الاتكال على الله فلعلي فزت بالمنى ونلت المراد . فانطرحت الاميرة عند ذاك على عنقه وجعلت تقبله وتقول له انت زوجي من الان فقد اخترت الصحيحة . والحمد لله على وقوعي في ايدي من احب واختار فعانقها هو ايضاً وبلل عنقها بدموع الفرح وهنئا نفسيهما ببلوغ الارب . وبعد مضيّ

يومين اولمت الاميرة فاتنة الولائم ودعت الاكابر والاعيان فزفتها اهلها الى علي ابن صالح باحتفال رائق وابتهاج شائق . و الناس بين حاسد له على النعمة التي نالها ومهنئ بها

وكان الفضل في كل هذه المدة مطمئن القلب مرتاح البال لا يحسب للمصاب حساباً وهو يترقب وفود وكيله يوسف بالاموال والتحف فيفي اليهودي ماله بينما يظهر من صاحبه خبراً . كل هذا واليهودي يهزأ به ويترقب بفروغ صبر انقضاء الاجل . ولما قارب الانقضاء تعجب الفضل من تاخير وكيله وحدثته نفسه بوقوع مصاب عظيم وخاف من انقضاء الامر واجراء الحكم عليه . وقد علم الناس بامر الشروط الغريبة وعلموا ان في الامر سراً مخفياً وقصداً منوياً . وخاف بعض الاصدقاء على الفضل من مكر اليهودى الملعون فذهبوا اليه وسعوا لديه بتحوير الشروط وطلبوا منه الرفق فقال لهم - عبثاً تتعبون نفسكم في تغيير مقاصدى فاذهبوا الى صديقكم وانذروه بتنفيذ الشرط المتفق عليه فلا مناص من تنفيذه . فقالوا له وما فائدتك يا اسحق من قطع لحم الرجل . فدمدم اليهودى وتمتم واخذته هزة الانتقام فقال - كم من مرة اسلف المال بغير الربي وعارضني في اشغالي حتى الحق بي التاخير والخسران وليس هذا فقط فانه طالما اهانني واحتقرني وطعن في امتي وكره الناس بي فاحتملت كل ذلك بصبر وذلة . اما الآن فقد حان وقت الانتقام وان لم امزق لحمه باسناني فساطعمه لسمك البحار . يا قوم أليس اليهودى بشر مثلكم ومن صنع باريكم وله اعضاء كاعضائكم واحساس كاحساسكم ومشاعر كمشاعركم فان كلمتموه تكلم وان اهنتموه تألم وان اسأتموه تأوه وان احزنتموه تحسر وان اغضبتموه غضب وان باسطتموه بسم . نعم هو مثلكم الا في معتقدكم

وفي الانتقام منكم فهو يهودي لا يعرف الرحمة وحقود غرامه الانتقام. فاعلموا ذلك وانقلوا كلامي هذا بالحرف اليه وخلوه يستعد لشرب صاب الحمام من يد من لم يخش باسه الى الآن. فذاع هذا الخطاب في المدينة وبلغ مسامع الفضل بن يحيى فخاف على نفسه من الهلاك وكتب الى صاحبه علي في تونس يخبره بكلما حصل ولكن الاجل انقضى قبل ان يحضر الجواب من على فرفع اليهودي امره الى قاضي المدينة ودخلت القضية في التحقيق.

اما ما كان من امر علي بن صالح فانه وصله كتاب صديقه الفضل فطار قلبه اسفاً على حالته ولام نفسه على انشغاله بالغرام عن صديقه حتى قضي الامر ولكنه يعذر من جهة ظنه ان المال متوفر لدى صديقه وجهله ما طرا من الحوادث. فللحال دخل على قرينته الاميرة وقص عليها القصة فاعطته عشرة آلاف دينار وقالت له اذهب بنفسك الى صوصه لخلاص صديقك الفضل فان كل هذا قد حصل من اجلك فسافر ممتثلا لامرها وهو يتمنى لو كان له اجنحة يطير بها الى خلاص صديقه. اما الاميرة فانها بعد ان خرج علي من لديها اسرعت الى الباي الذي هو خالها وطلبت منه ان ينتدبها للحكم في هذا الامر. فقبل الامير رجاها وقال لها ان امير صوصه محتار في الامر وقد بعث يطلب رايي فيه فالبسي لبس القضاة وسافري الى صوصه نائبة عني وانا واثق بانك ستتصرفين هذا الامر بدراية وحكمة

وفي اليوم المعين لسماع المحاكمة تقاطر الناس افواجاً وفرادى لسماع الدعوى حتى غصت بهم قاعة الحكم والدار ولما اكتمل الجمع برئاسة الامير والقاضي طلب القاضي من اليهودي ان يشرح دعواه فشرحها وبين ظاهرها وطلب.

الحكم بتنفيذ الشرط المتفق عليه من الجانبين فجعل الامير اذ ذاك يعظ اليهودي ويحذره من عقاب الله اذا اصر على الانتقام فلم يحوله الارشاد والنهي عن عناده وقال لا معنى عندي للرحمة ولا مجال للعفو فعليكم ان تنصروا الحق وتحكموا بتنفيذ الشروط والا قامت على العدل والحق السلام. فقال له القاضي كيف تنتظر من ربك رحمة ولم ترحم غيرك فقال لا ابتغي من ربي رحمة ولا اروم من القانون رفقاً وكيف ابغي الشفقة وليس في شرطنا رحمة او اشفاقاً فاحكموا بالعدل يا خدمة القانون الصارم واعطوا الحق لذويه والا فدعوني اقول ان الحق والعدل قد ضاعا من العالم. فاجابه القاضي برزانة - ان صفة الرحمة يا اسحق لا حدّ لها ولا نهاية فهي كالغيث ينزل على الراحم والمرحوم فيكون لهما بركة ونعمة. وان شئت فقل انها الزم للقلب من القوت للجسد والا فمن فقدها عدّ كالوحوش الكاسرة او الذئاب المفترسة. اما مقدارها فهو بقدر عظم مقام الراحم وهي ضرورية للمقتدر واكثر ضرورة للملك من صولجانه. لانها دليل الحلم والعفو والاحسان وذاك عنوان العنف والقوة فعليك بالرحمة يا اسحق فهي خير دليل وارفق بهذا الرجل الكامل الصفات ولا تجعله يلقى الشر في هذه الدنيا جزاء على ما تعوده من الخير والاحسان فتضاد بذلك الارادة الالهية والطبيعة الانسانية وهذا فضلاً عن انى اتعهد لك برد مالك وفوقه الف دينار وينتهي الامر بسلام. فقال اسحق - كنت اظنك منصفاً يا حضرة القاضي واعدّك فيلسوفاً عند ما سمعت باديء بدء الفاظك الدرية وافكارك السامية ولكنك قد اتيت في الاخر بما خالف ظني. فما فائدتي من الرحمة انا وهل تجوز اذا كان بها الظلم والاخلال في القانون

فليست الرحمة من العدل. اما الاربعة الالاف دينار فلا ارضاها واعلم بانك
اتيت للحكم بالحق لا للصلح والمساواة فافعل اذاً الواجب عليك ولا تدخل فيما
لا يعنيك. فصاح علي بن صالح وقلبه يتمزق من الحزن والغيظ - ارحم ايها اليهودي
وترفق بحالي فان عفوت عن هذا الرجل صرت انا مع جميع اصدقاء الفضل
الحاضرين لك عبيدا واطلب مقابل عفوك عنه ما شئت مني فلاجلي
وقع في يدك فخذ مني اذاً عشرة الاف دينار بدل الثلاثة او عشرين
او ثلاثين فاجابه اللعين بتأنٍ وهو باسم مسرور - لا اطلب غير رطل
لحم من اقرب نقطة من قلب الفضل بن يحيى. فقال له آخر ارضَ
بثلاثين الف دينار فهي خير لك من قطعة من اللحم لا قيمة لها فاجابه.
ان رطل اللحم في شرعي لا يقابله ثمن ولا نقدر له قيمة وقال اخر. ارحمه
يا يهودي واشفق على اصحابه فاجابه انا في موقف انتقام لا في موقف رحمة
فضاق صدر الفضل عند ذلك وفرغ صبره وسئمت نفسه الحياة فقال
للامير بانه هو ايضاً يطلب الحكم بتنفيذ الشرط وان خصمه لم يطلب الا
الحق. فقال له القاضي. قدم له صدرك اذاً. ففعل فاخذت اليهودي
عند ذلك هزة لانتقام فقدحت عيناه الشرر ونفث صدره سم الحقد
والضغينة فاستل سكيناً اعدها لهذا القصد وتقدم نحو فريسته وهو يرتعش
من الفرح. فطار فؤاد علي بن صالح لفعله وهجم كالاسد على اليهودي
فاختطف السكين من يده وهو ينتفض من الغضب والحزن وصاح بملء
صوته - يا ويلكم ايها الحكام من غضب الله وعقاب الآخرة هل
اصابكم جنون حتى تسلموا ناصر الانسانية وعزيز الوطن الى هذا اليهودي
القاتل الـافك او هل قُدَّت قلوبكم من الصخر او جردت عن الحق

والانصاف حتى تتركوا الدم الزكي البريء يهرق بايدي الضغينة والعدوان المدنسة فتباً لهذا القانون. . . فزجره القاضي « قرينته الاميرة » على فعله وقال له لا تتعرض لما لا يعنيك ودع الحكم لاربابه. ثم التفت نحو اسحق وقال . هل اتيت بميزان لتزن اللحم وجراح يمنع الدم من النزيف فقد عزمنا على انصافك واعطائك حقك فلا نخرج عن القانون. فقال قد اتيت بالميزان ولكن لم يخطر ببالي الجراح اذ لا يهمني ان مات غريمي او عاش. فقال القاضي حيث انه لا يمكننا الخروج عن القانون ويجب علينا ان ننصفك ونحكم بتنفيذ شرطك كما هو فقد اذناً لك بقطع رطل اللحم من جسم غريمك كما تطلب ولكن اياك ان تسقط نقطة واحـدة من دمه فليس مذكوراً في الشروط ان تاخذ الدم ايضاً لحياتك اذاً تكون فداء لنقطة واحدة من دمه . واياك ايضاً ان يزيد المقطوع درهماً واحداً عن الرطل فالدرهم فداؤه حياتك فتقدم الآن ونفذ الحكم بحضرتنا . فصاحت الجموع اذ ذاك وعلت منهم اصوات الفرح وتصفيق الاستحسان ودار الاصدقاء بالفضل يهنئونه وهم متعجبون من حكمة القاضي التي اشبهت حكمة سليمان . اما اليهودي فكأن صاعقة قد انقضت عليه فاخمدت منه الانفاس او ان الارض انقلبت به فرمته في قعر الجحيم . فعلته صفرة الاموات وجرى دمه باردا في العروق واشعر بسوء منقلبه « وسيعلم الذين ظلموا ايَّ منقلب ينقلبون» واحس بعاقبة خيانته وقال . ان كان الامر كذلك وهذا مستحيل فقد رضيت بالمال الذي عرض عليّ وهو ثلاثين الف دينار. فصاح عليٌ وهو فرح بسلامة صديقه. نعم اعطيه المبلغ . فقال القاضي انتما ترضيان بهذا الاتفاق ولكن العدل والقانون يقضيان بان ياخذ

اليهودي الرطل اللحم مع المحافظة على الشرطين اللذين اشترطتهما . فعلت ضجة الاستحسان ثانية في قاعة الحكم وفرحت الجموع لرجوع اليهودي بخفي حنين . وهذا يلطم ويبكي ويصيح ويندب ماله وابنته الى ان قال القاضي . انه بناءً على المادة ١١٥ من قانون العقوبات التونسي التي نصها «اذا حاول يهوديٌّ قتل خارج عن دينه يقتل ثم يعطى نصف امواله للحكومة والنصف الآخر لغريمه» قد حكمت المحكمة بنص هذه المادة على اسحق اليهودي الذي ثبتت عليه محاولة قتل الفضل بن يحيى التاجر المسلم حتى امام المحكمة . فصاح اليهودي مولولا وضج بالبكا والعويل وطلب من المحكمة ان ترفق بحاله فقال له الامير لما كان العفو من شيمتنا والرحمة من لوازم شريعتنا فقد عفوت عن حياتك ولكن لا بد من ضبط اموالك لانك جعلتها حبائلاً تصيد بها الناس وترمي بها عباد الله . فقال اسحق لا بل اقتلوني ولا تبقوني بعد مالي ساعة واحدة فلا حياة لي بغير المال ولكن لم تصغ المحكمة لكلامه واصدرت الاوامر بتنفيذ الحكم عليه

فاخذ الفضل بن يحيي نصف مال اليهودي فاستعاض بعض خسارته وسافر مع صديقه الى تونس فسبقتهم اليها الاميرة وهناك علما بانها هي التي حكمت في القضية وتصرفت فيها بتلك الحكمة الباهرة . اما اليهودي فانه لم يمض عليه زمن الا ومات حسرة وحزناً على فقد ماله وابنته ورجوعه بالخيبة والخسران فاستراح الفضل وصاحبه من شره وفرحا بموته ولم يعد هناك ما يكدر صفاء راحتهما او يشوب رغد عيشهما الا انقطاع اخبار يوسف عن الفضل لانه لم يكن يخطر بباله بانه يقدم على خيانته

وينكث عهده فرجع وقوعه في مصاب . ولما كان احد الايام جاءه الخبر ان احدى الجرائد الانكليزية قد ادرجت مقالة وهذا فحواها " دخل من مدة شهرين الى عاصمة البلاد الانكليزية شاب ومعه فتاة جميلة الصورة فنزلا في احدى الفنادق العالية فيها . فاكثرا في المدة الاولى الدخول والخروج وهما يصرفان الاموال الطائلة ويزوران كافة محلات الزهو والملاهي حتى استلفتت حالتهما انظار رجال البوليس اليهما فراقبوهما وراوا ان الرجل كان في كل هذه الملاهي والمسرات كاسف البال بادي الحزن والكآبة مع ان رفيقته مبتهجة متهللة . ثم انقطعا بعد مدة عن هذه السيرة وندر خروجهما من النزل الى ان حدث في الشهر الفائت ان اصحاب النزل دخلوا الى غرفة هذين الضيفين العجيبين فرأوا الشاب ملقياً على الارض مضرجاً بدماه وان الفتاة قد فرت . فلم يعد هناك شك بانها الفاعلة لهذه الجريمة فطاردها رجال البوليس حتى القوا عليها القبض وهي على حدود انكلترا تبغي السفر الى فرنسا . فحوكمت وما زال بها القاضي حتى اعترفت بانها الفاعلة لهذه الجريمة وانها تدعى رفقا . اما الرجل فيدعى يوسف وهو وكيل لرجل من اعاظم تجار تلك المدينة يدعى الفضل بن يحيى وهم جميعاً من بلدة صوصه من اعمال تونس . وقد عشقها الشاب وهرب بها الى هنا باموال سيده فطاوعته هي رغبة في امواله حتى تسنت لها الفرصة ففتكت به وفرت بالاموال . فحكمت عليها المحكمة العليا بالاشغال الشاقة المؤبدة جزاء ما جنته يداها في عاصمة البلاد الانكليزية وقد وضعت الاموال في صندوق الامانات حتى يطلبها التاجر المذكور"

فتكدر الفضل لهذا الخبر وحزن لموت وكيله لانه علم اذ ذاك بان تلك

الفتاة كانت أبنة اسحق اليهودى فهي غائبة عن البلاد ولم يسمع لها خبر من عدة اشهر · فادرك انها فعلت ذلك باتفاق مع ابيها للانتقام من الفضل فوقع الانتقام على يوسف · فعزى عائلة وكيله على فقده وغمرها بالانعام · ثم طلب امواله من الحكومة الأنكليزية وارسل في طلب المراكب من مياه اسبانيا لانها كانت لم تزل تنتظر رجوع يوسف · وقد عاد اليه عزه اذ عادت اليه امواله وعاش عزيزا باصدقائه محاطاً باحبائه الى ان اتاهم هادم اللذات ومفرق الجماعات · فسبحان الحي الذي لا يموت

اعتذار

لقد وقع في طبع هذا الكتاب بعض التحريف الناتج عن السهو واغلاط الطبع كما يحصل في طبع كافة الكتب العلمية والادبية وقد اكتفيت عن تعدادها بالتلميح اليها لانها طفيفة لا تخفى على اللبيب العارف فيسبل عليها ذيل المعذرة وله الفضل



صدر من هذه السلسلة

١- الروض الأزهر في تاريخ بطرس الاكبر

وبين يديك العدد الثانى

((في الزوايا خبايا او كشف أسرار اليهود))